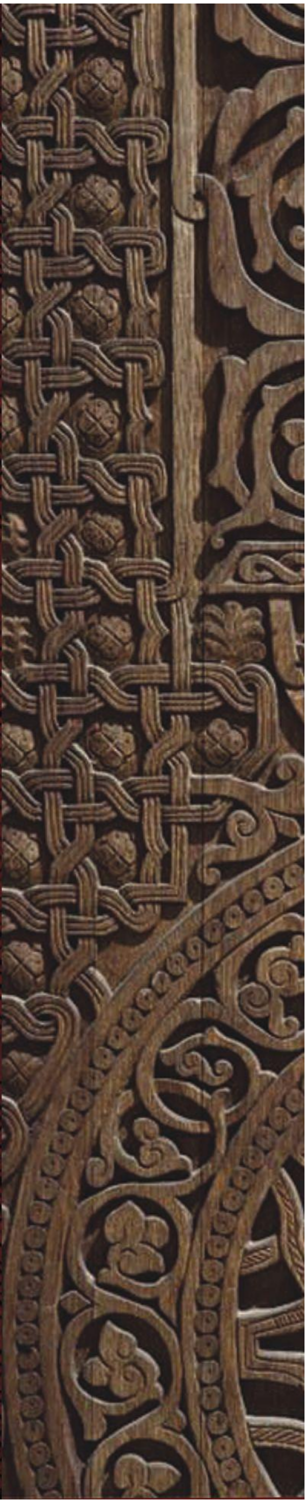
المستشرق - المستعرب

الدكتور البروفيسور آرام تير غيفونديان
أكاديمية علوم أرمينيا، كلية التاريخ

أرمينيا والخلافة العربية

ترجمة عن الروسية

الدكتور ألكسان كشيشيان



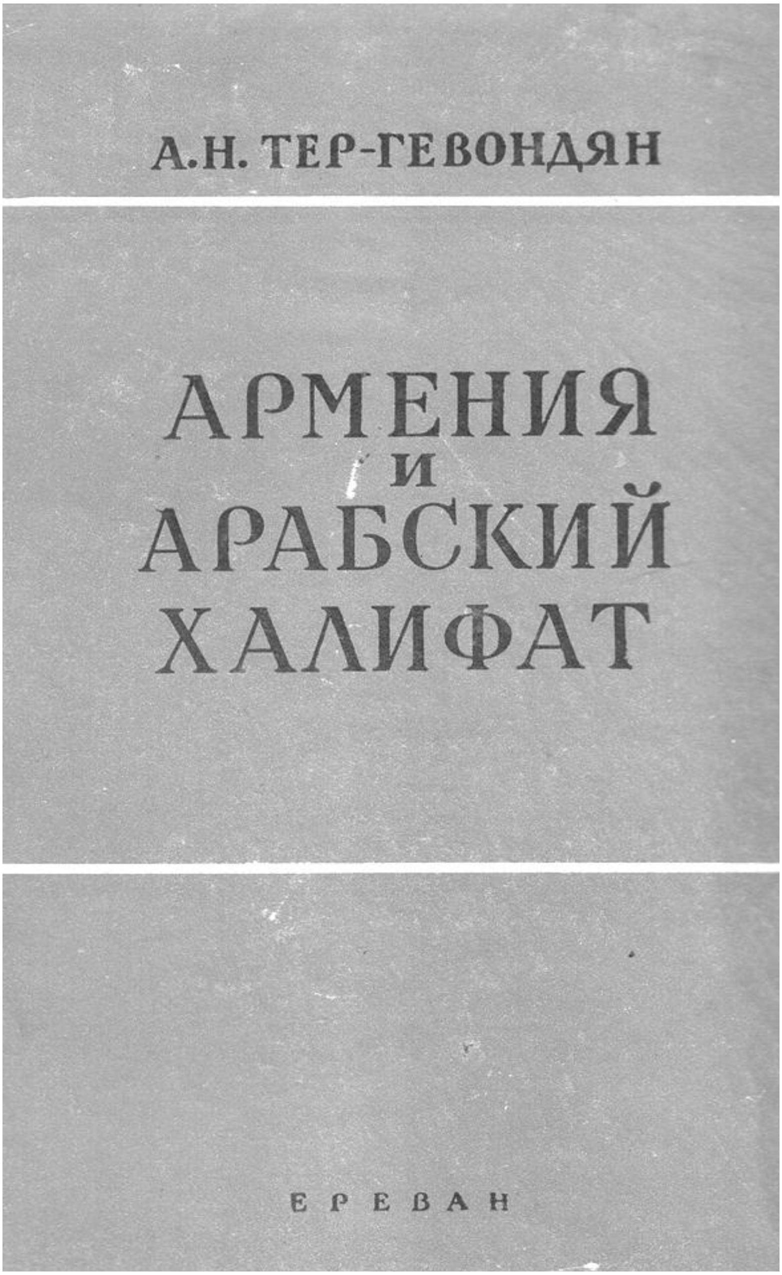
المستشرق–المستعرب
الدكتور البروفيسور آرام تير–غيفونديان
أكاديمية علوم أرمينيا، كلية التاريخ

أرمينيا والخلافة العربية

ترجمه عن الروسية
الدكتور ألكسندر كشيشيان
عضو اتحاد الكتاب العرب، رئيس تحرير "كتاب العاديات السنوي" لآثار سوريا

حلب

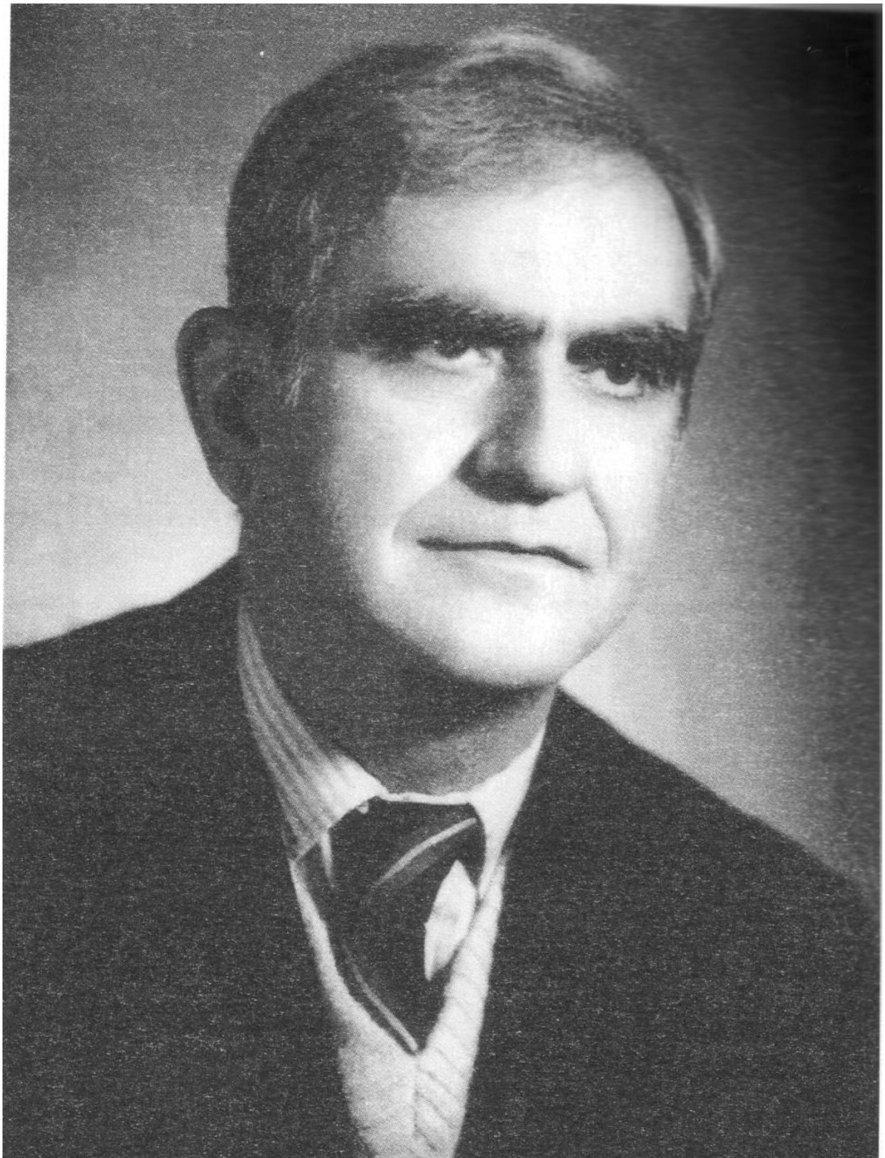
لجنة متابعة القضية الأرمنية


А. Н. ТЕР-ГЕВОНДЯН

АРМЕНИЯ
И
АРАБСКИЙ
ХАЛИФАТ

ЕРЕВАН

الكتاب في الأصل الروسي



المؤلف

سيرة المؤلف

القاهرة 1926–يريفان 1995

باحث كبير في كليتي التاريخ والإستشراق في أكاديمية العلوم الوطنية في الجمهورية الأرمنية. تعلم في القاهرة ثم نزح مع عائلته إلى أرمينيا السوفياتية سنة 1948. درس في قسم اللغات الشرقية في كلية الآداب في جامعة يريفان الحكومية. وبما أنه كان يتقن اللغة العربية قرر الإشتراك في دروس اللغة الفارسية أيضاً. ومن حسن طالعه أنه تعرّف على الأكاديمي الأرمني الأشهر في مجال الآداب الأرمنية واللغات العديدة هراتشيا آجاريان الذي سهر عليه وشجّعه أثناء تحصيله العلمي وهو شاب في مقتبل حياته. بعد تخرجه قُبل للدراسة في كلية إستشراق جامعة لينينغراد (بيتروغراد الحالية) 1955 حيث ابتسم له الحظ ثانيةً لأن المشرف على دراسته كان الأكاديمي الأرمني الشهير هوفسيب أوربيلّي، مؤسس أكاديمية علوم أرمينيا ومدير متحف إرميتاج الشهير، فحصل على الماجستير تحت إشرافه وكان موضوع بحثه:

. إمارة دفين (دبيل) العربية في أرمينيا بين القرنين 9–11م.

تابع آرام دراسته وحصل على درجة الدكتوراه من الكلية نفسها وعنوان الأطروحة:

. الإمارات العربية في أرمينيا الباكراتونية، 1965، باللغة الروسية.

ترجمت الإحتصاصية في التاريخ البيزنطي نينا كارسويان أطروحته إلى الإنكليزية والدكتور ألكسندر كشيشيان إلى العربية فلاقى الكتاب إستحسان المثقفين العرب الواسع.

عمل آرام تير غيفونديان سنوات مديدة 1958–1981 في كلية التاريخ لأكاديمية علوم أرمينيا حول دراسة المصادر الأولية واكتشف النص العربي لتاريخ المؤرخ الأرمني من القرون الوسطى أكاتانكيغوس وقام بدراسة هذا المصدر الأولي بشكل مفصل.

ترجم كذلك "تاريخ" غيفوند، المؤرخ الأرمني من القرن 8 م، من اللغة الأرمنية الكلاسيكية القديمة "كرابار" إلى اللغة الأرمنية الحديثة.(وبدوره ترجمه الدكتور ألكسندر كشيشيان إلى العربية لسببين:

أ . كان المؤرخ الأرمني المعاصر شاهد عيان على الفتوحات العربية.

ب . سجّل المؤرخ أول حوار مسيحي–إسلامي في التاريخ بين الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز والإمبراطور البيزنطي من أصل أرمني ليو الثالث الإزاوري قبل 1300 سنة–المترجم).

كانت مسائل أرمينيا التاريخية السياسية والإجتماعية–الإقتصادية بين القرنين 7–9 م مجال دراسات المؤلف الرئيسي. أصبحت الدراسة المقارنة للمصادر الأولية الأرمنية مع العربية أساساً لدراساته القيمة حول سيادة العرب على المملكتين الأرمنيتين: الباكراتونية والكيليكية فأدى عمله هذا إلى الكشف عن حقائق جديدة عن طريق مصادر جديدة.

كانت دائرة اهتمامات الباحث واسعة جداً وبفحوى متنوع. وبفضل إلمامه بعدة لغات أوروبية وشرقية أفلح في وقت قصير في مقارنة المصادر الأوروبية بالمصادر العربية الغنية واستيعابها بعد تحليلها نقدياً. وكانت النتيجة تسليط ضوء ساطع على بعض عِقَد المسائل التاريخية الأرمنية وإثارتها عن طريق بعض الدراسات باللغات الأرمنية، الروسية والفرنسية. نُشرت بعض دراساته في الدوريات العلمية الرصينة في موسكو ولينينغراد ومجلة Revue des Etudes Arménienes المرموقة. وبفضل نشر بضع عشرات من الأبحاث حول الخلافة العربية، المسائل التاريخية–الجغرافية والإجتماعية–الإقتصادية، حاز على شهرة واسعة كاختصاصي في تاريخ هذه الحقبة ومصادرها. أضحت تلك المصادر مادة أولية لتحضير دراسة كبيرة جلبت له لاحقاً شهرة واسعة عنوانها:

. أرمينيا والخلافة العربية، 1977، باللغة الروسية.

ثم طوّر هذا الموضوع ووسعه وألف كتاباً بعنوان:

. أرمينيا والعالم العربي بين القرنين 6–16م نُشرت فصولها الخمسة الأولى بعنوان:

. أرمينيا بين القرنين 6–8 م، 1996.

بيّن فيها المؤلف أحوال أرمينيا الإجتماعية–الإقتصادية في فترة ما قبل الإحتلال العربي، المنافسة الإيرانية–البيزنطية، حركة تحرر الشعب الأرمني وهيمنة العرب على أرمينيا. وصف كذلك أحوال أرمينيا الإقتصادية والسياسية القاسية التي إتبعتها الخلافة في أرمينيا.

بالإضافة إلى أبحاثه الرئيسية درس آرام تير غيفونديان المصادر الأولية المستجدة والكتابات الجدارية وكرّس بعضها للعلاقات التاريخية الأرمنية العربية–المسيحية والمصادر العربية التي تبحث حول نشأة الأرمن، عاداتهم، تقاليدهم وأساطيرهم. كذلك كان له دور كبير في تأليف عددي 2 و3 للموسوعة الأرمنية السوفياتية المشكلة من 13 مجلداً من القياس الكبير بتقديم بضع عشرات الدراسات الثمينة حول حياة أرمينيا التاريخية، السياسية والإجتماعية–الإقتصادية بين القرنين 7–12م بالإضافة إلى الأنظمة العربية والإسلامية على جغرافية أرمينيا والجاليات الأرمنية في البلدان العربية.

إشترك في مؤتمرات دولية عديدة في يريفان، موسكو، باريس، دمشق وسواها.

ترأس آرام تير غيفونديان قسم علم المصادر العربية الفارسية، الأرمنية والتركية في كلية إستشراق أكاديمية علوم أرمينيا إلى جانب قسم الدراسات التاريخية والكتابات على الأوابد الأثرية وترجمتها ونشرها منذ عام 1981. خلا هذا العمل المستمر المحموم درّس في كلية الإستشراق في جامعة يريفان الحكومية مادة "تاريخ البلدان العربية القديم والقروسطي" وأشرف على رسائل الطلاب الجامعية.

إنتخبته اكاديمية تيبيريانا الإيطالية 1986 ومعهد التراث العلمي العربي في حلب عضواً فخرياً. كذلك كرّمته "مؤسسة كالوست كولبانكيان الدولية" في لشبونة عام 2005 وأسست قاعة كبيرة في كلية الاستشراق في جامعة يريفان الحكومية تحمل اسمه وجهزتها بمكتبة عارمة وأجهزة ضرورية لتحضير دراسات وإقامة ندوات علمية.

لآرام تير غيفونديان مكانة علمية كبيرة في أوساط المستشرقين فأضحت دراساته وأبحاثه الدقيقة مصادر أولية موثّقة أمام الباحثين الأرمن والأجانب.

بعض دراساته

(1) دفين (دبيل) في عهد السلاّريين، 1956.

(2) كرونولوجية مدينة دفين بين القرنين 9–11م، 1957.

(3) بقايا وحدة كوستي–كابكوه الإدارية أثناء الخلافة العربية، 1958.

(4) إمارة دفين العربية في أرمينيا في القرنين 9–11م، بالروسية.

(5) مخطوطات البحر الميت، 1959.

(6) يريميا تشلبي أحد مصادر منجّم باشي، 1960.

(7) الإمارات العربية أثناء حكم الباكراتونيين، 1961.

(8) تقسيمات أرمينيا الإدارية بناء على الجغرافيين العرب، 1961.

(9) منجّم باشي مصدر من القرن 11–12م حول شدّاديي دفين وكنجة، 1962.

(10) أمير أرمينيا في عهد الهيمنة العربية، 1964.

(11) إنعكاس أسطورة "آرا وشاميرام" الأرمنية لدى المسعودي، 1965.

(12) كتاب الإمارات العربية في أرمينيا الباكراتونية، 1965.

(13) المؤرخ العربي أبو دلف من القرن 10م حول عادات الأرمن وموسيقاهم، 1965.

(14) أمير أرمينيا في عهد الهيمنة العربية، بالفرنسية، 1966.

(15) الطبعة العربية الجديدة للمؤرخ الأرمني أكاتانكيغوس، 1968.

(16) خراج أرمينيا في العهد العربي، 1969.

(17) الكتابات الجدارية العربية للأميرين الأرمنيين زاكاريه وإيفانيه في قلعة أمبيرد، 1971.

(18) حول العلاقات الأرمنية–السريانية، 1971.

(19) حول النظرية العربية لأصل الأرمن، 1971.

(20) الرواية العربية حول جبل ماسيس (جودي–المترجم)، 1971.

(21) ثورة صاصون 749–752م ضد الخلافة العربية.

(22) العلاقات الأدبية الأرمنية–العربية في القرون الوسطى، 1972.

(23) النص العربي الكامل لتاريخ أكاتانكيغوس، 1973.

(24) "تاريخ نبركيرت" من القرن 12م للفارقي حول أحداث أرمينيا الشمالية، 1974.

(25) حول حقوق الإقطاعيين الأرمن في القرنين 7–9 م بناء على اتفاقيات الخلافة العربية، 1974.

(26) كتاب أرمينيا والخلافة العربية، بالروسية، 1977.

(27) المسيحيون العرب والأرمن في القرون الوسطى، 1977.

(28) كرونولوجية الحكام العرب في أرمينيا، 1977.

(29) من تاريخ العلاقات الأرمنية العربية–المسيحية، 1977.

(30) الكتابة العربية على جدران "دير هاغبات" في أرمينيا وألقاب ملوك الأرمن، 1979.

(31) ترجمة كتاب ابن الأثير إلى اللغة الأرمنية والمصادر الأجنبية حول أرمينيا والأرمن، 1981.

(32) حزام التحصينات العربية (الثغور)، 1981.

(33) دور الإمارات الإسلامية السلبي على قَدَر أرمينيا في القرون الوسطى، 1987.

(34) دراسة المصادر العربية واستخدامها في الآداب الأرمنية، 1987.

(35) خليفة بن الخياط مصدر لتاريخ أرمينيا والخلافة للقرنين 7–9 م، 1988.

(36) تاريخ المؤرخ الأرمني سيبيوس من القرن 7 م لتاريخ الشرق الأدنى، 1988.

كذلك له دراسات أخرى باللغات الإنكليزية، الفرنسية والإنكليزية في عدد كبير من الجرائد، المجلات، الدوريات العلمية الرصينة داخل أرمينيا وخارجها.

المقدمة

يُعد القرنان 7–9 م أحد أهم مراحل تاريخ أرمينيا في القرون الوسطى عندما تم التحول من المرحلة الإقطاعية المبكرة إلى المرحلة الإقطاعية المتقدمة. لم تُبحث أهم مسائل هذه الفترة كاملةً حتى وقتنا الحاضر. علينا الإعتراف أيضاً أن دراسة هذه المرحلة المعقدة لن تتحقق سوى باللجوء إلى مصادر بلغات شتى كالأرمنية، العربية، البيزنطية والسريانية. إلا أن المصادر الأرمنية والعربية هي الأهم.

إستمر التأريخ الأرمني طوال القرون 7–13م على تقاليد العهود السابقة الغنية وعلى وجه الخصوص تقاليد القرن 5 م. وأول عمل يقع ضمن اهتماماتنا هو "تاريخ سيبيوس"، المؤرخ الأرمني من القرن 7 م، الذي لم يعلمنا حول أحداث عصره في أرمينيا فحسب، بل عن تلك التي جرت في البلدان المجاورة أيضاً. نشر المخطوط لآخر مرة المفكر الكبير أستيبان مالخاصيان سنة 1939.

Istoria Episcopa Sebeusa 1939, بالروسية

يُعتبر "تاريخ" غيفوند (ترجمه إلى العربية د.الكسندر كشيشيان–المترجم) مصدراً رئيسياً لدراسة تاريخ أرمينيا أثناء حكم الخلافة وسرد الأحداث حتى ثمانينيات القرن 8 م فأكمل تاريخ سيبيوس. أظهرت الدراسات التحليلية أن تاريخ غيفوند وصل إلينا كاملاً لذلك نعتبره مصدراً موثقاً بشكل مطلق. ثم تُرجم الكتاب إلى اللغة الفرنسية بعنوان:

Ghevond, Histoire des guerres et des conquete des arabes en Armenie, Paris 1856.

قدّم ك.شاه ناظاريان النص الأرمني في باريس في عام 1856 أيضاً:

Արշաւանք Արաբաց Ի Հայս, արարեալ Ղևոնդ Վարդապետի Հայոց, Բարիզ 1856:

ترجم المستشرق الأرمني الشهير ك.بادكانيان كتاب غيفوند إلى الروسية بعنوان:

Istoria Khalifata Vardabeta Ghevonda, СПб., 1882.

كذلك نشر س.مالخاسيان النص الأرمني بعنوان:

Պատմութիւն Ղևոնդեայ Մեծի Վարդապետի Հայոց. Սան Պետերբուրգ, 1887.

قدّم المؤرخ الأرمني القروسطي الآخر طوماس أرتزروني أحداث شمال أرمينيا المعقدة جداً في القرن 9 م وفي المقام الأول التاريخ المفصّل لمقاطعة فاسبوراكان. أكمل النص مؤرخ أرمني آخر مجهول من عائلة الأمراء الأرتزرونيين. ونشره المستشرق ك.بادكانيان في بطرسبورغ بالأرمنية سنة 1887.

نجد الأبحاث التاريخية الهامة الأخرى لدراسة أحداث القرنين 8-10م في كتاب الكاثوليكوس هوفهانّس دراسخاناكيردتسي الذي كان على صلات وثيقة جداً مع عائلة الأمراء الباكراتونيين. نُشر المخطوط في القدس باللغة الأرمنية سنة 1869. سرد فيه الكاثوليكوس تاريخ أرمينيا الكبرى والحياة السياسية لمملكة أرمينيا الباكراتونية.

يُعتبر كتاب المؤرخ الأرمني موفسيس كاغانكاتفاتسي (أو داسخورانتسي) حول تاريخ بلاد اللان من المصادر الهامة لدراسة تاريخ أرمينيا الشرقية وألبانيا. الكتاب سرد حول أحداث تاريخية من نهايات القرن 7 م أو بدايات القرن 8 م حتى القرن 9 م. كذلك نجد إنعكاس الأحداث التاريخية المفصلة، التي جرت بين القرنين 7-9 م وعلى وجه الخصوص في القرن 10م، في "تاريخ" أستيبانوس تارونيتسي (أصوغيك) الجامع. حقق مالخاصيان النص الأرمني في بطرسبورغ سنة 1883.

كذلك يحوي "التاريخ الكرونولوجي" للمؤرخ الأرمني صموئيل آنيتسي معلومات قيمة عن القرن 12م.

ومن المصادر الإستثنائية أهميةً كتاب "التاريخ العام" للمؤرخ الأرمني فاردان حول أحداث القرن 13م الذي أثار اهتماماً كبيراً بعد ترجمته إلى اللغة الفرنسية بعنوان:

J.Mayldermans, La Domination Arabe en Armenie, Louvain-Paris 1926.

هناك مؤرخون قديمون وحديثون آخرون تحدثوا عن هذه الحقبة أيضاً من خلال أبحاثهم.

مع ذلك يُعتبر "كتاب قوانين الأرمن" من المصادر التاريخية الحيوية في القرن 13م.

. قوانين الأرمن، تحقيق ف.هاكوبيان، يريفان، جزء 1–2، 1964، 1971.

تُعتبر الكتابات الجدارية بدورها مصادر ثمينة.

. ديوان الكتابات الجدارية، سان بطرسبورغ 1913 بالأرمنية.

Svod Armianskikh Nadpisei, I-IV, Erevan 1960-1973, بالروسية

علينا الاعتراف مع ذلك أن التاريخ الأرمني بأرّ انتباهه بشكل رئيسي على حياة أرمينيا الداخلية. لذلك، وللتذكير بجوانب العلاقات الأرمنية–العربية المختلفة العديدة والمسائل السياسية والإقتصادية الأخرى، علينا التطرق إلى مجموعة أساسية ثانية من المصادر حول أرمينيا وتحديداً الكتب المحققة باللغة العربية لأنه يستحيل تسليط ضوء جلي على تاريخ أرمينيا بين القرنين 7–10م وكتابته علمياً بدون دراسة دقيقة متأنية لكتب المؤرخين العرب.

كانت الأبحاث التاريخية العربية، التي بدأت تظهر في أوائل القرن 9 م، عبارة عن مذكرات رحّالة منصبّة بشكل رئيسي حول موضوع الفتوحات العربية. نذكر منها أعمال الواقدي 747–823م التي استخدمها لاحقاً البلاذري، الطبري وسواهما. ويُعتبر بحث البلاذري من المصادر التي لا يمكن تعويضها لتوضيح الفتوحات العربية في أرمينيا والأحداث بين القرنين 7–9 م:

كتاب فتوح البلدان، أحمد يحيى البلاذري (توفي سنة 890م).

Liber expugnationis regionum auctore al-Baladsori, Lugd. Bat. 1866.

من المؤرخين المرموقين في القرن 9 م أبو خليفة الديناوري (توفي عام 895م) والمؤرخ الشيعي من خرسان أحمد بن وديع اليعقوبي (توفي سنة 892م) وكان جده وديع حاكم أرمينيا. يمتاز عمل اليعقوبي بالدقة ويُعتبر مصدراً قيماً لدراسة تاريخ الأمويين والعباسيين في أرمينيا. وهناك عدة طبعات لبحثه في أوروبا والشرق.

Ibn Wadih qui dicitur al-Yaqubi Historiae, I-II, Lugd. Bat. 1883.
Yaqubi, Tarikh, I-II, Beyrouth 1960.

رغم كون مؤلَّف المؤرخ الفارسي من طبرستان أبو جعفر محمد بن جرير الطبري 838–923م كبيراً وذو طبيعة جمعية لكنه يحوي مصادر غنية جداً من التأريخ العربي حول إيران وأرمينيا. ويُعتبر مؤلَّفه المتعدد الأجزاء طبعة مقتضبة لعمله الأوسع ويشمل أحداثاً جرت عام 302 هـ=914–915م.

. الطبري، تاريخ الرسل والملوك.

نشر عدد من المستعربين المرموقين تاريخه بعنوان:

Annales auctore Abu Djafar…at-Tabari, Lugd. Bat. 1883, Tarikh at-Tabari, I-X, edition critique, Le Caire 1960-1969.

يُعد أبو الحسن علي بن حسين المسعودي (توفي عام 756م) أحد المؤرخين العرب المرموقين غير العديدين حول تاريخ الشعوب غير المسلمة، عاداتها، تقاليها وعلى وجه الخصوص معلوماته حول شعوب القفقاس من خلال كتاب له بعدة طبعات بعنوان:

. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجواهر.

Maçoudi, Les praires d'or, I-X, Paris 1861-1877.
Masudi, Muruj az-Zahab, al-Qahira, I-IV, 1948.

يُعد تاريخ العالم" للمؤرخ الفارسي ابن مسكويه (ابن مشكويه) عملاً واسعاً وينتهي سرده عند سنة 982–983م.

يُعرف المؤرخ العربي عز الدين علي بن محمد بن الأثير 1160–1234م، من شمالي ما بين النهرين، مؤلفاً لعمل تاريخي ضخم عنوانه:

. ابن الأثير، الكامل في التاريخ.

إستفاد ابن الأثير من المصادر العربية السابقة وشكّل عملاً كبيراً حيث يمكن العثور على معلومات وفيرة شيقة حول تاريخ أرمينيا بين القرنين 7–8 م. وخلا الطبعات الشرقية هناك طبعة نقدية–تحليلية لطورينبيرغ من 14 مجلد.

Ibn al-Athir, chronicon quod perfectissimum inscribitur, I-XIV, Lugd. Bat. 1851-1876.

Ibn al-Athir, al-Kamel, al-Qahira 1938-1939.

يمكن استخدام مصادر التاريخ الإجتماعي لتركيبة دولة الخلافة كذلك تاريخ مُلكية الأرض لدراسة الحقوق الإسلامية. ويُعتبر عمل العالم الإمام الحقوقي الشهير أبو خليفة أبو يوسف يعقوب وعنوانه:

. أبو يوسف يعقوب، كتاب الخراج

من المصادر التي تهم التاريخي الأرمني.

من جهة أخرى لا تقلّ الأبحاث الجغرافية قيمةً عن الدراسات التاريخية لدراسة التأريخ العربي في القرون الوسطى. قامت الجغرافيا العربية على أساسات علم الفضاء (الكوسموغرافيا) والجغرافيا اليونانيين فظهرت بسرعة أعمال ذات طابع جغرافي–إقتصادي أولها للجغرافي الفارسي

. ابن خرّداذبية، كتاب المسالك والممالك.

ثم ظهر بعده كتاب جغرافي آخر للمؤرخ

. اليعقوبي، كتاب البلدان.

ثم كتاب بالعنوان ذاته لـ

. ابن الفقيه، كتاب البلدان.

نشأت مدرسة جديدة للجغرافيا العربية في القرن 10م أسسها الجغرافي الفارسي البلخي إلا أن كتابه لم يصلنا مع الأسف. لكن الجغرافيين الآخرين مثل الإسطخري وابن حوقل

إستخدموا مقاطع عديدة منه في دراساتهم. ويُعتبر هذين الجغرافيين، مع المقدّسي مؤسسي الجغرافيا العربية الكلاسيكية.

يشكّل كتابا قدامة والمسعودي أهمية كبيرة لدراسة سياسة الخلافة الضريبية في مجال الزراعة في القرن 10م.

. قدامة، كتاب الخراج.

. المسعودي، التنبيه والإشراف

نشر م.ج.دو كوجيه سلسلة دراسات الجغرافيين العرب الذين عاشوا في القرنين 9–10م: الإسطخري، المقدسي، ابن حوقل، ابن الفقيه، ابن خرّداذيبة، قُدامة، ابن روسته، اليعقوبي والمسعودي في كتاب من 8 أجزاء عنوانه:

Bibliotheca Geographorum Arabicorum, ed. M.J.de Goeje, I-VIII, Lugd. Bat., 1870-1884.

لدى جميع هؤلاء الجغرافيين العرب معلومات وفيرة حول إقتصاديات أرمينيا وطرقها التجارية. كذلك بوسعنا العثور على بعض المعلومات حول أرمينيا في كتاب الجغرافي الإدريسي 1099–1165م.

Geographie d'Idrisi, I-II, Paris 1836-1840.

يقدم كتاب

. ياقوت الرومي الحموي (1179–1229م)، معجم البلدان

معلومات فريدة حول أرمينيا والبلدان المجاورة لها. الكتاب مبني على مصادر أولية عديدة. نشر ف.بيوستيفالد هذا المعجم الجغرافي في 6 أجزاء:

Jacut's Geographisches Wörterbuch, I-VI, Leizig 1924.

نُشرت سلسلة مؤلفات لباحثين عرب بعد الحرب العالمية الثانية التي تُعتبر مصادر هامة

لدراسة تاريخ أرمينيا في الفترة العربية وعهد الباكراتونيين. كذلك نشر م.كانار كتاب
M.Canard, Recueldes texts relatives a Sayf al-Daulah, Paris 1934.

نشر ف.مينورسكي نبذتين من تاريخ منجّم باشي الواسع (عاش في القرن 17) تخص أولاهما بشدّادي أرمينيا وأرّان.
V.Minorsky, Studies in Caucasian History, London 1953.

وتتحدث الثانية حول أمراء شيرفان ودربند (باب الأبواب).
V.Minorsky, A History of Sharvan and Darbend, Cambridge 1958.

شكّلت مذكرات رحلات أبو دُلَف القصيرة الثانية بعض الإهتمام فنشرت في طبعتين:
Abu Dulaf, Misar Ibn Muhallil's Travels to Iran, Cairo 1955.
المذكرة الثانية لأبي دُلَف:

Abou Doulaf, Maskva, 1960, بالروسية

كذلك تُعتبر معلومات بن أزرق الفارقي حول مقاطعة أغدزنيك (دياربكر) الأرمنية في كتابه مصدراً حيوياً لدراسة تاريخ أرمينيا في القرون الوسطى.
. ابن الأزرق الفارقي، تاريخ ميّافارقين.

Tarikh al-Fariqi, Cairo 1959.

معلومات علم النقود مهمة بشكل إستثنائي لإجلاء الأحداث الكرونولوجية لتاريخ أرمينيا بين القرنين 7–9 م. استُخدمت معلومات النقود المضروبة في عاصمة أرمينيا التاريخية دفين (دبيل) كمصادر إضافية لإكمال جدول الحكام العرب في أرمينيا. وتقدم معلومات الباحث خاتشاتور موشيغيان النقدية الجديدة إمكانية إكمال جدول هؤلاء الحكام العرب. كذلك تشكل الكتابات الجدارية العربية ونتائج الحفريات الآثرية في العاصمة دفين، على

وجه الخصوص، مصادر مهمة لدراسة تاريخ أرمينيا في حقبة الهيمنة العربية على أرمينيا.

تحوز المصادر البيزنطية على أهمية أيضاً لدراسة تاريخ أرمينيا القروسطي قام بتحليلها الأب المخيتاري م.تشاميتشيان الذي عاش في القرن 18 رُغم عدم دراستها كاملةً واستخدامها بشكل كاف لدراسة تاريخ أرمينيا بين القرنين 7–9 م. ومن المؤسف أن المؤرخين البيزنطيين قدّموا معلومات أقل، مقارنةً مع المؤرخين العرب، حول أحداث القرنين 7–9 م جرت على الحدود الشرقية للإمبراطورية لأنهم كانوا يمنحون لمقاطعاتهم الداخلية أهمية كبيرة.

يُعتبر التاريخ المقتضب للمؤرخ المجهول حول أرمينيا مصدراً مهماً لدراسة العلاقات الأرمنية–البيزنطية في القرن 7 م. ويحتل التاريخ الكرونولوجي لثيوفانيس 752–818م، الذي يغطي سنوات 284–813م، مكانة محورية بين الأعمال التاريخية لمؤلفين بيزنطيين.

G.Garitte, Narratio de Rebus Armeniae, Louvain 1952.
Theophanes Chronographia, I-II, Lipsiae 1883.

يحوز التاريخ المقتضب لبطريرك القسطنطينية نيكيفوروس على بعض الأهمية لاحتوائه معلومات عامة حول أحداث جرت على الثغور العربية–البيزنطية الحدودية بين القرنين 7–9 م.

Istoria Vizantii, II, 9, بالروسية

لم تُدرس أعمال المؤرخين السريان القروسطية حتى يومنا بشكل كاف رغم أنها تحوي مادة ثمينة إستثنائية لدراسة تاريخ أرمينيا بين القرنين 7–9 م وعلى وجه الخصوص مناطقها الجنوبية. تُلقي أعمال زاخاري ريتورا ويوحنا الإيفيسوسي وسواهما ضوءاً ساطعاً على تاريخ أرمينيا في المراحل المبكّرة من القرون الوسطى.

Chronique de Denys Tell Mahre, Paris 1895.

. ي.ف.بيكوليفسكايا، المصادر السورية حول تاريخ شعوب الإتحاد السوفياتي، موسكو– لينينغراد 1941، باللغة الروسية.

يُعتبر "التاريخ الكرونولوجي" لديونيسيوس تل محري، الذي ينتهي عند عام 775م، مصدراً مهماً لتوضيح مسائل عديدة في تاريخ أرمينيا وخاصةً مناطقها الجنوبية–الغربية في القرن 8 م. Chronique de Denys Tell Mahre, I-III, Paris 1900-1920.

كذلك كتب بطريرك المونوفيزيتيين ميخائيل السرياني، المتوفي سنة 1188م، الكبير "التاريخ العالمي" بناه على مصادر لم ندرسها بعدُ. ومن أهم منجزاته سرد العلاقات الأرمنية–السريانية الكنسية.

. المصدر نفسه.

يقدم المؤرخ السوري المجهول في كتابه، الذي يعود إلى سنة 1234م، معلومات مهمة حول العرب وفتوحاتهم في بلاد ما بين النهرين في القرن 7 م على وجه الخصوص.

أما بطريرك اليعاقبة أبو الفرج بار هيبراوس 1225–1286م فقد ألف كتباً حول اللغتين السريانية والعربية.

The Chronology of Gregory Abul-Faraj (Bar Hebraeus), Oxford 1932.

ورغم كتابته حول أحداث لاحقة جرت في القرنين 12–13م، إلا أنه أتى ببعض المعلومات الجديدة حول أرمينيا تعود إلى السنوات الممتدة بين القرنين 7–9 م.

كذلك هناك مصادر تاريخية هامة شيقة لمؤرخين فرس وجيورجيين حول الفترة التي نقوم بدراستها.

دُرست مسائل تاريخ أرمينيا بين القرنين 7–9 م، وعلى وجه الخصوص سنوات هيمنة الخلافة العربية على أرمينيا وحتى القرن 19، في أبحاث تاريخية عامة حول تاريخ أرمينيا القروسطي. أولى هذه الدراسات كتاب الأب المخيتاري:

. م.تشاميتشيان، تاريخ الأرمن، 3 مجلدات، البندقية 1784، باللغة الأرمنية القديمة "كرابار".

أدى ظهور هذا العمل الجليل إلى بداية نشوء التأريخ الأرمني العلمي. بنى تشاميتشيان كتابه، الذي يسرد فيه أحداث أرمينيا بين القرنين 7–10م، على مصادر أرمنية لم تكن مدروسة حتى ذلك الوقت وتحديداً أبحاث الكاثوليكوس هوفهانّس دراسخاناكيردتسي، أستيبانوس تارونيتسي، صموئيل آنيتسي، فاردان، كيراكوس كانتساكيتسي و"كتاب قوانين الأرمن" وسواهم. إستخدم أيضاً مصادر المؤرخين البيزنطيين ثيوفانوس، نيكيفور وغيرهما. إستفاد الباحث م.سان مارتان من أعمال م.تشاميتشيان وغيره من المؤلفين العرب مثل ابن الأثير والمسعودي لتحديد أسماء بعض المواقع الجغرافية في أرمينيا. وضع سان مارتان أول جدول أولي للحكام العرب في أرمينيا في هذه الفترة.

St.Martin, Memoires Historiques et Geographiques sur L'Armenie, I-II, Paris 1818-1819.

يمكن العثور على بعض الملاحظات حول هذه الحقبة في دراسة م.بروسيه. كذلك وضع ج.بيترمان أول جدول مختصر للحكام العرب في أرمينيا إنطلاقاً من معلومات ر.فريني النقدية بالإضافة إلى دراسات م.تشاميتشيان.

J.H.Petermann, De Osticanis arabicis Armeniae Gubernatorius, Beralini 1840.

يُعتبر كتاب غ.إنجيجيان من 3 أجزاء بحثاً مهماً حول تاريخ أرمينيا الجغرافي.

. غ.إنجيجيان، التاريخ الجغرافي لآثار عالَم أرمينيا، 3 أجزاء، البندقية 1835.

حلل الباحث جغرافية أرمينيا القديمة، تركيبتها السياسية، مملكة أرمينيا، عائلات الأمراء الأرمن، وضع قواتها المسلحة، المسائل الحقوقية، ثقافتها، أحوالها الإقتصادية في شتى المراحل القروسطية.

هناك معلومات وفيرة غنية حول أرمينيا القروسطية في أبحاث الأب المخيتاري غيفوند آليشان التاريخية–الجغرافية:

. غيفوند آليشان، شيراك، البندقية 1881، أيرارات وسيسيان.

ومن المصادر الهامة الأخرى، الذي أغنى تاريخ أرمينيا بين القرنين 7–9 م في عهد الهيمنة العربية، "تاريخ" المؤرخ الأرمني غيفوند (ترجمه د.ألكسندر كشيشيان إلى العربية– المترجم).

ظهرت طريق جديدة في التأريخ الأرمني في نهايات القرن 19 وبدايات القرن 20 تختلف عن المدرسة القديمة التي تعتمد على المصادر الأرمنية وضرورة الإهتمام بالمصادر الأجنبية أيضاً.

كان م.غازاريان أول باحث أرمني إفتتح مرحلة جديدة في الأبحاث التاريخية الأرمنية بدراسة تاريخ أرمينيا بين القرنين 7–9 م باستخدام واسع للمؤلفات العربية ونشر كتابه القيم باللغة الألمانية بعنوان:

M.Ghazarian, Armenien unter der Arabischen Herschaft, Marburg 1903.

ظهرت بعد هذه الدراسة سلسلة كاملة من الأبحاث حول شتى مسائل تاريخ أرمينيا بين القرنين7–9 م.

H.Thoptschian, Die inneren Zustände von Armenien unter Aŝot I, Halle 1904.

J.Laorent, L'Arménie entre Byzance et l'Islam depuis la conquête arabe jusqu'en 887, Paris 1919.

. *نيكولاي أدونتس، أرمينيا في عهد جستنيان، 1908، بالأرمنية.*

. *هاكوب ماناندیان، النظام الإقطاعي في أرمينيا القديمة، يريفان 1943، بالأرمنية.*

. *هاكوب ماناندیان، التجارة ومدن أرمينيا القديمة، يريفان 1930، بالأرمنية.*

(ترجمه الدكتور ألكسندر كشيشيان إلى العربية–المترجم).

. *خ.صموئيليان، تاريخ الحقوق الأرمنية القديمة، يريفان 1939، بالأرمنية.*

. *هـ.زوريان، سياسة العرب الضريبية في أرمينيا الإقطاعية، مجلة جامعة يريفان، عدد 2–3، 1927، بالأرمنية.*

ب.أراكيليان، المدن والمهن في أرمينيا بين القرنين 9–13م،جزءان،يريفان 1958–1964، بالأرمنية.

A.V.Kremer, Culturgeschichte des Orients unter den Chalifen, I0II, Wien 1875-1877.

A.Mez, Die Reneissance des Islams, Heidelberg 1922.

R.Levy, The Social Structure of Islam, Cambridge 1957.

I.P.Petrushevski, Arabcki Khalifat, Moskva 1970, Istoria Stran Zaroubezhnoi Azii v Srednieh Veka.

R.Vasmer, Chronologie der Arabischen Statthalter von Armenien, Wien 1931.

J.Marqwart, Südarmenien und die Tigrisquellen, Wien 1930.

R.Grosset, Histoire de l'Armenie, Paris 1947.

Ter Mkrtischian, Die Paulikianer im Byzantinischen Kaiserreiche und Verwandte Ketzerische Erscheinungen in Armenien, Leipzig 1993.

E.Honigmann, Die Ostgrenze des Byzantinischen Reiches, Brussels 1935.

M.Canard, Histoire de la Dynastie des Hamdanides de Jezireh et de Syrie, Alger 1951.

M.Canard, Arminiya, Encyclopedia de l'Islam, Leyden-Paris 1960.

. *هـ.هاروتيونيان، أرمينيا تحت حكم الخلافة العربية، يريفان 1946، بالأرمنية.*

. *س.ميليك باغشيان، أرمينيا بين القرنين 7–9 م، يريفان 1946، بالأرمنية.*

. *أديب السيد، أرمينيا في التاريخ العربي، حلب 1972 وغيرها من الكتب والدراسات.*

الفصل الأول

أرمينيا في الفترة الأولى للفتوحات العربية في الشرق

(1) نهاية الحكم الفارسي والبيزنطي في أرمينيا

تبدّلت أحوال أرمينيا بعد ثورة الأرمن ضد الساسانيين سنة 571م، الحرب الفارسية–البيزنطية الطويلة بين 572–591م، وسقوط مملكة الأرشاكونيين 428م. لم يمنح دحر بيزنطة لفارس هيمنة سياسية على الهضبة الأرمنية فحسب، بل حرّض أيضاً آمال الأرمن لإعادة إقامة مملكتهم.

P.Goubert, Byzance avant l'Islam, 189.

. سيبيوس، 39.

سلّم الملك الفارسي خوسروف الثاني غالبية أراضي أرمينيا إلى الإمبراطور موريس بموجب معاهدة عام 591م.

. المصدر نفسه، 47.

. الكاثوليكوس هوفهانّس، 87–88.

ضم البيزنطيون أراضي أرمينيا في مقاطعات Tayk، توروبيران وشكلوا منها وحدات إدارية جديدة:

أ . أرمينيا الداخلية Armenia Interior، مقاطعة كارين التي كانت تشكل القسم الأكبر من أرمينيا الكبرى Armenia Magna.

ب . مقاطعة أيرارات التي أُعيد تسميتها "أرمينيا الأعمق".

حُرمت أرمينيا من الإستقلال السياسي في عهد الإمبراطور موريس. عيّن الإمبراطور حكاماً عسكريين في أرمينيا البيزنطية وكان مركزهم مدينة ثيودوسيوبوليس.

P.Goubert, Byzance avant l'Islam, 297-298.

خلا ذلك بادر الإمبراطور إلى اتخاذ خطوات لإكراه الكنيسة الأرمنية على قبول عقيدة الكنيسة البيزنطية الديافيزيتية.

G.Garitte, Saint Théodore Évêque de Karin-Theodosiopolis Armeniaca, Venice 1969, 1-8.

نقل الإمبراطورالأرمن غرباً رغبة منه في كبح تطلعات أمرائهم إلى الإستقلال السياسي واستغلال فرق فرسان الأرمن في العمليات العسكرية في البلقان في الوقت ذاته.

. سيبيوس، 49.

إستمر موريس في تحقيق سياسة جستنيان في أرمينيا في إزالة حقوق الأمراء الأرمن الوراثية وكانت العاقبة نشوء ثورة معادية في البلاد ضد بيزنطة.

. المصدر نفسه، 56.

إستغل الملك خسروف الفارسي مقتل الإمبراطور موريس ذريعةً لشن حرب جديدة ضد بيزنطة فاجتاح المناطق الشرقية للإمبراطورية سنة 604م.

Hagop Manandian, Marshrouti Persidskikh Pokhodov Imperatora Iraklia, Buz. Bp III, 1950, 133-153, بالروسية

لكن تم التوقيع على معاهدة صلح بين الإمبراطورية وفارس عام 629م في نهاية المطاف وأُعيد رسم حدود أرمينيا بناء على معاهدة عام 591م. فبناء على معاهدتي 591م و629م تقلصت مساحة أرمينيا الفارسية إلى النصف تقريباً وبقيت للفرس مقاطعة فاسبوراكان، موكس، سيونيك، أوستان، أيرارات والعاصمة دفين. لم يساهم تقلص مساحات أرمينيا المارزبانية في إعادة توحيد غالبية أراضي أرمينيا ضمن أراضي بيزنطة فحسب، بل تطلعات الأمراء الأرمن في مقاطعة سيونيك وسيساكان أيضاً بعد الثورة ضد الفرس بقيادة الأمراء الماميكونيانيين سنة 571م فاعتُرف بسيونيك وحدةً مستقلة. إلا أن سيساكان لم يُعترف بها من الناحية الإدارية ضمن أرمينيا الفارسية بل في شاهرامار أرمينيا.

أُبعد الأمراء المايكونيانيون عن الحياة السياسية في أرمينيا بعد معاهدة صلح عام 591م وظل منصب المارزبان بيد الأمراء الباكراتونيين الأرمن وأصبح سمبات باكراتوني مرزبان أرمينيا بين 591–617م. فجرت تغييرات كبيرة جذرية في حياة أرمينيا الداخلية السياسية في نهايات القرن 6 م وبداية القرن 7 م. بدأت منافسة كبيرة بين الأمراء الأرمن الإقطاعيين المايكونيانيين، الباكراتونيين والسيونيين وحقبة صراع جديدة إنتهت بانتصار الباكراتونيين في نهاية القرن 8 م الذين كانوا يدّعون بأحقيتهم في السلطة منذ بدايات القرن 7 م على كامل مساحة أرمينيا باللجوء إلى جميع الوسائط.

لم يعيّن الإمبراطورهرقل قواداً عسكريين بيزنطيين في أرمينيا بل أحد قواد البلاد من الأرمن يدعى مجيج كنوني الذي مع ذلك لم يستغل نفوذه.

M.Ghazarian, Armenien, 12.

لم تكن الأحوال راسخة في أرمينيا الفارسية أيضاً.

Osep Orbelli, Izbraniyeh, 393.

بعد محادثات عام 629م جرت تغييرات في أرمينيا الفارسية فعين الملك الفارسي الجديد كافاد الأمير فاراجتيروتس بن سمبات باكراتوني مارزباناً لأرمينيا ودخل ثيودور رشتوني معه إلى حلبة السياسة في أرمينيا الشرقية. لكن كان على فاراجتيروتس الهرب غرباً بسبب مؤامرة حيكت ضده.

. سيبيوس، 102.

ظل القائد ثيودور رشتوني في أرمينيا الفارسية رغم عدم رسمه مارزباناً رسمياً ومع ذلك كان في الواقع الحاكم الفعلي للبلاد.

أثار مجيج كنوني الأمراء الأرمن في القسم البيزنطي من أرمينيا ضده بسبب اعتقاله لمنافسه دافيت ساهاروني وشاء إرساله إلى القسطنطينية متهماً إياه بالإشتراك في قتل الإمبراطور هرقل. إلا أن دافيتاً أفلح في الفرار وجمع قوات ورفع راية الثورة وقتل مجيج كنوني فانتخبه الأمراء الأرمن الثائرون أميراً للبلاد وثبّته الإمبراطور في هذا المنصب.

لم تكن الأوضاع راسخة في القسم البيزنطي من أرمينيا كذلك في القسم الفارسي. بعد إخضاع القسم الأكبر من مساحات أرمينيا أقام البيزنطيون نظاماً إدارياً لم يُفلح قط في إرضاء السكان الأرمن التواقين إلى التحرر وإقامة دولتهم الخاصة لأن بيزنطة كانت ترغب في تحويل أرمينيا إلى إحدى مقاطعاتها بعد إزالة جميع ملامح الحكم الذاتي القومي وعلى وجه الخصوص حقوق عائلات الأرمن الوراثية فأضعفت هذه السياسة أرمينيا وشرّعت الدرب واسعاً أمام فاتح جديد وتحديداً الخلافة العربية.

(2) احتلال العرب لمناطق ما بين النهرين

كانت الأوضاع الإجتماعية-الإقتصادية بين القرنين 6-7 م في المجتمع العربي سبب الفتوحات بعد أن وحّد مؤسس الإسلام محمد شبه الجزيرة العربية سياسياً سنة 630م تقريباً. إحتل "الجهاد"، الحرب من أجل الإيمان، موقعاً بارزاً في العقيدة الإسلامية ضد البلدان غير الإسلامية. نظر المسلمون إلى الأرض والممتلكات الثابتة الأخرى على أنها مُلك مشاع لجميع المسلمين فقط لكنها تظل تحت تصرف رأس الدولة: الخليفة ورعايته.

Istoria Irana, 84-86, بالروسية

وجّهت الحملة الأولى على فلسطين وسوريا ثم بلاد ما بين النهرين وكان العرب قد إستوطنوا فيها قبل ظهور الإسلام. قرر العرب الهجوم على فلسطين البيزنطية وانتصروا في معركة اليرموك على الروم سنة 636م ففقد الإمبراطور هرقل كل رجاء للقتال في سوريا ثم احتل العرب أنطاكيا عام 638م.

أوهن اندحار بيزنطة موقعها في البلدان الشرقية في أرمينيا وبلاد ما بين النهرين تحديداً. تلقت إيران الساسانية بدورها ضربة مدمرة من العرب. وكانت مناطق ما بين النهرين العليا مقسمة إلى شطرين قبيل الفتوحات العربية: بيزنطي وفارسي. وكان الشطر البيزنطي يحوي مقاطعات مركزها آمد وOsroené ومركزها إديسا (أورفا، الرها-المترجم). وكانت

أرمينيا الرابعة تحاذي ما بين النهرين ومركزها مارتيروبوليس وانفصلت مناطقها الشمالية لاحقاً عن ولاية الجزيرة العربية. تطلع العرب بعد ذلك إلى احتلال ما بين النهرين بعد فتح سوريا سنة 638م.

N.Pigulevskaya, Vizantia i Iran, 286, بالروسية

إستلم القائد العربي عيّاض بن غنم أمراً من الخليفة عمر بن الخطاب سنة 18 هـ=639م للهجوم على ما بين النهرين ووضعها تحت إدارته.

. البلاذري، 172.

كانت القوات العربية مشكلة من 5,000 مقاتل يقودها، خلا عياض بن غنم، صفوان بن معطّل السُلّمي وسواهما واجتاحت ما بين النهرين في شعبان سنة 18 هـ= آب عام 639م عبر نهر الفرات وطوّقوا مدينة كاللينيكوس (الرقة–المترجم) وأكرهوا بَطْريقها على إقامة الصلح بعد مرور عدة أيام. قرر العرب بعد ذلك اجتياح حرّان. وبسبب عدم تمكنهم من احتلالها إقتربوا من الرها واحتلوها خلال مدة قصيرة لعدم وجود مقاومة كافية ضدهم.
قفل عياض راجعاً إلى حرّان من الرها وأرسل القائدين صفوان وحبيب بن مَسلمة شمالاً لاحتلال مدينة سميساط على نهر الفرات الهامة استراتيجياً. وكان الهدف من هذه المناورة عزل مناطق ما بين النهرين عن الإمبراطورية البيزنطية. قام العرب بعد ذلك بعقد معاهدة صلح مع حرّان بشروط أُبرمت مع الرها. أسرع عياض شمالاً يرافقه صغوان وحبيب وحارب سميساط وأضحى احتلال مدينة Osroené يسيراً. بناء على معلومات البلاذري عُقدت معاهدات صلح مع جميع المدن التي فتحها العرب على نمط معاهدة صلح الرها.

. البلاذري، 175.

احتل العرب آمد بسهولة ومنطقة أغدزنيك الأرمنية مع مدينة مارتيروبوليس (نبركيرت، مايفاركات، ميّافارقين)، المناطق المركزية لأرمينيا الرابعة، طور عابدين، ماردين ودارا.

بناء على البلاذري أخضع عيَاض ناحية أندزيفادزيك الأرمنية أيضاً (زوازان). جرت هذه الأحداث عام 640م. ثم تحرك عيّاض شمالاً في خريف العام نفسه واحتل أرزان وباليش (باليس) عبر ممر جبلي في وسط أرمينيا واقتحم مناطقها. فقام البيزنطيون بمحاولة أخيرة لإيقاف العدو. سارت فرقتان من القوات البيزنطية في أرمينيا الرابعة أو مناطق الفرات المجاورة وكان الأمير الأرمني دافيت ساهاروني يقود الفرقة الأولى ويترأس القائد اليوناني فالنتين الفرقة الثانية. إتفق القائدان على تحرك الجيش الأول شرقاً عبر منطقة تارون من خلال ممر ناهاك والثاني غرباً من كيليكيا. علم العرب بهذه التدبيرات فأرسلوا قواتهم ضد فالنتين أولاً فالتحمت مع قواته وأبادت جميع محاربيها ثم هزموا جيش دافيت.

Pigulevskaya, Vizantia i Iran, 287-288, بالروسية

كانت منطقة أديابين ومركزها أربيلا (أربيل الحالية في كردستان العراق–المترجم) ومقاطعات أخرى في ما بين النهرين العليا تقع في يد الفرس وتقطنها قبائل كردية رحّل. دخل العرب إلى أديابين عنوةً سنة 641م بعد انتصارهم في القادسية.

Viltchevski, Kourdi, 116, بالروسية

شرّعت انتصارات قوات الخلافة في بلاد ما بين النهرين الشمالية على البيزنطيين والفرس الطريق واسعةً نحو أرمينيا. وكان العرب قد إستولوا على منطقتين أرمنيتين: أغدزنيك وكورجايك في هذا الوقت وأفاموا قواعدهم منصةَ انطلاق لفتوحاتهم اللاحقة.

(3) توحيد أراضي أرمينيا والغزوة العربية الأولى

ساهم اندحار فارس وبيزنطة في تحرير أرمينيا من هيمنتهما وتوحيد الأراضي الأرمنية. ثار الأمراء الأرمن والقوات الأرمنية ضد الأمير دافيت ساهاروني سنة 639م ونفوذه وأصبح ثيودور رشتوني مرزبان أرمينيا وقائدها ووحد شطريها البيزنطي والفارسي وتراجع بالتالي اعتمادها على بيزنطة.

لم يُفلح ثسودور في إقامة حكم متماسك في السنوات الأولى من عهده. بناء على شهادات مؤرخين معاصرين دمّر إقطاعيو أرمينيا البلاد بفضل انغماسهم في خلافات فيما بينهم. لم يكن معظمهم منظماً عندما تبوأ ثيودورمنصب أمير أرمينيا. بالإضافة إلى ذلك قام ثيودور بمهمة قيادة الجيش ومنصب بطريق جميع مقاطعات أرمينيا الكبرى. بناء على شهادة المؤرخ الأرمني سيبيوس المعاصر في القرن 7 م: "إهتم ثيودورالباسل، التقي وأمير مقاطعة رشتونيك ببناء جيش وبفضل حكمته الرائعة حافظ على البلاد. وكونه حارساً للبلاد ليلاً–نهاراً سبب أضراراً غير فليلة للعدو".

. سيبيوس، 115.

لم يتمركز ثيودور في العاصمة دفين بل على أملاكه في جزيرة أغتامار على بحيرة فان بعد تحصينها ومنها ذاد عن بلاده. وعند روايته لأحداث السنوات التالية سمّى سيبيوس ثيودوراً "أمير أرمينيا" رغم أن سلطته كانت اسمية إلى حد ما. لم تترسّخ وحدة شطري أرمينيا واستقلالها بشكل كافٍ بسبب تشظّي الحياة الإقطاعية لذلك لم يكن الأرمن في وضعية مقاومة العرب.

Pigulevskaya, Vizantia i Iran, 181.
Theophanes, Chronographia, I, 569.

. سيبيوس، 108، بالأرمنية.

بعد احتلال مناطق ما بين النهرين العليا، وأغدزنيك على وجه التحديد، في خريف عام 10 هـ=640م دخل العرب إلى أرمينيا عنوةً. فأسرع الأمير ثيودور رشتوني جنوباً لإغلاق

ممر جورا الجبلي إلا أن عيّاض بن غنم أفلح في عبوره وولج إلى منطقة تارون حرباً. بناء على كتاب "تاريخ تارون" أظهر حاكمها ديران ماميكونيان مع 8,000 من مقاتليه مقاومة قوية للقوات العربية المشكلة من 18,000 عنصر بقيادة عبد الرحيم ابن شقيق (ابن شقيقة) النبي محمد. وعندما انضم ساهور أندزيفاتسي إلى جانب العرب مع جنوده أضحت نتيجة المعركة مقررة.

Istoria Tovma Ardzrouni, 285-286.

أخضع عيّاض بطريق خلاط (أخلاط)، من المحتمل الأمير ماميكونيان ذاته، وبعد تقديم الأمان له تحرك شمالاً نحو "العين الحميدة" ذات المياه المعدنية التي لا علم بموقعها الدقيق.

. البلاذري، 14.

لم يستمر عيّاض في حملته بل قفل راجعاً إلى بيدليس واستمرت قواته بالتحرك على محور بزنونيك . أغيوفيت . بيركري . كوغوفيت ونهايةً العاصمة الأرمنية دفين (دبيل حسب تسمية العرب–المترجم). وكانت العاصمة بدون حماية كما كان ثيودور رشتوني ينتظر ويشترك في إدارتها ثلاثة أمراء في مقاطعة أيرارات وتحديداً الأمير ثيودور فاهيفوني، خاتشيان آراميان وشابوه أماتوني الذين أفلحوا مع ذلك في إعادة جمع القوات المشتتة وهدم الجسر على نهر ميدزامور القريب من المدينة. حذّروا جامعي محصول العنب وجلبوهم إلى القلعة. أخّر هدم الجسر اجتياح العرب إلا أنهم عبروا النهر بمساعدة الأمير فارتيك موكاتسي الذي كان قد خضع لهم أثناء فتوحات مناطق ما بين النهرين الشمالية. إجتاح العرب جميع المناطق المجاورة للعاصمة واصطحبوا معهم عدداً لا يحصى من الأسرى وتوقفوا عند غابة خوسروفاكيرت. أضرموا النيران حول المدينة في اليوم الخامس لطرد المدافعين عن سور المدينة وحاملي السهام بالدخان الكثيف ووضعوا السلالم وصعدوا على أسوارها. دخل العرب إلى دفين في اليوم السابع للحصار. جرى ذلك في يوم الخميس من

شهر Tré الأرمني الموافق 6 تشرين الأول سنة 640م وأبادوا 12,000 من سكانها الأرمن.

. ديونيسيوس تل محري، 6.

. سيبيوس، 109–110.

Hagop Manandian, Krititcheski Abzor, t.III, 178, بالروسية

ظل تحديد تاريخ هذا الاجتياح العربي موضوع جدال كحال جميع تواريخ الاجتياحات في القرن 7 م.

. م.تشاميتشيان، تاريخ أرمينيا، الجزء 2، 342، بالأرمنية.

Istoria Tarona, 285.
E.Dulaurier, Recherches, 225.
M.Ghazarian, Armenien, 16-17.
Hagop Manandian, Ibid, 174-188.

عاد العرب على الطريق نفسها بعد بضعة أيام من هذا الاجتياح ونهبوا العاصمة الأرمنية دفين واصطحبوا معهم أسرى عديدين آخرين. نصب لهم ثيودور رشتوني كميناً في منطقة كوغوفيت وحرر 35,000 أسيراً بناء على شهادة المؤرخ الأرمني من القرن 7 م سيبيوس الذي كان شاهداً على العصر. مع ذلك لا يمكننا التصوّر أن عدداً كبيراً من الأسرى كهذا يمكن أن يبقى بيد بضعة آلاف من المحاربين. رغم كل ذلك لم يُفلح أمير أرمينيا في تحقيق مخططه وعاد العرب شمالاً نحو مناطق ما بين النهرين. بعد هذا الاجتياح العربي ظهرت ضرورة إقامة حكم راسخ في أرمينيا.

لجأ بعض الأمراء الأرمن والكاثوليكوس نرسيس Tayetsi الثالث 641–661م، المنتخب حديثاً، إلى الإمبراطور البيزنطي الجديد قسطنطين الثاني بطلب رسمي للاعتراف بثيودور رشتوني أميراً لأرمينيا. وافق الإمبراطور معترفاً بثيودور بطريقاً لأرمينيا وقائداً عاماً لقواتها المسلحة وأرسل في الوقت ذاته القائد بروكوبيوس برفقة قوات بيزنطية لمساعدة ثيودور

ضد الإحتياحات العربية. ورداً على الهجمات العربية بادرت القوات الأرمنية والبيزنطية المشتركة في اجتياح منطقة الجزيرة في أراضي الخلافة سنة 642م تقريباً بناء على رأي المؤرخ هاكوب ماناندیان.

. هاكوب ماناندیان، الجزء 2، 174-178.

عبرت هذه الجيوش المشتركة منطقة أغدزنيك ووصلت إلى باتنا سيروك الواقعة جنوبي-غربي الرها. وبناء على شهادة المؤرخ السرياني ديونيسيوس تل محري سببت هذه القوات خسائر كبيرة للعرب وقفلت عائدة إلى أرمينيا.

. ديونيسيوس تل محري، 7.

إستمر العرب في هجماتهم واجتياحاتهم على أرمينيا عبر طرق أخرى في هذه المرة وتحديداً من جهة آذربيجان (إستخلصَت آذربيجان من كلمة أترباتاكان بعد تشويهها لفظياً). تعزز احتلال آذربيجان من قبل العرب بعد انكسار الفرس في معركتي القادسية ونهاوند 639-643م.

V.Minorsky, Adharbaidjan, Encyclopaedia of Islam, New ed., I, 194.

قرر حُذيفة بن اليمان الهجوم من جهة نهاوند وقوات أخرى من جهة شاهرزور في عهد الخليفة عمر بن الخطاب. عقد حُذيفة صلحاً مع المارزبان المتمركز في أردبيل في ذلك الوقت بتقديم جزية عن كل فرد إلى الخليفة. دخلت في تركيبة آذربيجان مناطق ضُمت من مملكة أرمينيا الكبرى سنة 387م تقع شرقي بحيرة أورميا فتحولت آذربيجان المجاورة لأرمينيا إلى قاعدة لانطلاق القوات العربية.

. غيفوند، 6-8.

إجتاح العرب منطقتي أرمينيا كوغتن وناخيتشيفان (نشوى حسب لفظ العرب–المترجم) في حوالي عام 642–643م من طرف آذربيجان ثم قاموا بتدميرهما، تفريغهما من سكانها الأصليين، قتل وسبي العديدين منهم وعبروا نهر آراكس (الرس حسب تسمية العرب–المترجم) عبر منخفض جولفا. إنقسم جيش العرب بعدئذ إلى جماعتين: رافقت إحداهما الأسرى إلى قلب البلاد وقررت الأخرى الهجوم على مقاطعة أرتاز. وكان جيش بروكوبيوس اليوناني متواجداً في منطقة كوغوفيت في هذه المقاطعة إلا أن خلافاً نشب بينه وبين ثيودور رشتوني مما أدى إلى فشل رد هجوم القوات العربية القوية إلى الخلف ومقاومتها فقد كانت مشكلة من 10,000 عنصر. نبّه ثيودور بروكوبيوس على ضرورة الاحتماء أمام اجتياح العرب. فلم يأبه هذا بالتحذير فقرر الأمير الأرمني الهجوم على العرب بدون دعمه واحتل ممر كان يتمركز فيه عدد كبير من المقاتلين العرب وقتل العديدين ففر الباقون إلى منطقة كارين على الطرف الشمالي–الشرقي من بحيرة فان. فأمر بروكوبيوس قواته وعدد عناصرها 60,000 محارباً، بناء على شهادة المؤرخ الأرمني غيفوند، الهجوم على العدو لأن العرب كانوا قد منعوا انتصار الروم عند مارتوتسايك (مارتاستان) وأبادوا القسم الأكبر من جيشهم ثم عادوا.

. غيفوند، 8.

تحدث الطبري، ومن المحتمل آخرون أيضاً، حول هذه الحملة. بناء عليه قرر الوليد بن عُقبة غزو آذربيجان سنة 24 هـ=644–645م وأخضعها لأنه ، بعد وفاة الخليفة عمر بن الخطاب، ثار شعبه. أُكره الوليد على دفع 800,000 درهماً لهم كما كان متفقاً مع الخليفة عام 642–643م. أرسل الوليد مَسْلَمة بن ربيعة البهيلي إلى "أرض أرمينيا برفقة 12,000 محارباً فقتل هذا خلقاً كثيراً واتخذ أسرى عديدين بحيث أرضى الوليد"

. الطبري، الجزء 4، 246–247.

علينا الاعتراف أن تاريخ هذه الغزوة والأحداث التي جرت عند مارتوتسايك موضوع خلاف. بناء على ي.ماركفارت حدث هذا الاجتياح سنة 653م أو 654م بينما يعتبر آخرون أنه في سنة 637م.

J.Marquart, Osteuropäische und Ostasiatische Streifzüge Leipzig 1903, 441.

. غيفوند آليشان، أيرارات، 495، بالأرمنية.

وللتأكيد على هذه الحقيقة علينا الأخذ بعين الاعتبار رأي المؤرخ الأرمني من القرن 8 م غيفوند الذي، بناء على رأيه، قرر العرب الهجوم في حوالي سنة 22 هـ=643م.

. غيفوند 8، بالأرمنية.

مع ذلك تقرر القيام بالحملة سنة 642–644م بعد حملة ثيودور وبروكوبيوس المشتركة على مناطق بلاد ما بين النهرين. لقد جرت حملة العرب على أرمينيا عبر سوريا بشكل أساسي. عُين معاوية حاكماً على سوريا سنة 640م تقريباً بعد وفاة أبي عبيدة بن الجرّاح مباشرة وكان يتمتع بوضعية مستقلة حتى في سنوات خلافة عمر على وجه الخصوص وفي عهد قريبه الخليفة عثمان 644–656م الذي كان يثق به تماماً. إعتمد معاوية على القبائل العربية الجنوبية، التي انتقلت من سوريا، ونظّم جيشاً معروفاً بانضباطه

H.Lamens, La Strie, I, Beyrouth 1921, 64.

وعيّن قواداً مشهورين لجيشه كعيّاض بن غنم وحبيب بن مَسْلَمة الفهري اللذين اشتركا في فتح سوريا وما بين النهرين عندما أصبح معاوية حاكم سوريا (الشام) ومناطق ما بين النهرين. وكان حبيب قد أُرسل إلى سميساط أثناء الحروب ضد بيزنطة في القسم البيزنطي من بلاد ما بين النهرين. وبعد محاربتها سنة 640–644م قرر القيام بعدة غزوات ضدها في المناطق الفراتية في أرمينيا الثالثة وأرمينيا الرابعة. وبناء على معلومات اليعقوبي أرسل الخليفة عمر حبيباً إلى أرض الروم سنة 20 هـ=640–641م لكن ليس معلوماً إلى أي موقع كان يرمي إليه هذا المؤرخ العربي.

. اليعقوبي، الجزء 2، 155.

بناء على المصادر العربية جرت صدامات قوية بين العرب والبيزنطيين في نهاية خلافة عمر وبدايات خلافة عثمان سنة 644–645م. وحسب معلومات الطبري بعد اجتياح أرمينيا في عام 24 هـ=644–645م من جهة آذربيجان وصلت للخليفة عثمان أنباء حول هجوم بيزنطي كبير.

. الطبري، الجزء 4، 247–248.

بناء على أوامر عثمان أرسل الوليد سليماناً بن ربيعة لملاقاة البيزنطيين بجيش من 6,000 محارب من أهل الكوفة برفقة محاربين سوريين بقيادة حبيب بن مَسْلَمة واجتاحوا بيزنطة عنوةً واحتلوا قلاعاً.

من النواحي الشيقة أن المؤرخين العرب ينسبون حملة حبيب على أرمينيا إلى هذا الوقت. وحسب مصادر عربية عديدة قرر حبيب اجتياح أرمينيا في حوالي عام 644م. وبناء على شهادة البلاذري أمر الخليفة عثمان بإرسال حبيب إلى أرمينيا بعد استلامه الحكم.

. البلاذري، 197.

يشهد اليعقوبي أن الخليفة عمر أرسل حبيباً إلى أرمينيا سنة 23هـ=643–644م لدعم سلمان بن ربيعة الذي وصل لعند حبيب بعد وفاة الخليفة عمر. جرت هذه الأحداث في السنة الأخيرة من حكم الخليفة عمر والسنوات الأولى لصعود الخليفة عثمان على سدة الخلافة.

. اليعقوبي، الجزء 2، 157.

يؤكد الطبري وابن الأثير وسواهما أن حبيباً قرر القيام بحملة على أرمينيا سنة 24هـ=644–645م.

. الطبري، الجزء 6، 248.

. ابن الأثير، 43.

من المعلوم أيضاً أن المؤرخ الأرمني المعاصر من القرن 7 م سيبيوس أكد على أن حملة حبيب على أرمينيا جرت بعد حملة الإمبراطور قسطنطين الثاني.

. سيبيوس، 152–153.

أكد اليعقوبي كذلك على أن حملة حبيب جرت عام 31هـ=651–652م واستطرد قائلاً إن خلافاً دبّ بين حبيب وسلمان حتى إغتيال الخليفة عثمان سنة 656م. كرر الطبري بدوره هذا التاريخ.

. اليعقوبي، الجزء 2، 168.

. الطبري، الجزء 4، 292.

طبعاً ليس هناك أدنى ريب أن حملة حبيب الكبيرة جرت في خمسينيات القرن 7 م. ويشهد البلاذري أن هذه الحملة كانت مقررة ضد أرمينيا الرابعة.

. البلاذري، 187.

بناء على رأيه أمر عثمان، الذي كان في التو قد تربّع على عرش الخلافة، معاوية حاكم سوريا، الجزيرة والمقاطعات المجاورة، إرسال حبيب لمحاربة البيزنطيين. قاتل حبيب مع صفوان بن المعطّل مدينة شميشاط (سميساط) في أرمينيا الرابعة. ولهذه الحملة أهمية حيوية كبيرة للعرب لأنها كانت موجهة إلى عدوتهم الرئيسية بيزنطة. نضيف أن المؤرخ البيزنطي ثيوفان ذكر أن حملة حبيب على أرمينيا جرت في عام 6145 للخليقة=645م تقريباً. إلا أن حبيباً لم يتوغل إلى داخل أرمينيا في عام 644م لأن ثيودور رشتوني كان يحكمها ومن هنا الصمت المطبق للمؤرخين الأرمن حول حملة حبيب الأولى على أرمينيا.

Theophanus Chronographia, I, 528.

كان داعي حملة العرب لاحتلال أرمينيا الرابعة في هذه المرحلة عزلها عن أرمينيا الكبرى فاضطر حبيب للتوجه شمالاً إلا أنه فشل في احتلال قلعة كاماخ (آني) فسار بالتالي إلى أرمينيا الثالثة واحتل ميليتينيه (مالاطيا) وبلغ زابيتري (زوباترا).

. البلاذري، 184-185، 191.

(4) سياسة ثيودور رشتوني

كان قَدَر أرمينيا في القرن 7 م متعلقاً كاملاً بعواقب حروب العرب ضد البيزنطيين. خفّ الصراع بين الطرفين من أجل آسيا الصغرى لفترة وجيزة في بداية عهد خلافة عمر لأن العرب كانوا منشغلين بأمور الحرب مع إيران في الشرق وغرباً في الشمال الإفريقي فحاولت بيزنطة إيجاد طرق مهادنة مع العرب في آسيا الصغرى بين الأعوام 645-649م.

. البلاذري، 187.

سعى أمير أرمينيا ثيودور رشتوني إلى إتباع سياسة مستقلة وخاصة أن الخلافات بينه وبين القائد البيزنطي، كما ذكرنا سابقاً، كانت عميقة إلى حد أضحت سبباً للهزيمة أمام العرب سنة 642-643م في مارتوتسايك مما أدى إلى حصر حكمه على الإقطاعيين الأرمن أصحاب الطموحات الإنفصالية. وتعمقت هذه الخلافات أكثر في عهد الكاثوليكوس نرسيس الثالث.

كان في أرمينيا في هذا الوقت من عام 646م بيروقراطي يدعى طوماس (فوما) وحّد تحت حكمه جميع العائلات الكبيرة واتجه إلى "زعيم العرب" (من المحتمل معاوية) وعقد معه معاهدة صلح. وبعد عودته إلى أرمينيا هاجم ثيودور رشتوني على حين غرة واعتقله وأرسله إلى الإمبراطور البيزنطي. من المحتمل لم يتصرف فوما بناء على تعليمات قسطنطين الثاني بل بمادرته الشخصية تحت ضغط معارضي ثيودور من إقطاعيي

أرمينيا. غضب الإمبراطور في القسطنطينية واستقبل ثيودوراً بحفاوة بالغة وأمر بنزع سلاسله وعيّن له راتباً من الخزينة. بُرِّئ ثيودور وحُرم فوما من منصبه.

. سيبيوس، 116.

قابل ثيودور رشتوني في القسطنطينية فاراجتيروتس باكراتوني الذي كان قد عاد من المنفى في الشمال الإفريقي برجاء أمراء ثيودور المتنفذين بناء على شهادة سيبيوس، المؤرخ الأرمني من القرن 7 م. وكان فاراجتيروتس وثيودور رشتوني على علاقة حميمة لأنهما ترعرعا سوية في قصر الملك الفارسي خسروف الثاني. بناء على شهادة سيبيوس لم يرغب فاراجتيروتس في الخضوع لليونانيين فتعمّد "الغش". رجا قسطنطين الثاني إطلاق سراح 4 رجال من عائلة الباكراتونيين في أرمينيا ونقل أموالهم. سافر ثيودور رشتوني بحراً واستقر في مقاطعة تايك في أرمينيا وتحصّن فيها واستقبله الأمراء المحليون بكل حبور. عُلم بعد ذلك بسرعة أن فاراجتيروتس باكراتوني موجود في أرمينيا فعمّ شغب كبير في البلاد ويبدو أنه كان له موالون عديدون بين إقطاعيي أرمينيا. لم يتأخر وصول الفرمان الإمبراطوري الذي أمر باحتلال جميع مخارج الطرق وإجراء التفتيش. إتجه إقطاعيو أرمينيا والقادة العسكريون برئاسة ثيودور إلى الكاثوليكوس نرسيس الثاني وأرسلوه إلى فاراجتيروتس لقبول منصب أمير أرمينيا. أعطى فاراجتيروتس موافقته فرجا أمراء أرمينيا من الإمبراطور قسطنطين الثاني تثبيته في هذا المنصب. لكن فاراجتيروتس مع ذلك بعث رسالة إلى الإمبراطور أنهم كانوا قد هددوه في القسطنطينية بإرساله إلى المنفى فارتعد وفرّ. أمر الإمبراطور تعيينه كوروبالاتاً ومنحه سلطة أمير أرمينيا. كذلك أمر بإرسال زوجته وأولاده باحترام كبير مع هدايا. إلا أن فاراجتيروتس مرض فجأة وتوفي قبل حصوله على أمر الإمبراطور ودُفن في موطنه في داروينك.

. غيفوند، 19.

لم يؤثر بقاء فاراجتيروتس باكراتوني القصير على ساحة السياسة في أرمينيا ووفاته على أوضاع البلاد. أرسل الإمبراطور ثيودور رشتوني إلى أرمينيا باحترامات كبيرة وأعاد له كامل سلطاته "وتم تثبيته أميراً لأرمينيا أَرَضيَ أمراء أرمينيا أم لا" بناء على شهادة المؤرخ الأرمني سيبيوس ملمّحاً طبعاً إلى أن غالبية الأمراء الإقطاعيين كانوا معارضين له. وكان ثيودور رشتوني الشخص الوحيد بدون أدنى ريب الذي كان بوسعه تصحيح أحوال أرمينيا في هذه الفترة الحالكة.

شرع العرب في الهجوم ثانية على آسيا الصغرى في نهايات أربعينيات القرن 7 م. شاد معاوية سفن البحرية العربية على الشواطئ السورية وأنجز العمل سنة 649م. احتل الأسطول جزيرتي قبرص وأرادوس (أرواد–المترجم) غير البعيدة عن الشواطئ السورية بعد سنة. إستمرت الحملات البحرية العربية حتى اغتيال الخليفة عثمان فضعفت مواقع بيزنطة في الشرق. لذلك تبنى ثيودور رشتوني سياسة خارجية حذرة أثناء هذه الأحوال المستجدة فنالت أرمينيا بعض الأمان وظروفاً مناسبة لتطوير إقتصاد البلاد. لكن ذلك لم يَرُق لبيزنطة. بناء على شهادة المؤرخ الأرمني سيبيوس كان موقف الإمبراطورية تجاه أرمينيا كالتالي: "....لكن التنّين المارد لم يكن نائماً. إلتحم في قتال مع الله بفضل مكره وغدره وينوي الآن إضطهاد كنيسة الأرمن".

. سيبيوس، 120–121.

حاكت القوات البيزنطية، المتمركزة في أرمينيا، نزاعاً مع الأرمن عبر تجديد الخلافات الدينية–المذهبية القديمة وأسمعوا الإمبراطور والبطريرك البيزنطي نميمةً أن الأرمن يعتبرون اليونانيين غير شرعيين ويزدرون مَجْمَع خلقيدونيا ورسالة ليو". أشارت السياسات البيزنطية إلى أن عصور إكراه الأرمن على قبول العقيدة الخلقيدونية قد ولّت. دعا الإمبراطور قسطنطين الثاني، بالإتفاق مع البطريرك، الأرمنَ للتوحّد مع عقيدة البيزنطيين. ولتحقيق هذه المهمة أرسل شخصاً أرمنياً من باكافان يُدعى دافيت درس الفلسفة في القسطنطينية. فاجتمع الأساقفة والأمراء الأرمن برئاسة الكاثوليكوس نرسيس والأمير

ثيودور رشتوني في دفين. حاول دافيت استمالة الأرمن وإغرائهم بقبول عقيدة الكنيسة اليونانية الديوفيزيتية إلا أن الأرمن لم يوافقوا على إبدال عقيدة المنوِّر كريكور برسالة ليو".

. سيبيوس، 121.

. البطريرك ماغاكيا أورمانيان، أزكاباتوم، 717-719.

نجد في "تاريخ" سيبيوس تفسير نص الأرمن على الرسالة التي استلموها. يذكّر فيه الأرمن البيزنطيين بوجود خلافات دينية في عهد الساسانيين أيضاً ومع ذلك إنتصرت الكنيسة الأرمنية دائماً. فأكد أساقفة أرمينيا على أنهم يأملون من بيزنطة المسيحية إقامة علاقات أكثر ودية من فارس الزرادشتية.

. سيبيوس، 124.

ولأسباب غير معلومة لم تُبعث هذه الرسالة إلى الإمبراطور قسطنطين الثاني وهي وثيقة تاريخية هامة إلى حد ما لدراسة العلاقات الأرمنية-البيزنطية في القرن 7 م. كذلك من الصعوبة بمكان تحديد تاريخ إجتماع دفين الدقيق ويبدو أنه إنعقد في عام 645م أو 649م.

إحتل العرب قلعة أرتساب بعد فترة طويلة. بناء على شهادة سيبيوس جرى الهجوم في السنة الثانية لصعود كونستانس على عرش الإمبراطورية.

. سيبيوس، 119.

أكد باحثون عديدون منهم ي.دولورييه، م.غازاريان، ماركفارت وسواهم على أن هذه الحملة جرت في حوالي عام 643م لعلاقاتها مع أحوال مارتوتسايك.

E.Dulaurier, Recherches, 231-232.

M.Ghazarian, Armenien, 18-19.

أكد المؤرخ هاكوب ماناندیان على أن هجوم العرب على قلعة أرزان جرى سنة 650م تقريباً.

. هاكوب مانانديان، تاريخ أرمينيا، نظرة تحليلية، الجزء 2، 193-201.

تكمن المسألة في أن المؤرخين الأرمنيين الأكثر موثوقية سيبيوس من القرن 7 م وغيفوند من القرن 8 م يفرّقان بجلاء بين أحداث جرت في مارتوتسايك وأحداث أرتساب ويؤكدان على أنها مستقلة عن بعضها. ورغم معاصرة سيبيوس لهذه الأحداث إلا أنه لم يذكرها بإسهاب بل ذكّرنا فقط باتهام اليونانيين لثيودور رشتوني لاتفاقه مع العرب وأضحى سبباً لاندحار اليونانيين في مارتوتسايك.

. سيبيوس، 141.

أما ما يتّصل بوصف الهجوم على أرتساب فقد سرد سيبيوس، رغم نسب الحملة الثانية إلى اعتلاء كونستانس على العرش في بداية روايته بعد الكتابة حول أحداث الأربعينيات أي قدوم فاراجتيروتس باكراتوني سنة 646م ثم عودة ثيودور رشتوني، أن العرب هاجموا أرتساب بعد مرور سنة. خلا ذلك، وبناء على غيفوند، مرّت 10 سنوات على حملة العرب على العاصمة دبيل.

. غيفوند، 17.

وهكذا، إجتاح العرب أرض أرمينيا سنة 650م تقريباً من جهة آذربيجان. وقبل الشروع في الهجوم إنقسم الجيش العربي إلى 3 مجموعات:

أ . إتجهت المجموعة الأولى إلى عمق أرمينيا وتحديداً نحو مقاطعة أيرارات.

ب . سارت الثانية باتجاه مقاطعة فاسبوراكان (باسفرجان).

ج . إجتاحت الثالثة حرّان.

إكتسح العرب فاسبوراكان وأسروا العديدين ثم اتجهوا نحو يريفان في مقاطعة فاسبوراكان لكنهم فشلوا في احتلال قلعتها. طوّقوا كذلك مدينة Ordsp بدون فلاح. نهايةً، ملكوا مدينة

أرتساب إلا أن حصار قلعتها سبب لهم خسائر فادحة. تمكن الأرمن مع ذلك من بلوغ قلعة داريونك عبر ممر ضيق لطلب المساعدة. فقدم لهم فاراز–ساهاك بن سمبات باكراتوني 40 مقاتلاً فقط. إقتحم العرب القلعة عنوةً في يوم الأحد من شهر Hori الأرمني (8 آب) وقاموا بنهبها وأبادوا الملتجئين إليها. إلا أن ثيودور رشتوني فاجأهم وعرّضهم لاندحار قاسٍ لم ينجُ أي مقاتل من أصل الـ 3,000 بالإضافة إلى القائدين عثمان وعقبة. إلا أن محاربي قوات العدو في منطقة آرارات مرّوا من خلال النيران والسيوف حتى Tayk ثم هاجموا كارتلي وانضموا إلى العرب، الذين لم يُفلحوا في حصار ناخيتشيفان (نشوى)، واحتلوا قلعة خرام وأعمل الجنود العرب السيف في رقاب السكان واقتادوا النساء والأطفال إلى الأسر.

. سيبيوس، 118.

. كتاب قانون الأرمن، الجزء 2، 205–206.

. غيفوند، 11.

كانت أرمينيا في الواقع غير محصّنة ولم تدافع الإمبراطورية البيزنطية بدورها عن البلاد أمام اجتياحات العرب فحسب، بل على النقيض من ذلك أثارت جدالات دينية–مذهبية. بادر ثيودور رشتوني إلى اتخاذ خطوة جسورة مقدامة أمام هذه الأحوال المعقّدة التي كانت لها عواقبها المشؤومة على قدر الدولة الأرمنية في القرن 7 م. قطع علاقاته مع بيزنطة وأقام محادثات مع معاوية وقَبِلَ بخضوع أرمينيا ظاهرياً للخلافة. وصف المؤرخ الأرمني سيبيوس معاهدة الصلح بين العرب والأرمن على لسان معاوية: "هكذا ستكون معاهدة الصلح بيني وبينكم. لن آخذ منكم جزيةً مدة 3 سنوات وبعد مرورها إدفعوا بقدر ما تستطيعون. أقسم على ما أقول. حافظوا على أرضكم بقوةً مؤلفة من 15,000 فارس وأمّنوا نفقاتها من خزينة بلادكم وسأعتبرها من أصل الجزية. لن أدعو فرقة فرسانكم إلى سوريا لكن عليها أن تكون جاهزة مع قادتها للهجوم في أمكنة أخرى حيث أحتاج إليها. لن أرسل أمراء (قادة) إلى قلاعكم ولا قوات عربية حتى فارس واحد. لن يهاجم أي عدو

أرمينيا. أما إذا هاجمكم الروم سأبعث قوات لمساعدتكم بالعدد الذي ترغبون. أقسم بالله العظيم أنني لن أكذب عليكم".

. سيبيوس، 116-117.

بناء على ظروف المعاهدة الأرمنية-العربية إعترفت أرمينيا بسلطة الخلافة وحافظت بالتالي على استقلالها الذاتي. إن تعبير معاوية في عدم استدعاء الفرسان الأرمن إلى سوريا يعني أن هذه الفرقة لم تكن مُلزمةً بالإشتراك في الحرب ضد بيزنطة في المقاطعات الحدودية (الثغور-المترجم). في الوقت ذاته لن تتمركز قوات عربية أو بيزنطية على أرض أرمينيا. وعندما يتحدث سيبيوس أن الأرمن ثاروا ضد بيزنطة فإنه يأخذ بالحسبان رفض الأرمن الإتحاد مع بيزنطة لذلك على قواتها الإبتعاد عن أرمينيا. وهكذا إنتهت المحادثات باتفاق جميع الأمراء الإقطاعيين الأرمن.

. سيبيوس، 152.

رغم ذلك كانت بينهم مشكلات إكليركية. وكان سيبيوس يتعاطف مع ثيودور رشتوني ويكنّ خيبة أمل عميقة تجاه سياسة بيزنطة واصفاً الإتفاقية الأرمنية-العربية بالتعبيرات البليغة التالية: "عقدوا إتفاقاً مع الموت ومعاهدة مع جهنم ونبذوا التوحّد مع الله".

. الصفحة ذاتها.

كان الكاثوليكوس نرسيس الثالث المعارض الرئيسي لثيودور رشتوني في هذه المسألة وأمور سياسية عديدة أخرى.

يذكر المؤرخ الكرونولوجي ثيوفانيس تحت عنوان "سنة 6143 للخليقة" (حوالي عام 643م) عن ثورة يطريق أرمينيا باساكناتيس على الإمبراطور وعقد اتفاقية مع معاوية وتسليم ابنه رهينةً. وعندما علم الإمبراطور بما جرى إتجه إلى قيصرية كاباتوكيا لكنه رجع

عندما فقد الأمل في القيام بأية محاولة.

Theophanes Chronographia, I, 527.

وكان قسطنطين الثاني قد قرر القيام بحملة على أرمينيا كما سنرى لاحقاً. أمام هذه السياسة البيزنطية كانت محاولات ثيودور رشتوني جسورة شجاعة لإنقاذ أرمينيا من سفك الدماء المستمر وتحوّل أراضيها إلى قفر نتيجة خيبة الأمل العميقة تجاه سياسة الإمبراطورية البيزنطية الماكرة الغدّارة.

(5) الغزوات البيزنطية والعربية

وتّرت الإتفاقية الأرمنية–العربية علاقات البيزنطيين مع العرب أكثر من ذي قبل فحاول الإمبراطور إبعاد ثيودور رشتوني وأمراء أرمينيا عن العرب لكنهم رفضوا مساعيه. عندئذ إقترح الإمبراطور على ثيودور رشتوني ملاقاته في مدينة ثيودوسيوبوليس فرفض أيضاً فاعتُبِر عدواً لبيزنطة المسيحية. إفترى قادة القوات البيزنطية المطرودين من أرمينيا على الأمير ثيودور واتهموه بالخيانة لأنه كان السبب في انكسارهم في موقعة مارتوتسايك. أكد هؤلاء كذلك على أن الأرمن، بتحالفهم مع العرب، بعثروا القوات البيزنطية أثناء اجتياح آذربيجان وانضموا إلى العرب ضد البيزنطيين على حين غرّة. فاتجه الإمبراطور كونستانس شرقاً على رأس جيوش جرارة في السنة الثانية عشرة لتولي الحكم سنة 652–653م تقريباً أي بعد انتهاء محادثات عام 652م. بناء على شهادة المؤرخ الأرمني المعاصر سيبيوس كان عدد عناصر قواته يصل إلى 100,000 فارساً.

. سيبيوس، 141.

عندما وصل الإمبراطور إلى ناحية تيرجان، الواقعة بين حدود أرمينيا وبيزنطة، وصل لعنده رُسُل الخلافة لإبلاغ حاكمه منذرين أنه، في حال اجتياح أرمينيا، سيهرع العرب لمساعدة الأرمن. إلا أن الإمبراطور نَهَرَ الرسل مهدداً ودخل إلى أرمينيا واحتل مدينة

ثيودوسيوبوليس. فأدى ظهور هذه القوات البيزنطية الجرارة إلى شق صفوف الأمراء الأرمن الإقطاعيين: كان قسم منهم جاهزاً للاتفاق مع بيزنطة فحضروا لعند الإمبراطور. وكان هؤلاء من مناطق أرمينيا الجنوبية والشمالية–الغربية وتحديداً أرمينيا الرابعة أي من مقاطعات Sper، ماناناغي، Yegeghiats، كارين، Tayk، باسين، Vanand، شيراك وسواها. وصل موشيغ ماميكونيان برفقة أقربائه وأمراء مناطق أيرارات وصحبه الكاثوليكوس نرسيس الثالث لملاقاة الإمبراطور.

Maghakia Ormanian, Azgapatoum, I, 707-743, بالأرمنية

وكان المجتمعون في مدينة ثيودوسيوبوليس مع الإمبراطور من معارضي ثيودور رشتوني بشكل رئيسي. فاشتكى هؤلاء الأمراء منه لعقده علاقات وثيقة قوية مع العرب وطلبوا منه حرمانه من "شرف الإمارة" على أرمينيا. فعيّن الإمبراطور أميراً آخرَ عوضاً عنه لم يذكر المؤرخ سيبيوس اسمه. إتجه الأمير الجديد إلى ثيودور رشتوني برفقة 40 شخصية لإعلامه بقرار المجتمعين. لم يتمكن معارضو السياسة البيزنطية، رغم كل ذلك، الإجتماع برئاسة ثيودور رشتوني. فاعتقل ثيودور المبعوثين الأربعين مع الأمير الجديد وأمر بنقل قسم منهم إلى قلعة يالش والقسم الآخر إلى جزيرة بحيرة فان. إنتقل ثيودور بدوره إلى هذه الجزيرة وأمر جميع الأمراء بتحصين مناطقهم. إنضم إليه أمراء أرمينيا الشرقية السيونيون، أمراء أرمينيا الشمالية–الشرقية الأرتزرونيون وسواهم كذلك حكام كارتلي، أرّان وتحصّن أمراء أرمينيا مع قواتهم وكنوزهم في قصورهم.

. سيبيوس، 142.

بعث الإمبراطور 20,000 محارباً إلى دفين واستقر هو في قصر الكاثوليكوس وعيّن موشيغ ماميكونيان قائداً للقوات المسلحة الأرمنية وأرسله إلى فاسبوراكان على رأس 30,000 عسكري وأرسل قسماً آخر من قواته إلى سيونيك، كارتلي وأرّان.لاقت جميع هذه القوات مقاومة شديدة ولم تخضع قوات سيونيك لها. كذلك لم تستسلم فاسبوراكان رغم نهبها من قبل هذه القوات.

إشترك رجال دين يونانيون بمبادرة من الإمبراطور في القدّاس المقام في العاصمة الأرمنية دفين في الكاتدرائية الرئيسية للقديس كريكور حضره الإمبراطور كونستانس الثاني، الكاثوليكوس وجميع مطارنة أرمينيا بعضهم برغبتهم الخاصة وبعضهم الآخر إكراهاً.

. مانوك آبيغيان، تاريخ الأدب الأرمني القديم، 434، بالأرمنية.

وكانت غاية الإمبراطور إزالة استقلال أرمينيا الذي كان قد ترسّخ بعد اندحار بيزنطة أمام العرب. وبعد عودته إلى القسطنطينية عين الإمبراطور مافريان حاكماً على أرمينيا وقائداً عاماً للقوات البيزنطية المتواجدة في البلاد.

. سيبيوس، 146.

لم يقم الإمبراطور بحرمان ثيودور رشتوني من حكم أرمينيا فحسب، بل خلع موشيغ ماميكونيان أيضاً من منصبه الذي عينه هو شخصياً. فولّدت ممارسات الإمبراطور سخط الأمراء الأرمن والكنيسة واستيائهم. وكان العرب في هذا الوقت بالذات يقومون بهجمات بحرية وبرية كبيرة واحتلوا جزيرة رودوس، غير البعيدة عن سواحل آسيا الصغرى، وفرّقوا شمل الأسطول البيزنطي ووصلوا حتى بحر مرمرة إلا أن عاصفة عاتية شتتت صفوف السفن العربية وأنقذت العاصفة عاصمة بيزنطة.

يناء على شهادة ديونيسيوس تل محري أقفر حبيب المناطق المجاورة لبلاد ما بين النهرين عام 652–653م فقام القائد البيزنطي بروكوبيوس بعقد صلح مع العرب في هذه السنة.

. ديونيسيوس تل محري، 8.

لكن معاوية قام بحملة ضد البيزنطيين قرب مالاطيا عام 33 هـ=653–654م.

. ابن الأثير، الجزء الثالث، 58.

بعد احتلالهم لمالاطيا في عهد الخليفة عمر فقدَ العرب أرمينيا لكنهم عادوا وقام حبيب بن مَسْلَمة بمحاربتها في عهد الخليفة عثمان وعينوا حاكماً لها وأبقوا فيها حاميتهم. وصف البلاذري مالاطيا كطريق للغزوات الصيفية: الصوائف.

. البلاذري، 185.

قرر العرب مهاجمة البيزنطيين من جهات شتى واحتلال الهضبة الأرمنية نهائياً وخاصة بعد اجتياح هؤلاء أراضي أرمينيا عنوةً التي كانت تخضع للخلافة العربية.

تأزمت الأوضاع في أرمينيا بعد عودة الإمبراطور غرباً. لم يتجاسر الكاثوليكوس نرسيس الثالث على البقاء في دفين العاصمة فابتعد إلى تايك. لم يضمر ثيودور رشتوني البغضاء والمقت تجاه الكاثوليكوس فحسب، بل ضد أمراء آخرين عديدين أيضاً لتساهلهم مع البيزنطيين والتنازل لهم. ولكونه في حال صعبة، واحتراساً من مافريان، طلب ثيودور رشتوني دعماً فأرسل له معاوية 7,000 محارباً عربياً تمركزوا حول بحيرة فان في مقاطعتي أغيوفيت وبزنونيك وعاش بينهم طوال فصل الشتاء. أما القوات البيزنطية، التي لم تعثر لها عن موطئ قدم للعيش في أرمينيا، فقد أُكرهَت على التوجه نحو مقاطعة تايك الواقعة على الطرف الشمالي–الغربي من البلاد إلا أن العرب قاموا بملاحقتها حتى سواحل البحر الأسود واحتلوا مدينة طرابيزوند (طرابزون–المترجم) وفرضوا عليها الجزية واصطحبوا معهم الأسرى.

توجه ثيودور إلى دمشق لعند معاوية بعد هذه الأحداث فأهداه الخليفة ثياباً ثمينة مقصّبة بخيوط الذهب وهدايا أخرى وعينه أميراً لأرمينيا بالإضافة إلى مقاطعة سيونيك، إيبيريا، أرّان حتى مقاطعة كوبكوغ القفقاسية ومناطق تشور (دربنت، باب الأبواب–المترجم). أوصى معاوية في الوقت ذاته بإخضاع جميع المقاطعات.

. سيبيوس، 146.

بناء على شهادة سيبيوس قرر العرب تجهيز حملة في نهاية عام 653م. وعندما حلّ الشتاء دخلت القوات العربية إلى المناطق الوسطى من أرمينيا الرابعة عنوةً وتوقفت عند دفين بقصد التحرك نحو كارتلي لكنها عانت من الفشل فقفلت عائدة إلى سوريا.

. سيبيوس، 149.

لم يفلح ثيودور في إخضاع مقاطعات أرمينيا له. ويبدو أنه فقدَ اعتباره جراء ذلك. فاجتمع أمراء مقاطعات شمالي أرمينيا الخاضعين للعرب بقيادة هامازاسب ماميكونيان، صهر ثيودور رشتوني، واتفق الجميع على الحيلولة دون إراقة الدماء. وكان ثيودور مريضاً في هذا الوقت ويعيش منزوياً على جزيرة أغتامار في بحيرة فان. ولكون أمير أرمينيا فاقداً لقدراته على التحرك قسّم الأمراء الأراضي فيما بينهم "انطلاقاً من عدد الفرسان" وأصبحت البلاد في الواقع في حال إنقسام إقطاعياً وحكم كل إقطاعي منطقته بشكل مستقل. وبناء على تعبير البلاذري تشكل من إقطاعيي أرمينيا "ملوك الطوائف" قبيل حملة حبيب بن مَسْلَمة.

. البلاذري، 197.

إستغل بعض المتنفذين هذه الفترة كهامازاسب ماميكونيان وأصبح أمير أرمينيا في هذا الوقت.

بعد فشل الحملة البحرية على القسطنطينية عند خلقيدونيا شدّد العرب هجماتهم في آسيا الصغرى. إلا أن القوات العربية، المتواجدة في هذا الوقت غربي مالاطيا (في كاباتوكيا بناء على المؤرخ الأرمني سيبيوس)، دحرت الروم واجتاحت مناطق أرمينيا الرابعة الشمالية ودنت من ثيودوسيوبوليس. يخبرنا ميخائيل السرياني أن معاوية قسّم قواته إلى مجموعتين: بعث الأولى إلى أرمينيا والثانية إلى قيصرية كاباتوكيا وكان حبيب بن مَسْلَمة على رأس القوات التي اجتاحت أرمينيا.

. ميخائيل السرياني، الجزء 2، 441.

وكان ذلك في شهر تشرين الأول والبلاد مغطاة بالثلوج. ولفتح طريق أمام تقدّم القوات جلب العرب أشجاراً وداسوا عليها واستمروا في سيرهم قدماً ولم يتمكن الأرمن من الصمود أمام هذه الورطة فنهب الجنود العرب المناطق الأرمنية واصطحبوا معهم فلاحين عديدين أسرى.

إنزعج العرب من هجمات القوات البيزنطية بقيادة القائد البيزنطي مافريان التي كانت قد احتلت جميع مناطق الهضبة الأرمنية. فقرر حبيب المبادرة إلى حملة كبيرة على أرمينيا في شتاء عام 654–655م نسبها المؤرخون العرب كالبلاذري إلى عام 644م. تتحدث المصادر العربية بوضوح أن مافرياناً، الذي عينه الإمبراطور كونستانس بعد حملته على أرمينيا، كان عدو حبيب. وكما رأينا نسبَ البلاذري وغيره من المؤرخين العرب حملة حبيب على أرمينيا الرابعة إلى عام 644م إلا أن معلومات المؤرخ الأرمني سيبيوس أكثر دقة لأنه كان معاصراً لهذه الأحداث.

إقترب حبيب من قاليقلا (ثيودوسيوبوليس) على رأس جيش عدد أفراده 6,000–8,000 محارباً انطلاقاً من سوريا وما بين النهرين. لم يكن بوسع المدافعين سد الممر الجبلي أمام الجيوش العربية المغيرة فطلب سكان المدينة في نهاية المطاف الصلح على أساس طرد القوات البيزنطية وسكانها الروم ودفع جزية عن كل فرد. حقيقةً إبتعد عدد كبير من الأروام نحو بلادهم.

. البلاذري، 197.

إجتاحت قوات العدو المدينة ونهبت جميع الذهب والفضة والأموال والأملاك.

. سيبيوس، 153.

ظل حبيب وقواته في ثيودوسيوبوليس بضعة أشهر. لكنه، وعندما علم أن بطريق أرمينيا جمع قوات كبيرة بينها قوات آلانية وخزرية داعمة، طلب من معاوية قوات مساعدة من سوريا وما بين النهرين. طلب قوات مستعدة للحرب المقدسة، الجهاد، من الذين يطمحون

إلى الأسلاب والغنائم. أرسل له معاوية 2,000 مقاتلاً ووجههم حبيب إلى ثيودوسيوبوليس ووعدهم بإقطاعات لقاء الدفاع عن المدينة.

علم الخليفة عثمان برجاء حبيب فأمر حاكم الكوفة إرسال قوات إلى حبيب بقيادة سلمان بن ربيعة البَهيلي. ويبدو أن حبيباً كان قد اتجه إلى المناطق الجنوبية–الغربية حيث كان سلمان على رأس 6,000 محارباً. إلتحم العرب مع الروم في موقع على حافة نهر الفرات إلا أن سلماناً، بالمناسبة، لم يهرع إلى مساعدته. وعندما علم الخليفة بالخلافات الخطيرة بينهما أمر سلماناً بمحاربة الأرّانيين. فقفل حبيب عائداً ثانيةً إلى ثيودوسيوبوليس واتجه منها إلى منطقة ماردالي

M.Ghazarian, Armenien, 20.

حيث كان بطريق خلاط (أخلاط حسب لفظ العرب–المترجم) الأمير ماميكونيان الذي كان يحفظ على وثيقة عيّاض بن غنم حول أمن حكمه وأملاكه شريطة دفع الجزية وتقديم العطايا.

. البلاذري، 199.

ويبدو أن هذا الأمير كان موشيغ ماميكونيان الذي خضع للعرب في هذا الوقت.

سيبيوس، 152.

نزل حبيب بعد ذلك في مكان بين هارك وداشت ثم اتجه عبر خلاط نحو الجهة الجنوبية–الشرقية إلى مكان غير واضح في نص البلاذري الذي يمكن أن يُقرأ "الصيبانة" أي جبل سيبان.

M.Ghazarian, Armenien, 21.

أرسل حبيب قوات لإخضاع مناطق أرجيش (أرتشيتش) وباجونايس (باهونايس، أباهونيك). جلبت له هذه القوات الجزية الفردية من السكان ومن الأمراء المحليين الذين

سمح لهم حبيب بالبقاء في مناصبهم شريطة دفع الجزية. أما ما يتعلق بصيد السمك في بحيرة فان فقد تركه حبيب حراً.

لم يظهر الأمراء الأرمن مقاومة ضد العرب وقتياً في هذه المرحلة بل سددوا هجماتهم ضد القوات البيزنطية بقيادة مافريان الموجود في منطقة أيرارات.

اتجه حبيب نحو وادي نهر آراكس (الرسّ حسب لفظ العرب–المترجم)، إحتل قرية أرتاشات (قرية القرمز)، عبر نهر الكرد (ميدزامور بالأرمنية–المترجم)، تمركز في مرج دبيل (دفين) وطوق العاصمة فأظهر سكانها مقاومة شديدة ضده. وبسبب إلحاح القوات العربية على قذفها بالمنجنيقات ومحاصرتها بأسلحة أخرى عرض سكانها عليه الصلح. وكان نص الصلح مع المدينة بالصيغة التالية: "منح حبيب بن مَسْلَمة هذه الوثيقة لمسيحيي مدينة دبيل الغائبين والحاضرين. أضمن لكم حياتكم، أملاككم المنقولة وغير المنقولة، كنائسكم، معابكم وأسوار مدينتكم. أنتم في أمان وإننا نكفل إتمام هذه المعاهدة معكم شريطة دفع الجزية عن كل نفس وخراج الأراضي. والله على ما أقوله شهيد".

. البلاذري، 200.

لا علم لنا إنْ شاركت القوات المسلحة البيزنطية في معركة دبيل لكن المؤرخ الأرمني المعاصر سيبيوس يشهد أنها إنسحبت من قلعة دبيل واتجهت نحو ناخيتشيفان.

. سيبيوس، 152–153.

قاد حبيب قواته من دفين باتجاه مناطق أرمينيا، احتل جارني (كارني)، وصل إلى أشوشي (آشوتسك) واحتل قرية كوتي (كوتايك) ووادي الأحرار (ترجمة وادي نهر آزاد).

. البلاذري، 200.

ثم اتجه نحو أروتس غربي دبيل وشرع في مطاردة بعض الإقطاعيين الأرمن (وصف المؤرخ الأرمني حبيباً بالجلاّد) الذي عرّض الأمير الأرمني أردافازد ديماكسيان إلى قتل

عنيف. ويبدو أنه كان هناك موالون للمقاومة ضد الغزاة العرب في منطقة أيرارات. أرسل حبيب قواته بعد ذلك إلى منطقة سيرام (شيراك)، تائير أو تعز (تايك) وباكرافاند (باكريفاند) ووصل إليه بطريقها الأمير باكراتوني وعقد معه صلحاً لقاء دفع الجزية وتقديم الدعم للعرب.

حال الشتاء القارس دون تقدم القوات العربية وباشر الروم بالضغط عليها. عبر قسم من الروم نهر آراكس وتحصنوا في بلدة زاريهافان الواقعة على الطرف الجنوبي–الغربي من جبل آرارات. أما القسم الثاني بقيادة مافريان فقد طوّق قلعة ناخيتشيفان واصطدم بمقاومة عنيدة من قبل المدافعين الأرمن. توقف القتال بين العرب والروم فترة في أرمينيا بسبب برد الشتاء القارس.

جهز الروم أنفسهم للمعركة بحلول ربيع عام 655م وأصرّ مافريان على نيته في احتلال مدينة ناخيتشيفان إلا أن حبيباً هاجم الروم وأكرههم على الفرار واحتل المدينة وعقد مع سكانها إتفاقية مماثلة لاتفاقية سكان دبيل. جاء إلى لقائه بطريق فاسبوراكان من عائلة السيونيين وعقد معه معاهدة صلح شريطة دفع الجزية. إلا أن منطقة سيساجان (سيساكان، سيونيك) أظهرت مقاومة جدّية ضد حبيب لكن العرب احتلوا فايس (فايوتس دزور) عنوةً وتمكنوا من إكراه مقاتلي القلعة على دفع الجزية.

. البلاذري، 200–203.

وهكذا احتل العرب جميع مناطق أرمينيا الأساسية.

تحرك حبيب بعدئذ شمالاً لاحتلال كارتلي إلا أن مافرياناً إنسحب شمالاً بعد انكساره أمام مدينة نشوى.

. البلاذري، 202–203.

في هذا الوقت، وبناء على معلومات البلاذري أيضاً وفي المكان الذي سماه العرب "دارة اللجوم، إلتقى حبيب مع قواته بفلاحين (علوج) واصطدم معهم. عندما قام حبيب بترتيبات

الهجوم على كارتلي جاء إليه رُسُل جُرزان (كارتلي) وسفراؤها حاملين الهدايا. وصل حبيب إلى تيفليس وعقد اتفاق سلام مع سكانها على أساس دفع الجزية.
E.Sikharoulidzeh, Iz Istorii Arabo-Grouzinskoyeh Otynashenii. Arabskiyeh Okhranniyeh Gramati. Troudi Tbilisiskoi Gasoudarstvennoi Ouniversiteta, t.73, 1959, 170-171, Na Grouzinski Yazik, بالروسية

ثم حارب حبيب مدينة ساماخي (سامتسخيه)، الجردمان (الكاردمان)، كوستاستجي (كوستي)، شاوشات (شامسشيت)، بازاليت (Basalet)، كالاردجيت (كلارجيك بالأرمنية)، تارائياليت (تريأليت)، تريلك بالأرمنية، خاخيت، دجاوخيت (دجاواخيت، دجافاخك بالأرمنية)، أرتاخال (أرتاهان)، باب اللان، السنارائيّة (تساناري)، والدودانيئية وفرض جزية على كل شخص.
كان سلمان بن البهيلي يحارب في مناطق القفقاس الشرقية. إحتل مدينة بيلاقان في بداية الأمر ثم بردعة (بارتاف) واقترب من نهر سُرسُر (تارتو أو تارتار) وقاتل المناطق الأرمنية الواقعة ضمن حدود أرّان: شاكاشين، المِسْكوان (Medz Kouenk)، أوز (Outi Arandznank)، المصريان (Medz Trank)، الخرجاليان (Harjlank) وتيئير (Tri). إحتل بعدئذ مدينة شامكور (شامخور) ووصل إلى نهر كور واتجه نحو ألبانيا وقاتل كابالا (كابالاك). أما حاكم شاكان (شاكي أو شاكيه) وكامبيزان (كامبيتشان) فقد عقد معه اتفاقاً. عاد بعد ذلك شرقاً نحو المناطق المجاورة لبحر قزوين (الخزر) واحتل خيزان، شارمان، ماسكات (مازكوت)، الشابوران (Shaporan)، مدينة الباب (دربنت). بناء على الطبري كان عبد الرحمن البهيلي أول مَن ظهر في دربنت (من المحتمل شقيقه سلمان).
. الطبري، الجزء 4، 156-157.

M.Artamanov, Istoria Khazar, 177, بالروسية

إعترف القائد الفارسي شهرفاراز بسيادته لكن بدون تأدية الجزية. قَبِل عبد الرحمن رجاءه وقرر التحرك شمالاً ضد بالانجار لكنه اندحر. وبناء على شهادة البلاذري واليعقوبي

اصطدم سلمان مع الخزر إلا أنه انكسر أثناء حملته على الشمال.

. البلاذري، 204.

. اليعقوبي، الجزء 2، 168.

هكذا، حارب العرب في جميع مناطق أرمينيا في كارتلي، أرّان، المناطق المجاورة لبحر قزوين ودربنت. ورغم هيمنتهم المؤقتة عليها إلا أن التأريخ العربي يعتبر هذه الحملات بدايةً للهيمنة على أرمينيا والبلدان المجاورة لها والمناطق المحيطة بها.

عندما علم الخليفة عثمان حول نتائج محاربة أرمينيا أراد تعيين حبيب حاكماً لها في بادئ الأمر. وبسبب يقينه بنشاطاته السابقة في آسيا الصغرى عينه الخليفة حاكماً لمقاطعات سوريا الحدودية وبلاد ما بين النهرين الشمالية وعين خُزيمة بن اليماني العبسي حاكماً لأرمينيا، كارتلي والمناطق المجاورة لهما. فقفل حبيب راجعاً إلى سوريا بغنائم كبيرة واصطحب معه أمراء أرمن عديدين مع أبنائهم كرهائن. وكان الأمير ثيودور رشتوني بينهم وتوفي في سوريا ونُقلت جثته إلى أرمينيا حيث وري في الثرى في أملاكه في رشتونيك.

كان ثيودور أحد أكبر الناشطين السياسيين الأرمن في حقبة القرون الوسطى. وكان تطلعه الأساسي طوال حياته تأمين أمن أرمينيا واستقلالها. باشر نشاطه قائداً لأرمينيا الفارسية ثم وحّد شطري أرمينيا الفارسية والبيزنطية وأصبح أمير أمراء أرمينيا. وبفضل عزمه ونشاطه الكبيرين تمكنت أرمينيا من الحفاظ على استقلالها السياسي. ورغم عدم رؤيته لثمرة نشاطاته إلا أن خلفاءه في حكم أرمينيا حافظوا على استقلال أرمينيا وإمكانية تطورها وازدهارها اقتصادياً وثقافياً حتى نهاية القرن 7 م.

لم يكن في التأريخ الأرمني تصور واضح مدة طويلة حول أوضاع أرمينيا السياسية والاقتصادية في القرن 7 م. إعتبر المؤرخ م.تشاميتشيان هذه الحقبة عهد الكوروبالاتات والبطارقة.

. م.تشاميتشيان، تاريخ أرمينيا، الجزء 2، 345-376.

بدوره لم يقدم م.غازاريان سمات هذه المرحلة.

M.Ghazarian, Armenien, 34-37.

إعتبر جميع الباحثين القرن 7 م حقبة اجتياحات عربية–بيزنطية على أرمينيا للهيمنة عليها. مع ذلك لم تتأكد هذه المعلومات كاملةً لأن أرمينيا حازت وقتياً على استقلالها السياسي وخاضت معارك من أجله في النصف الثاني من هذا القرن كما تؤكد المصادر الموثقة.

B.Arakelian, Armenia v pervoi period arabskovo vladitchestva I barba armyan za zavisimost, Yerevan 1940, بالروسية

الفصل الثاني

أرمينيا في النصف الثاني من القرن 7 م

(1) أوضاع أرمينيا بين الخلافة وبيزنطة

بعد انتهاء حملة حبيب، بسبب اغتيال الخليفة عثمان، بدأت مرحلة تطوّر سلمي في أرمينيا إستمرت نصف قرن تقريباً. أصبح هامازاسب ماميكونيان أمير أرمينيا سنة 654م ولم يشترك في حروب ثيودور رشتوني بل سعى إلى تحصين قوة البلاد بغيرة بعد أن أصبح حاكم أرمينيا وعين Vard ابن ثيودور رشتوني قائداً للقوات الأرمنية المسلحة.

. سيبيوس، 153.

ثار الأرمن بقيادة هامازاسب ماميكونيان ضد الخلافة سنة 656م ورسّخوا علاقاتهم ثانية مع بيزنطة. لذلك كان رد فعل العرب عنيفاً فأعدموا جميع الرهائن الأرمن الذين نقلهم حبيب من أرمينيا وكان عددهم 1775 شخصية ولم ينجُ منهم سوى 22 شخصاً لأنهم كانوا يتواجدون في مكان آخر. لم يقم جميع فرسان أرمينيا ضد العرب في هذا الوقت. كان لحاكم مقاطعة تارون موشيغ ماميكونيان 4 أولاد رهائن لدى العرب لذلك ظل على ولائه للخلافة. طلب العرب أن يتجه أمراء أرمن آخرون إلى سوريا برفقة أقربائهم إلا أن الثورة أنقذتهم من هذه النهاية المحتمة.

. المصدر نفسه، 155.

انتُخب هامازاسب ماميكونيان أميراً لأرمينيا بعد هذه الثورة الناجحة في اجتماع للأمراء وبوساطة الكاثوليكوس وعينه الإمبراطور كوروبالاتاً وأهداه عرشاً من فضة واعترف به أميراً على أرمينيا.إن الكاثوليكوس، الذي كان متواجداً في تايك في هذه الفترة، قفل عائداً إلى دفين فقد كان في منفاه الإختياري في القسطنطينية ثم تايك لعدة سنوات خشية من الأمير ثيودور رشتوني والعرب. وبعد نجاح الثورة عاد وصعد على كرسيه واتخذ قراراً

بتشييد كاتدرائية زفارتنوتس الضخمة في ضواحي مدينة فاغارشابات. كذلك إبتنى قصر الكاثوليكوسية إلى جوار الكاتدرائية ثم نظّم شؤون الكاثوليكوسية.

. المصدر ذاته، 154.

تقرر توحيد جميع أراضي أرمينيا في عهد هامازاسب ماميكونيان. حكم الأمراء السيونيون مناطقهم باستقلالية قبل ذلك. لكن، وبعد سقوط الساسانيين، سيطر السيونيون على بقية مناطق أرمينيا وأخضعوا أمير أرمينيا في نهاية المطاف. جرى توحيد جميع مقاطعات أرمينيا في عهد أمير مقاطعة سيونيك هوفهانّس فترسخت قوة البلاد ليس سيآسيا فحسب، بل ساهم الأمير في تطوير البلاد إقتصادياً أيضاً.

توقفت العمليات الحربية وقتياً بين العرب وبيزنطة بعد اغتيال الخليفة عمر وفي عهد الخليفة علي 656–661م فأُكره معاوية على دفع الجزية إلى بيزنطة لحماية مؤخرته أثناء قتاله للخليفة. فاستغلت أرمينيا هذه الأحوال المناسبة لصالح ترسيخ أمنها رغم اعترافها بسيادة الخليفة شكلياً. كذلك لم تكن على أراضيها قوات بيزنطية.

إحتل العرب فلسطين، فينيقيا، سوريا، بلاد ما بين النهرين وOsroeneh البيزنطية إلا أن قَدَر كيليكيا، وأرمينيا الفراتية وأرمينيا الرابعة لم يكن واضحاً. قلّص العرب حملاتهم في هذه الفترة لأن مناطق ما بين النهرين العليا كانت بيد الموالين للخليفة علي وسوريا في قبضة معاوية.

لم تخضع أرمينيا لبيزنطة في هذه السنوات بسبب تغيّر أحوال الشرق ثانيةً. إنتهت الحرب بين الخليفة علي وحاكم سوريا معاوية المتنفذ بانتصار الأخير. أصبح معاوية الخليفة الجديد 661–680م واختار دمشق عاصمة له واقترب مركز الخلافة بالتالي من أرمينيا وبيزنطة. وبعد صعوده على عرش الخلافة نظم معاوية جميع قوى العرب للشروع في الهجوم على بيزنطة. إلا أن الإمبراطور كونستانس الثاني "طاغية الروم" باشر بالحرب أولاً ودخلت القوات البيزنطية الجرارة إلى الشمال السوري عنوةً. فأرسل معاوية قوات بقيادة

حبيب بن مَسْلَمة لمقارعة البيزنطيين إلا أن العرب أُكرهوا بسرعة على عقد معاهدة صلح ودفع مبلغ 100,000 ديناراً ذهبياً للروم جزيةً.
. اليعقوبي، الجزء 2، 217.

بناء على المؤرخ غيفوند المعاصر لهذه الأحداث في القرن 7م باشر الخليفة في جمع قوات لإرسالها إلى أرمينيا. فعلم الإمبراطور بذلك وأمر قائده في كيليكيا الإنطلاق لمواجهة العرب.
. غيفوند، 12.

كذلك طلب الإمبراطور من أرمينيا إشراك فرسانها في الحرب ضد العرب. لكن معنويات البلاد كانت مغايرةً. لم يشأ قائد أرمينيا Vard رشتوني بالانضمام إلى الروم في بادئ الأمر لكنه أُكره تحت ضغوطات الإمبراطور الكبيرة الانضمام إلى جيشه بقيادة سمبات باكراتوني. إجتاحت هذه القوات سوريا ووصلت حتى نهر الفرات وقام Vard بحماية الجسور. وعندما أكره العرب البيزنطيين على الفرار عبَرَ Vard إلى الضفة الثانية وقطع حبال الجسر الفولاذية للحيلولة دون تغلغل البيزنطيين الهاربين إلى داخل أرمينيا. فحاصرتهم القوات العربية ورمت العديد منهم في مياه الفرات العاتية.
طلب معاوية من أرمينيا الخضوع للخلافة. فعقد الأمراء الأرمن إجتماعاً حضره الكاثوليكوس نرسيس وأمراء أرمينيا الكبرى فوافقوا على دفع الجزية "للطاغية الإسماعيلي" (أي العربي المسلم–المترجم) بالإضافة إلى تسليم بعض الرهائن. وبناء على الإتفاقية مع الخلافة توجّب على أرمينيا دفع مبلغ 500 ديناراً ذهبياً سنوياً كجزية. إصطحب العرب معهم أيضاً الأميرين كريكور، شقيق سمبات، وسمبات باكراتوني رهينتين.
باشر معاوية بسلسلة حملات على بيزنطة سنة 663م استمرت حتى وفاته. بناء على شهادة اليعقوبي قام العرب بـ 16 حملة كبيرة على بيزنطة بين أعوام 43هـ=663–667م و59 هـ=678–679م.
. اليعقوبي، الجزء 2، 239–240.

شرع العرب بحملة عسكرية كبيرة على القسطنطينية في عهد معاوية 674–680م وقطعوا السلاسل الحديدية المحيطة بالمدينة وهاجموها براً وبحراً.

Istoria Vizantii, I, 372.

كانت بيزنطة في عهد معاوية 661–680م في حال قاسية بحيث لم يكن بوسعها دعم أرمينيا بأي شكل من الأشكال. وكان العرب بدورهم مشغولين بهذه الحرب العصيبة إلى حد أُكرهوا على الإعتراف باستقلال أرمينيا فخلت البلاد من قوات بيزنطية وعربية في هذه الفترة. مع ذلك ظلت أرمينيا خاضعة للعرب ظاهرياً فقط ولم يبقَ في ربوع أرمينيا الرابعة سوى بعض الحاميات القليلة من الجنود العرب.

إستغلت أرمينيا هذه الأوضاع فاستقرت سيآسيا 60–70 سنة وتحققت في حياتها بعض الإصلاحات. إختار كريكور مدينة أروج في وادي آرارات مركزاً له وشيد فيها كاتدرائية كبيرة، لا تزال قائمة حتى يومنا، وابتنى قصراً إلى جانبها. هناك كتابة جدارية على الكنيسة تعود إلى تاريخ بنائها سنة 670م جاء بين أسطرها: "في السنة 29 لحكم قسطنطين في شهر مارير (الأرمني) شُيد هذا الصرح المقدس من قبل أمير أرمينيا كريكور ماميكونيان وزوجته إلينا طالبين المغفرة من الرب المسيح".

Yosip Orbelian, Izbrannoe, 402, بالروسية

إستمر خضوع أرمينيا الشكلي للعرب حتى وفاة معاوية سنة 680م فرفضت مع أرّان دفع حتى مبلغ يسير من الجزية لأنها إكتسبت إستقلالها كاملاً.

دخلت قوات الخزر عنوةً إلى المقاطعات القريبة من بحر قزوين وأرمينيا بعد انهيار خاقانية توركوت في نهايات عهد كريكور ماميكونيان. ساءت أحوال العرب في أرمينيا في زمن الإنقسامات أثناء خلاقة علي ولم يتمكنوا من صد اجتياح الخزر في دربنت. دخل الخزر إلى المناطق الشمالية عنوةً في حوالي عام 664م وتكررت الهجمات وشق ملك الهون الطريق حتى شواطئ نهر آراكس (الرسّ حسب لفظ العرب–المترجم).

عقد جيفانشير معاهدة سلام معه واقترن من ابنته ودخل تحت هيمنة الهون.

Artamanov, Istoria Khazar, 181-183, بالروسية

لم يبقَ الخليفة معاوية غير مبالٍ تجاه أحداث دربنت فأُكره جيفانشير على الاتجاه إلى دمشق مرتين اعترافاً من الخليفة باستقلاله.

. المؤرخ الأرمني القروسطي كاغانكاتفاتسي، 185.

لكنه قُتل من قبل الأمراء الأرّانيين و Outik فأصبح الأمير فاراج–تيروتس أميرهم.

إجتاح أمير الهون ألب–إليتغير أرّان بسرعة لكن، وبفضل وساطة الكاثوليكوس الأرمني يغيازار فقط، أصبح عقد معاهدة سلام ممكناً.

. المصدر نفسه، 183–184.

علينا التوكيد أيضاً على أن الوحدات المسلحة العربية في عهد معاوية حافظت على وضع دربنت (باب الأبواب) المحصّن. إلا أن الإنشقاقات ظهرت ثانيةً في الخلافة بعد وفاة معاوية فتجرأ الهون والخزر على الهجوم. أكره ضغط الهون والخزر الكبير أرمينيا وأرّان على القيام سويةً. وكانت هاتان الدولتان قد حصلتا على استقلالهما سنة 680م و"ثارتا" ضد الخلافة بناء على المؤرخين الأرمن.

أرسل الأمير الأرمني فاراز–تردات إسرائيل مطران Medz-Kalmants لعند كاثوليكوس أرمينيا والأمير كريكور وكانت حجته نقل رفات كريكور توردان (دارّاناغ في غربي أرمينيا) إلى مدينة أرتاشات. طلب الأسقف إسرائل قسماً من الرفات فحقق الكاثوليكوس والأمير كريكور طلبه. ويظهر من خلال سير الأحداث التالية أن مهمة إسرائيل لم تقتصر على ذلك فقط، بل كانت تهدف إلى مسألة بحث التحرك سوية ضد الخزر. وبعد عودته من أرمينيا بُعث إسرائيل لعند أمير الهون ألب–إليتغير.

Kaghankatvatsi, 196-204, بالروسية

بعد سفر قاس مضنٍ وصلت البعثة برئاسته إلى مدينة تشولا غير البعيدة عن باب الأبواب فاستقبلهم السكان المدينيون بدفئ ثم وصلوا إلى فاراتشانا عاصمة الهون في شباط عام 682م. لم يتمكن الأسقف من استمالة أمراء الهون وإقتاعهم في عقد سلام مع أرّان وأرمينيا فحسب، بل دعاهم إلى اعتناق المسيحية أيضاً.

. المصدر ذاته، 183-184.

شاء ألب-إليتغير أن يصبح الأسقف إسرائيل مطراناً لهم. ولتقرير هذه المسألة بعث رسالة إلى أمير أرمينيا كريكور ماميكونيان والكاثوليكوس ساهاك Dzoroporetsi. جاء في الرسالة: "أثناء هجوم جماعتنا على بلادكم والأرّانيين القريبين منّا، الذين يدينون بعقيدة واحدة معكم كما الجميع في الكون، ظهرت عقيدة خيّرة في قلوبنا أيضاً. نرجو تحقيق رجائنا بإرساله إلينا شخصياً برفقة رجال الشرطة".

. المصدر نفسه، 210.

وفي رده على رجاء أمراء الهون عبّر الكاثوليكوس ساهاك والأمير كريكور عن ارتياحهما وعدم إرسال إسرائيل إلى بلاد الهون بشكل دائم لأن رعيته لا يمكنها أن تبقى بلا راعي. مع ذلك تقرر أن يصبح إسرائيل مطران الهون وعدم فقدان ثقة رعيته به في Medz Koghmants في الوقت ذاته.

كان جل نشاط أرمينيا التبشيري في أرّان يهدف إلى ترسيخ علاقات الصداقة مع الجار الشمالي الخطير لكن سدى لأنه لم يُفلح في التأثير على سياسة الهون والخزر اللاحقة. إجتاحت الجماعات الخزرية الجشعة فجأة أرّان، أرمينيا وكارتلي وحوّلت بعض مناطقها إلى قفر واستولت على أسلاب هائلة وعدد كبير من الأسرى. قُتل أمير أرمينيا كريكور ماميكونيان وعدد كبير من الأمراء أثناء المعارك ثم عاد الخزر إلى بلادهم.

. غيفوند، 16.

بناء على شهادة المؤرخ الأرمني القروسطي أصوغيك قُتل كريكور سنة 134 بالتقويم الأرمني=685م

. أصوغيك، 100.

فانتُخب آشوت باكراتوني 685–689م أميراً للبلاد. وصفه المؤرخ غيفوند بـ "الشهير وصاحب أهلية للحكم وإدارة البلاد. جمّل آشوت أرمينيا بأبنية أنيقة، شيّد كنائس وخصص لها قسماً من ذخائر القديسين والشهداء وابتنى كنيسة في مكان إقامته في داريونك".

. غيفوند، 16.

إلا أن وجود أرمينيا المستقلة لم يكن ملائماً للمملكتين العُظميين بيزنطة والخلافة العربية فجددتا صداماتهما في هذا الوقت على الشرق.

هناك شهادة شيقة لدى المؤرخ الأرمني القروسطي هوفهانّس دراسخاناكيردتسي أنه، في عهد الكاثوليكوس إسرائيل 667–677م، قرر العرب الهجوم على أرمينيا إلا أن كريكور صدّهم فتحركوا نحو كارتلي حيث أكرههم الأمير الأرمني نيرسيه على الفرار.

. الكاثوليكوس هوفهانّس، 118.

ففي الحقيقة كان هذا الهجوم عرضياً لم يخلّف عواقب جدية.

أرسل الإمبراطور جستنيان الثاني قائده ليونتيوس عام 686–687م واجتاح 25 موقعاً في أرمينيا ثم قفل عائداً إلى بلاده بغنائم وأسرى وصل عددهم إلى 8,000. بناء على شهادة المؤرخ البيزنطي ثيوفانيس حارب ليونيديس أرمينيا، كارتلي وأرّان وفرض جزية على كل منها.

Theophanes Chronographia, I, 555-556.

بدورهم إجتاح العرب أرمينيا عنوةً في منطقة وادي نهر آراكس (الرسّ) في جوغا وخوشاكونيك فهاجمهم أمير أرمينيا آشوت باكراتوني وأهلك العديد منهم فعاد الباقون من حيث أتوا. فتظاهر العرب بالتقهقر ورموا المسروقات أرضاً وتوقف الجنود الأرمن عن ملاحقتهم بينما استمر آشوت في ملاحقتهم مع فرسانه. إلا أن العرب إلتفتوا وعادوا ثانية وهاجموا على حين غرّة وجرحوا آشوتاً. وصلت الكتائب الأرمنية إلى مساعدته ودحرت القوات العربية فحملت الأمير المثخن بجراح عميقة إلى كوغوفيت موطن الباكراتونيين حيث توفي.

. غيفوند، 18.

أفلحت أرمينيا في الحفاظ على استقلالها في ثمانينيات القرن 7 م بين هاتين القوتين العُظميين لأنهما كانتا قد حيّدتا بعضهما بعضاً في هذا الوقت. لكن، وعندما كانت إحداهما تشعر بأنها أقوى من الأخرى ، فإنها كانت تبذل كل جهد لشن حرب على الهضبة الأرمنية ذات الموقع الإستراتيجي الملائم. وكانت الهضبة تجذب جميع الفاتحين طوال عصور مديدة.

إجتاح جستنيان شخصياً أرمينيا سنة 689م وقسّم قواته إلى قسمين: حارب أرمينيا ثم كارتلي وبعدئذ أرّان. دعا أمراء أرمينيا إليه فأبقى بعضهم رهائن عنده بينهم الكاثوليكوس ساهاك مع خمسة أساقفة. ثم عين الإمبراطور نرسيه كامساراكان، حاكم شيراك وكومس (كوميتا)، أميراً على أرمينيا فحكم مدة 4 سنوات واشتهر بنشاطه العمراني.

. أصوغيك، 100-101.

(2) تركيبة أرمينيا الإدارية-السياسية

كانت لتركيبة أرمينيا الإدارية-السياسية في القرن 7 م سماتها فاحتلت مكانة خاصة في تاريخ أرمينيا القروسطية. حالت الأحوال، التي ظهرت في القرن 7 م، دون قيام مملكة أرمنية جديدة ولم تُفلح أية عائلة إقطاعية، حتى الأمراء الماميكونيانيين أنفسهم، من إقامة حكمهم الوراثي في أرمينيا وبالتالي كان أمير أرمينيا يحكم البلاد بدون استمرارية وراثية.

برزت منظومة أمراء أرمينيا في القسم البيزنطي من أرمينيا بعد سقوط الملوك الأرشاكونيين الأرمن مباشرة. وبناء على معاهدة عام 387م مع إيران حصلت الإمبراطورية الرومانية على أراضي مقاطعتي أرمينيا: أرمينيا العليا ودزوبْك وكان يحكمهما الملك أرشاك الثالث. وبعد وفاة الملك سنة 390م ألغت الإمبراطورية الحكم الملكي في أرمينيا الغربية واستُبدِل الملك بأرخوند عيّنه الإمبراطور.

Prokopii Kesariskii, II, 3. بالروسية

نعلم من أخبار بروكوبيوس أن ساترابيتي أرمينيا العليا ودزوبك كانتا مستقلتين ضمن الإمبراطورية.

Nikolay Adontz, Armenia, بالروسية

عين الإمبراطور أرخونداً في أرمينيا الداخلية أو أرمينيا الكبرى (أرمينيا العليا سابقاً). خلا ذلك إحتفظ في مدينة ثيودوسيوبوليس بقوات رومانية إلى جانب الفرق الأرمنية التابعة للأمراء الأرمن. وعند حديثه حول إلغاء الحكم الملكي في القسم البيزنطي من أرمينيا أكد أبو التاريخ الأرمني موفسيس خوريناتسي على تعيين أمراء عوضاً عن الملك.

. موفسيس خوريناتسي، 316.

كان هامازاسب أمير أرمينيا في بدايات عهد جستنيان الأول 527–565م الذي قتله أكاكيوس (أرمني بدوره) وتربع على هذا المنصب وفي عهده تحديداً نُشرت قوانين جستنيان الأول سنة 536م.

تبدلت الأحوال في البلاد بعد حروب طويلة. عُيّن يواني ميستاكون، المعروف لدى المؤرخ الأرمني سيبيوس بالبطريق يواني، حاكماً غلى أرمينيا البيزنطية أثناء سنوات الحرب.

. سيبيوس، 71.

بعد معاهدة صلح عام 629م عيّن الإمبراطور البيزنطي هرقل أحد الأمراء الإقطاعيين المحليين أميراً لأرمينيا. ولم يكن مجيج كنوني وخَلَفه دافيت ساهاروني إقطاعيين أرمنيين فحسب، بل، بناء على شهادة المؤرخ المعاصر سيبيوس، إنتخبهما الأرمن أنفسهم ثم صدّق الإمبراطور على ذلك.

إختلف أمراء أرمينيا جذرياً عن حكام أرمينيا البيزنطية بدءاً من ثيودور رشتوني الذين استغلوا سمعة الحكام المستقلين ونفوذهم. لعب الماميكونيانيون والموالون لهم الرشتونيون، الكامساراكانيون وسواهم بين إقطاعيي البلاد دوراً إستثنائياً. وكان هذا التجمع يطمح إلى حصر سلطة أمير أرمينيا بين يديه. وكان السيونيون والباكراتونيون منافسي الماميكونيانيين وبالكاد كان في وسعهم مقاومة هؤلاء. وكأمير أرمينيا حصل ثيودور رشتوني من معاوية "ثياباً مقصّبة بخيوط من ذهب ورايات".

. المصدر ذاته، 146.

كذلك مُنح فاراجتيروتس باكراتوني تاجاً وكرسياً من فضة.

. المصدر نفسه، 117.

وحصل هامازاسب ماميكونيان من الإمبراطور على عرش من فضة إلى جانب اللقب.

. المصدر ذاته، 155.

وسُميت زوجة كريكور ماميكونيان "ملكة أرمينيا الكبرى" لكننا لا نملك أدلة بتسمية الأمير كريكور وأمراء أرمينيا الآخرين "ملوك أرمينيا الكبرى".

إلى جانب "أرخوند أرمينيا" إستخدم المؤرخون البيزنطيون تعبير "بطريق أرمينيا" أيضاً.

Theophanis Chronographia, I, 561.

لا نعلم شيئاً حول ضرب النقود من قبل الأمراء الأرمن. لكن معروف أن النقود الساسانية كانت تُضرب في العاصمة الأرمنية دفين (دبيل) وناخيتشيفان (نشوى) في النصف الأول من القرن 7 م.

E.Pakhomov, O Sasanidskikh manetikh znakakh DAN Az.CCP, I, 1945, 44-46, بالروسية

D.Kapanadzeh, Grouzinskaya Numizmatica, M., 1955, 46, 48.بالروسية

لا يُستثنى أن دار الضرب هذه إستمرت في الوجود حتى النصف الثاني من القرن 7 م إلا أن التنقيبات الأثرية فقط بوسعها إجلاء هذه المسألة.

شملت أرمينيا في القرن 7 م غالبية أراضي أرمينيا الكبرى انطلاقاً من نهر آراكس حتى أرمينيا الرابعة وكارين (قاليقلا) غرباً، ومن تاشير وتايك شمالاً. وكانت دفين عاصمتها إلا أن أمير أرمينيا تمركز عملياً في موقع حكمه: ثيودور رشتوني في جزيرة أختامار على بحيرة فان، هامازاسب وكريكور واميكونيان في أروج، آشوت باكراتوني في داريونك وهكذا. إستغلت غالبية الشخصيات المتنفذة في البلاد الكاثوليكوس كونه يقوم بنشاط كبير في الحياة السياسية. حاول أمراء أرمينيا وقادتها في بعض الأحيان التأثير عليه فبانت جدالات عميقة بين الطرفين. ومن الأمثلة الجلية على ذلك علاقات ثيودور رشتوني مع الكاثوليكوس نرسيس تاييتسي.

من ميزات القرن 7 م السياسية صعود دور الأمراء الأرمن. هناك ذكر لمجالس كنسية- أميرية في عهود القرون الوسطى المبكّرة. ويحوز مجلس شاهابيفان لعام 447م على أهمية كبيرة. وكانت هذه المجالس تهتم بالأمور الكنسية بشكل رئيسي. أما مجلس الأمراء فقد كان يقرر مسائل سياسية. كذلك كان الأمراء يجتمعون لحل مسائل حكومية عامة أثناء عجز أمير أرمينيا أو غيابه عن البلاد. ومثالنا على ذلك عندما اجتاح الإمبراطور البيزنطي كونستانس أرمينيا عنوةً تعرضت البلاد إلى اختلال التوازن فاجتمع جميع الأمراء من المحتمل جداً في دفين العاصمة وقرروا حصر زمام أمور حكم البلاد بين أيديهم.

كان القائد العام للقوات المسلحة الأرمنية يحتل الموقع الثاني بعد حاكم أرمينيا ويشغل منصب مساعده في الوقت ذاته. وكان قائد الجيش يحتل مكانة هامة استثنائياً ويًفسّر ذلك بأهمية الإدارة العسكرية في أرمينيا بسبب موقع الهضبة الأرمنية الإستراتيجي الجاذبة لجميع الدول القوية لمهاجمتها والهيمنة على آسيا الصغرى. لذلك كانت كينونة الدولة الأرمنية في جميع العصور، وفي القرن 7 م على وجه الخصوص، مشروطة في المقام الأول ببأس البلاد العسكري.

J.Laurent, L'Armenie entre Byzance et L'Islam, 51, 57.

(3) الأملاك الإقطاعية وواقع طبقة الفلاحين

كانت الأملاك الإقطاعبة الوراثية والكنسية ذات طبيعة سلطوية في القرن 7 م ولا نجد ذكراً حول أراضٍ حكومية وأحوال الأملاك الإقطاعية في المصادر التاريخية. وصلت استقلالية الأمراء الأرمن الإقطاعيين إلى الذروة في القرن 7 م لغياب حكم مركزي وحصلت كل عائلة أمراء إقطاعية وراثية على استقلال واسع سماها المؤرخون العرب "ملوك الطوائف".

شكّل الأحرار طبقة خاصة بين إقطاعيي أرمينيا. وكان هذا التعبير بمعناه الواسع يشمل جميع الإقطاعيين خلا غير الأحرار بينما بالمعنى الضيّق للتعبير كان يضم جميع مُلاك الأراضي الصغار ويتوجب على الأحرار الخدمة في سلاح الفرسان.

Hagop Manandian, Feudalism v Drevnoi Armenii, 90-125.بالروسية

كانت عائلة الأمراء الماميكونيانيين تملك إقطاعات واسعة في منطقة توروبيران أو تارون. بناء على شهادة المؤرخين الأقدمين بافستوس بيوزاند، على سبيل المثال لا الحصر، كانت تايك موطن هؤلاء الأمراء الأصلي. إلا أنهم، وبدءاً من القرن 4 م، هيمنوا على تارون وقلعة أوغاكان الواقعة على حافة نهر أراتزاني رافد نهر الفرات. توسعت دائرة سيطرتهم أكثر في القرن 5 م عندما وصلت لعندهم عائلة كريكور المنوّر وتحديداً إلى القسم الغربي من تارون حيث تقع مدينة أشتيشات المقدسة، فامتدت أراضيهم حتى النواحي الشمالية–

الشرقية للبلاد. كذلك وصلت عائلة الأمراء الباكراتونيين من منطقة هارْك التي كانت بحوزة الآرانيين في القرن 4 م. إكتسب الأمراء الماميكونيانيون الأمراء المانتاكونيين الأرمن إلى جانبهم.

Agatangeghos, Istoria Armenii, 1909, 845, بالروسية

تحرك الماميكونيانيون إلى أبعد من ذلك في القرن 7 م وصولاً حتى منطقة أيرارات وسيطروا على المناطق المحيطة بأراكادزوتن حيث شيدوا المستوطنة–القلعة أروج وبذلك تحوّلوا إلى عائلة إقطاعية كبرى بين أمراء أرمينيا في القرن 7 م وبفضل ذلك قاموا بدور استثنائي في حياة البلاد السياسية.

كانت هناك عائلات أمراء أرمنية أخرى قديمة في القرن 7 م في منطقة توروبيران مشهورة منذ القدم منها الخورخورونيون، الأباهونيون والأبراهاميانيون في جوار أباهونيك. وكانت عائلة الأمراء الكنونيين موجودة في منطقتين في القرن 7 م أغيوفيت في تاروبيران وأراكادزوتن في أيرارات.

جرت تبدلات أيضاً في منطقة فاسبوراكان (باسفرجان) حيث كانت تقطن عائلات أمراء شهيرة كالأرتزرونيين في أغباك، الرشتونيين في رشتونيك والأماتونيين في أرتاز. وبعد سقوط الملوك الأرمن الأرشاكونيين إنتقل الحكم إلى الأرتزرونيين في القرن 5 م. حكم الأمراء الرشتونيون توسب في القرن 7 م بالإضافة إلى مدينة فان. إلتفّت حول هاتين العائلتين القويتين المتنفذتين الأرتزرونية والرشتونية عائلات أمراء إقطاعيون صغيرة مثل الأنتزيفاتسيين، الترباتونيين، البالسيونيونيين، الترونيين وسواها من العائلات.

جرت تبدلات جدية في منطقة أيرارات الواقعة في وسط الهضبة الأرمنية تماماً. وكانت أيرارات من الأملاك الملكية في عهد الأرشاكونيين ولم تقطن فيها سوى عائلة الأمراء الكامساراكانيين. ساهم سقوط الأرشاكونيين في صعود بأس الكامساراكانيين من جهة وفتح الطريق أمام بقية العائلات للتغلغل إلى هذه المقاطعة من طرف آخر.

باشر الكامساراكانيون بالهيمنة على محيط أرشارونيك وشيراك أولاً ثم سيطروا على الأمراء في محيط أبيفيانك (كابيغيانك)، باسين، هافنونيك، فاناند، وآشوتسك خلال القرنين 6–7 م وكان موقع إقامتهم في مدينة مارميت (يرفانداشات القديمة) في القرن 7 م. هيمنوا كذلك على أمراء آخرين منهم الساهارونيين في منطقة شيراك. تمدد الكامساراكانيون بعد ذلك نحو أراكادزوتن في القرن 7 م واكتسبوا مدينة طالين.

ذُكرت عائلات أمراء أخرى في أيرارات بين القرنين 6–8 م. وخلا أمراء Ourts وأراتس ذُكر الأمراء الفاراجنونيون الذين استوطنوا في المناطق الشمالية–الشرقية. وهيمن الأمراء الكنونيون على منطقة Nig وهناك عائلات أخرى في القرن 7 م.

نجد الأمراء الإقطاعيين الباكراتونيين حول كوغوفيت في قلعة داريونك في بدايات القرن 7 م الذين ينتمون إلى سلالة ملوك وكانت Sper المقاطعة العائلية وتقع قرب منطقة Tayk ويُعتقد أن تسمية باكريفاند مرتبطة باسم باكراتولي وأن هذه العائلة هيمنت على هذه المدينة في وقت من الأوقات.

. المصدر ذاته، 307.

إلى جانب الباكراتونيين تغلغل الماميكونيانيون داخل أيرارات، كما ذكرنا في الأعلى، وتحصنوا في أراكادزوتن. هيمن الأمراء الأماتونيون والكنونيون على بعض المناطق. تستطرد المصادر مؤكدةً على أن الأمراء الكنونيين ملكوا قسماً من أراكادزوتن وأيرارات خلا توروبيران. كذلك أفلح أمراء منطقة سيونيك في الاحتفاظ بمناطقهم القديمة. خضع لهم أمراء كوغتن في القرن 7 م كذلك أرتساخ (قاراباغ) حيث ساد حكم الأمراء الإيرانشاهيين الذين كانوا على ارتباط وثيق مع إمارة سيونيك.

C.Eremian, C.M. Otcherki Istorii CCCP, III-IX vekakh, 219. بالروسية
Shahnazarian, 211.

كانت مقاطعة تاشير ودزور (دزوراكيت) تابعتين لعائلة الأمراء التاشيريين القديمة.

جرت تبدلات كبيرة في منطقتي أرمينيا الداخلية وأرمينيا الرابعة (دزوبك) الغربيتين. وبعد إلحاقهما إلى الإمبراطورية الرومانية (ثم البيزنطية) حافظ الأمراء المحليون على استقلالهم مدة نصف قرن. لقد أدّت إصلاحات جستنيان، التي كانت تهدف كاملةً إلى تدمير حق الإقطاعيين الأرمن الوراثي، إلى اقتلاع عائلات عديدة من أراضيها فعانت الإمارات الأرمنية ذات الحكم الذاتي داخل أرمينيا الرابعة، دزوبك، هانجيت، هاشتيانك، باغاهوفيت وسوفانينا كثيراً بدءاً من القرن 7 م.

. سيبيوس، 142.

كان القسم الأعظم من أرمينيا الداخلية (أرمينيا العليا) مُلكاً للملوك الأرشاكونيين قبل ذلك. أُلحقت بعض إقطاعات عائلة كريكور المنوِّر، كمنطقة يكيغياتس بعد وفاة الكاثوليكوس ساهاك في القرن الخامس، إلى أملاك الماميكونيانيين.

ورغم إصلاحات جستنيان الأول في القرن 6 م كانت هناك عائلات الأمراء التالية في أرمينيا: السبيراتيون، الماناناغيكيون، الداراناغيون، اليكيغياتسيون والكارنيتسيون (من عائلة الأرشاكونيين).

تشير المصادر التاريخية إلى بعض استقلالية الفلاحين الأرمن في السنوات المبكرة من القرون الوسطى طالما كانوا يدفعون الجزية. يؤكد أحد بنود اجتماع دفين (دبيل) في عام 645م أن الكهنة، خلافاً للفلاحين، يُعتبرون أحراراً. وبناءً عليه كان بوسع الأحرار التصرّف مع الفلاحين بحرية. ويُعتقد أن استقلال الفلاحين أضحى واضحاً في القرن 7 م. وكان للفلاحين أراضٍ خاصة في هذه الحقبة. أما ما يخصّ الحقوق العائلية فقد كان الفلاح يتبع ثوابت الكنيسة الأرمنية التي سمحت بزواج الفلاحين من الإقطاعيين الصغار. كذلك، وبناء على اجتماع دفين، يُحظر على رجال الدين بيع أراضٍ للفلاحين. أي يحق للفلاحين أراضٍ كمُلك جزئي.

Hagop Manandian, Feodalism v Drevnoi Armenii, 162.

. كتاب القوانين الأرمنية، 208.

تمنحنا أحوال الفلاحين الحقوقية في أرمينيا أثناء القرون الوسطى المبكرة بعض التصورات حول تطرق أوامر ملوك أرمينيا الأرشاكونيين والمارزبانيين إلى مسائل الفلاحين.

Kh.Samvelian, Istoria Drevnoi Armianskovo Prava, 262-263.

من الشيق أن نذكر أن الفلاحين لم يختلفوا عن مُلاّك الأراضي الصغار في بعض الأحوال رغم وجود عدم مساواة طبقية. تبنى اجتماع شاهابافان سلسلة كاملة من المخالفات المادية على الأفعال المخلّة بالأخلاق العامة. وكان على الفلاحين والأحرار دفع المخالفات بفارق واحد وهو أنه كان على الحُر دفع ضعف المبلغ شريطة عدم تعريضه لعقوبات جسدية.

. كتاب القوانين، الجزء 1، 435–439، بالأرمنية.

كان يحق للفلاح الانضمام حتى إلى سلاح الفرسان أو أكثر دقةً كانت هناك كتائب خاصة بالفلاحين الفرسان. تذكّر قوانين إجتماع دفين (دبيل) بفرسان الطبقات البسيطة العامة الذين كانوا يتدخلون في شأن الأديرة مع الأحرار.

. المصدر ذاته، الجزء 2، 211–212.

وكانت هناك طبقة في محيط فلاحي القرون الوسطى المبكّرة إغتنت بفضل تفكك التنظيم الزراعي.

Nikolay Adontz, Armenia, 486, 2.

C.Agopian, Istoria Armianskovo Krestianstva, 267-268, بالروسية

وكان العمال الزراعيون يعملون في المزارع التي تدار ليس من طرف الأمراء فحسب، بل من قبل الكنيسة أيضاً. وكان هؤلاء على تبعية كبيرة بآسيادهم ويشكلون شريحة غير ذات شأن بين طبقة فلاحي أرمينيا.

كانت رواسب الرق موجودة بين القرنين 7–9 م في أرمينيا. وقد ذكر عالم الرياضيات الأرمني آنانيا شيراكاتسي أن الأمير كامساراكان عاد من ساحة الحرب بصحبة بضع عشرات الأسرى الرق وأهدى قسماً منهم إلى كرسي الكاثوليكوسية في مدينة فاغارشابات. وكان نشاط الرقيق منحصراً بشكل أساسي في الأعمال المنزلية في هذا الوقت.

. سيبيوس، 150.

شكلت جزية الأراضي غالبية الضرائب وكانت في الحقيقة على شكل منتجات زراعية عينية.

Hagop Manandian, Tsarskieh nalogi Armenii v Period Marzbanov, Krititcheski Abzor, t.2, بالروسية

سُميت ضريبة الأرض في المصادر الأرمنية القديمة hac وهي تعبير عام تعادل في قيمتها خراج إيران الساسانية. وكانوا يحصّلون درهماً واحداً عن كل Garib من الأرض و 8 دراهم عن Garib واحد من أرض الكرمة.

Hagop Manandian, Feodalism v Drevnoi Armenii, بالروسية

C.Agopian, Istoria Armianskovo Krestianstva, I, 250, بالروسية

كانت جزية الرأس مفروضة على سكان أرمينيا المارزبانية في القرنين 5–6 م بين سن 20–50 بناء على أحوال الأفراد المالية والعقارية وتتراوح بين 4، 6، 8 و12 درهماً. أما الأمراء، رجال الدين والفرسان فلم يُكرهوا على دفع الجزية الفردية المفروضة على الفلاحين، الصنّاع، الحرفيين والتجار. مع ذلك لا يقدّم المؤرخون معطيات دقيقة حول مبلغ جزية الرأس في النصف الثاني من القرن 7 م.

توقفت أرمينيا عن دفع الجزية لإيران الساسانية وبيزنطة ودفعت للخلافة العربية مبلغاً زهيداً جداً هو 500 ديناراً ذهبياً سنوياً. وكان المبلغ الرئيسي، الذي يُجبى على شكل ضريبة الرأس، يظل عند أمير أرمينيا لإنفاقه على احتياجات سلاح الفرسان بالإضافة إلى

غايات شتى أخرى. في الوقت ذاته كان الفلاحون يدفعون الضريبة للإقطاعيين على شكل منتجات زراعية عينية ويشتغلون عندهم في أعمال السخرة أيضاً كتشييد الطرق، القلاع وسواها.
فُرض على الفلاحين والجموع البسيطة منح بعض العطايا للكنيسة. لقد نّصت إحدى مواد "كتاب القوانين" الأرمنية أنه يحق للكنيسة جباية 1 درام فضي (درهم) عن كل بيت بالإضافة إلى عشر منتجات الفلاح الزراعية.
. كتاب القوانين، الجزء 2، 235.

علينا الإعتراف مع ذلك أن طبقة الفلاحين في القرون الوسطى المبكّرة كانت تشكّل عدداً مرموقاً وكان الفلاحون يخضعون مباشرةً للحكومة (الملك) ولم يدفعوا ضريبة خاصة للإقطاعيين. كذلك كانوا يملكون أراضٍ خاصة ورغم ذلك كانوا خاضعين للإقطاعيين.

(4) مدن، مهن وتجارة

بعد انتهاء الحروب الإيرانية-البيزنطية عمّت فترة راحة قصيرة في ربوع أرمينيا امتازت بازدهار التجارة المابينية عبر البلاد. تحققت التجارة بين إيران وبيزنطة من خلال طريقين: أرمينيا ومناطق ما بين النهرين الشمالية. إستوردت أرمينيا من الهند وبلدان آسيوية أخرى سلعاً مثل الحرير، الأحجار الكريمة الغالية، العاج، البهارات، السجاد ودخلت إلى أسواق عاصمتها دفين (دبيل) ومدينة نصيبين في بلاد ما بين النهرين.
طالت الحرب الإيرانية-البيزنطية في شمالي ما بين النهرين 20 عاماً 572-591م كذلك حرب الأعوام 602-629م. خلا ذلك لم تستعر حرب الهيمنة العربية حتى نهاية القرن 7 م في هذه المناطق فحسب، بل إشتد وطيس حركات التمرد المعادية لها.
بعد معاهدة عام 629م وانتهاء غزوات العرب في أرمينيا سنة 654م أُقيم سلم راسخ في أرمينيا لم يُفلح العرب في الإخلال به طوال 50 سنة.

تطورت مدن أرمينيا طوال القرن 7 م على مسار الطرق التجارية الدولية الرئيسية المنطلقة من إيران نحو أرمينيا في ناخيتشيفان (نشوى) ثم باتجاه دفين وفي نهاية المطاف إلى ثيودوسيوبوليس في آسيا الصغرى. ومن المدن الأرمنية التي تطورت كثيراً دفين وفاغارشابات.

Procopii Kesariski, II, 25.بالروسية

شُيّد مجمّع كاتدرائية وقصر الكاثوليكوسية في هذه الفترة من القرن 7 م في دفين.

N.M.Tokarski, Arkhitectura Armenii, 56-66, بالروسية

تؤكد المواد الآثارية المكتشفة أثناء تنقيبات مدينة دفين على تطور هذه المدينة في القرن 7 م أكثر مقارنة مع القرن 6 م السابق والقرن 8 م اللاحق. وبسبب الحشد الكبير للمساكن لم تظهر الطبقات المختلفة بشكل دقيق. ومع ذلك يمكن التفريق بينها من خلال المواد التي تعود إلى حقبات القرون الوسطى المبكرة. تم الكشف عن قاعة معمدة في القسم الشرقي مع أرضيتها المغطاة بمحلول جيري. بناء على الآثاري كارو غافاتاريان كانت المنشأة عبارة عن قاعة عرش تعود إلى نهايات عهد الملوك الأرشاكونيين الأرمن في القرن 4 م. إكتُشفت في هذه القاعة أثار نقوش على فرمانات.

Garo Kafadarian, Dva Arkhitecturnikh Pamiatniki, 113-121, بالروسية

تحمل هذه النقوش الفارسية، التي تعود إلى شخصيات كهنوتية وروحية عالية الرتبة، التأثير الفارسي وتؤرَّخ بالقرنين 5–6 م. كذلك كُشف على قمة أكمّة دفين والطرف الجنوبي–الغربي من القاعة المعمّدة المذكورة عن منشأة غليظة الجدران دائرية المخطط سُميت "حوض" شرطياً. وانطلاقاً من نمط البناء تعود المنشأة إلى القرنين 5–7 م.

A.Kalantarian, Materialnaya Koultoura Dvina, 49, بالروسية

كُشف أيضاً عن الأرشيف الحكومي في قسم المدينة العليا الذي تحدث عنه المؤرخ الأرمني سيبيوس.

. سيبيوس، 27.

شُيدت كنيسة هريبسيميه وكايانيه كذلك زفارتنوتس، أعجوبة هندسة العمارة الأرمنية في القرن 7 م.

بعد تدمير مدن أرمينيا في القرن 4 م أثناء اجتياحات شابور الثاني عاشت الحياة المدينية في أرمينيا فترة تقهقر ولم تنتعش سوى بدءاً من القرن 7 م. ظهرت مستوطنات جديدة في هذه الفترة مثل أروج، باكاران، شيراكاشات، (مافريكيوبوليس)، طالين، يريفان ومارميت مكان سكن الأمراء الكامساراكانيين الأرمن المبنية في موقع مدينة يرفانداشات التي هُدمت في القرن 4 م.

V.Aroutyounian, Rascopki v Arouje, Academie Naouk Armenii, 1959, No.8. بالروسية.

يُعتبر القرن 7 م مرحلة تطور لشتى مهن أرمينيا. ومن شواهدها اللقى المكتشفة أثناء حفريات مدينة دفين. وتُعد الحدادة من أهم المهن في هذه الفترة. تم الكشف عن العديد من المنتجات الحديدية منها أسلحة هجومية بكميات كبيرة بينها مختلف أشكال النبال. أما الرماح المكتشفة فهي بكميات محدودة وأنماط شتى ويتشكل العتاد الحربي من مختلف أنواع الدروع المصفحة.

Kalantarian…, 44-46.

عثرنا أيضاً على بعض اللقى النحاسية بكميات محدودة ورغم ذلك تحوي نماذج قيمة.

يذكر مؤرخو القرون الوسطى المبكرة مراراً الألبسة المقصّبة بخيوط الذهب، الكؤوس الفضية، الفوانيس، الدروع، الزَرَد، الخوذ المزدانة بالذهب والفضة، أسلحة معشّقة

بالأحجار الكريمة النفيسة لكن كمياتها كانت محدودة. ويذكر عالم الرياضيات الأرمني والمؤرخ من القرون الوسطى الشهير آنانيا شيراكاتسي كيف أن صانع فضيات صنع من كمية محدودة من معدن الفضة طبقاً، كؤوساً وإناءً.

Vaprosi i reshenia Anania Shiragatsi, 24-25, بالروسية

وصلت مهنة الفخاريات في أرمينيا إلى مستويات عالية منذ العصور الموغلة في القدم حتى القرن 7 م وكانت بأعداد كبيرة أثناء اكتشافها في أطلال دفين. ومن المنتجات الفخارية المستخدمة في البناء السيراميك، الطوب، أنابيب المياه والصرف الصحي والقرميد بشتى القياسات. كذلك تم الكشف عن شبكة مشعبة من أنابيب جرّ مياه الشرب في وسط المدينة. كذلك شكّلت المنتجات الزجاجية المكتشفة مجموعة غنية أثناء تنقيبات مدينة دفين. وتُشبه هذه الزجاجيات بنمطها وصياغتها العائدة إلبى القرون الوسطى المبكرة زجاجيات العصور القديمة نرى عليها التأثيرات السورية وبلاد ما بين النهرين.

A.Kalantarian, Materialnaya Koultoura Dvina, 46-49, بالروسية

اكتُشفت أيضاً منتجات نسيجية وسجاد أثناء هذه التنقيبات وكانت متطورة جداً في القرن 7 م وحافظت على جودتها لاحقاً في عصر العباسيين ونجدها في جدول جزية أرمينيا.

Gahsiari, 182a.

ساهم وضع أرمينيا الحيادي في استمرار حركة طرق التجارة الدولية المنطلقة من دفين إلى آسيا الصغرى وطرابزون أثناء القرن 7 م وفي وادي نهر آراكس (الرس). نجد في أعمال أنانيا شيراكاتسي شهادات شيقة عديدة حول تجارة أرمينيا. يتحدث في إحدى دراساته عن صفقة تجارية قام بها أحد التجار الأرمن على شكل معلومات حسابية قائلاً: "اتجه أحد أقربائي إلى بهل واقتنى لآلئ ثمينة. ققل عائداً إلى الديار ووصل إلى كانتساك (كنجة الحالية) وباع نصف الكمية لقاء حبوب بقيمة 70 درهماً. وبعد حلوله في دفين باع

نسبة الإثنتي عشرة بالمئة من الباقي مقابل حبوب بقيمة 50 درهماً وعند وصوله إلينا في شيراك بقي لديه...".

Anania Shirakatrsi, Vaprosi i Reshenia, 18.

نجد في هذا الجدول الحسابي إحدى الطرق التجارية الناشطة بين إيران وأرمينيا. لم يجلب التجار من خلال هذه الطريق المنطلقة من الهند اللآلئ والدرر فحسب، بل سواها أيضاً من الأحجار الكريمة النفيسة ويتحدث عنها شيراكاتسي في بحث علمي بعنوان "حول الأحجار الكريمة". قدم شيراكاتسي في دراسته بعض التصور حول الرسوم الضريبية التي كانت تُجبى من التجار في القرن 7 م قائلاً: "يدفع التاجر ضرائب في عدة مدن أثناء سفرة واحدة".

. المصدر ذاته، 21-22.

سببت الرسوم الجمركية الثقيلة خللاً في التجارة الداخلية أثناء ظروف النصف الأول من القرن 7 م عندما كانت أرمينيا مقسّمة إلى شطرين. لكن، وبعد توحدهما، باشرت التجارة في الازدهار.

تشهد الكشوف النقدية في دفين حول التداول النقدي في أرمينيا في القرن 7 م. وبفضل التنقيبات العديدة في خرائب مدينة دفين تم الكشف عن كميات كبيرة من النقود البيزنطية والساسانية بينها 20 قطعة من الطبقة التي تعود إلى قرني 5-6 م و300 قطعة من طبقة القرن 7 م.

Lraber, No.12, 1973, 33-34, بالأرمنية

يمكن رؤية طرق أرمينيا في القرن 7 م على خريطة Itineraria التي تم الكشف عنها في المصادر الأرمنية من القرن 10م.

. هاكوب ماناندیان، إتينيريريا القرون الوسطى، 724، بالأرمنية.

يعتبر الأب المخيتاري غيفوند آليشان الخريطة من القرن 7 م.

. الأب غيفوند آليشان، أيرارات، 412-413، بالأرمنية.

دافع هاكوب ماناندیان عن رأي مختلف قائلاً: "إنطلاقاً من بعض الأدلة الجانبية تشكّل دليل الطرق هذا من المحتمل في القرن الأخير من الحكم العربي أو في فترة أبكر.

. هاكوب ماناندیان، المصدر ذاته.

نسب هاكوب ماناندیان هذا الدليل لاحقاً إلى عهد الملوك الباكراتونيين الأرمن. ومهما كان تاريخ إنشاء دليل الطرق هذا فإنه يحوي الطرق التجارية الرئيسية حتى بداية الحكم العربي في القرن 7 م.

إتجهت الطرق التجارية من العاصمة الأرمنية دفين (دبيل) نحو شتى الجهات في آسيا الصغرى، سوريا، إيران وشمالاً. وكان التجار الأرمن مرتبطين مع الغرب عبر تجارة الشرق الدولية.

. هاكوب ماناندیان، حول التجارة في المدن الأرمنية، 253-255.

(ترجمه ألكسندر كشيشيان إلى العربية-المترجم).

تحسنت أحوال الأمراء الأرمن أثناء حملة الإمبراطور كونستانس الثاني وحصلوا على الكنوز الأميرية، الكنسية والتجارية.

. سيبيوس، 142.

كان تطور أرمينيا الإقتصادي في القرن 7 م نتيجة ظروف سياسية خاصة كانت موجودة في البلدان الشرقية قبل الحملات العربية. وبسبب الصدامات المستمرة بين بيزنطة والعرب تقلصت العمليات التجارية، التي كانت تجري عبر طرق بعض البلدان بينها أرمينيا، وساهمت بالتالي في تطور تجارتها. ومثالنا على ذلك أن التنقيبات الأثرية كشفت عن

حضارة باهرة في منطقة سوغديانا في آسيا الوسطى حيث تطورت المدن في القرن 7 م في بينجيكينت على وجه الخصوص.

Otcherki Istorii CCCP, III-IX Vekov, 359-364, بالروسية

وكانت هذه المدينة تقع على الطريق التجارية المؤدية من الصين غرباً. وكان التجار يجلبون الحرير من سوغديان إلى إيران ثم ينقلونه إلى آسيا الصغرى من خلال أرمينيا.

(5) وتيرة التطوّر الإجتماعي والثقافي في أرمينيا

يُعتبر القرن 7 م فترة تطور هامة في تاريخ أرمينيا القروسطي. إلا أن الإضطرابات والصراعات المذهبية والصدامات بين الخلقيدونيين والمعادين لهم عمّت. وكانت هناك مجموعات في محيط الأمراء الإقطاعيين والكنيسة. وكانت مجموعة تستأثر بالسكان المدينيين والفلاحين في وقت من الأوقات. وكان بين الإقطاعيين أمراء ميالون إلى الفرس (ثم العرب) والبيزنطيين. وبالتوازي مع هؤلاء كانت هناك جماعة من رجال الدين الموالين لعقيدة الكنيسة البيزنطية خلا حركة مناوئة للخلقيدونية. بالإضافة إلى كل ذلك كانت هناك توجهات مستقلة مثل حركة هوفهانّس مايرافانيتسي أو شيعة البافليكيانيين. فانشطرت الكنيسة الأرمنية عند عتبة القرن 7 م. وكما نعلم شيدت بيزنطة كرسياً خلقيدونياً جديداً مقابل كرسي كاثوليكوسية دفين في أفان قرب العاصمة الحالية يريفان حيث جلس كاثوليكوس واحد فقط في وقت ما. خلا ذلك خلّف الإنقسام الكنسي الأرمني–الجيورجي آثاراً عميقة بعد وفاة الكاثوليكوس موفسيس يغيافارديتسي سنة 604م على قَدَر الشعبين وعلاقاتهما في المجالات الكنسية والسياسية.

باشرت القلاقل الإجتماعية والهياج العاصف في ثلاثينيات القرن 7 م في عهد الكاثوليكوس يزر Yezr 630–641م عندما قام هوفهانّس أيريفانيتسي (أو مايراكوميتسي) بصراع معارض لا يلين ضد الخلقيدونية وكان قندلفتاً لكاتدرائية القديس كريكور في دفين وعُين نائباً للكاثوليكوس كوميتاس 615–628م. درس هوفهانّس وحصل على درجة

أرشيميندريت واستفاد من احترام الأمراء الإقطاعيين ورجال الدين. وفي عام 633م، عندما اتجه الكاثوليكوس Yezr إلى ثيودوسيوبوليس وأُكره على تبني العقيدة المونوفيزيتية دافع العديدون في أرمينيا عن العقيدة وكان سبب فشل الكاثوليكوس أنه لم يصطحب معه هوفهانّس مايريفانيتسي.

بعد عودة الكاثوليكوس إلى دفين إستحسن قسم من رجال الدين والأمراء الإقطاعيين سلوكه إلا أن المجموعات الأخرى من الأمراء ورجال الدين، وعلى رأسهم قائد أرمينيا الفارسية ثيودور رشتوني، لم يستحسنوا هذه الحقيقة ويرتاحوا من تساهل كاثوليكوس أرمينيا وتنازلاته. أخذ هوفهانّس مايريفانيتسي والميّاليون له موقفاً سلبياً قاطعاً فاتهم الكاثوليكوس في هدم الكنيسة الأرمنية. فأمر الكاثوليكوس بنفيه إلى دير مايرافانك (مايراكوم) ثم شمالاً لاحقاً إلى غاردمان Gardman.

كان لهوفهانّس مايرافانيتسي مؤيدون عديدون في الكنيسة الأرمنية وحتى بين المؤرخين خلال القرون التالية. ومثالنا على ذلك هوفهانّس دراسخاناكيردتسي الذين حاولوا التعاطف معه. ومن جهة أخرى لم يكن عدد معارضيه قليلاً. وبناء على شهادة المؤرخ الأرمني أصوغيك لم يسجّل هوفهانّس اسمه على كتبه الثلاثة خوفاً من ألا يتقبّلها الناس.

أصوغيك، 87.

رغم عدم ذكر هوفهانّس طوال أربعينيات القرن 7 م إلا أن بأس الحركة المناوئة للخلقيدونية تصاعد.

Pravoslavni Palestinski Sbornik, t.XI, 1892, 182.

ومن الشيّق التأكيد على أن التوجّه المعتدل السابق بزعامة الأمير ثيودور رشتوني كان قد إحتل موقعاً معارضاً في عهد نرسيس الثالث تاييتسي 641-661م بسبب تقديم هذا الكاثوليكوس الجديد تنازلات

كبيرة بسبب قبوله الكنيسة الخلقيدونية. فظهر هوفهانّس مايرافانيتسي ثانيةً أثناء هذه الظروف.

. المصادر الجيورجية، الجزء1، 47.

كان ابن شقيق (أو ابن شقيقة) الكاثوليكوس كوميتاس ورئيس دير العذراء المقدسة في أراكادزوتن ثيودور كريتانافور (الناسك) صاحب رسالة "ضد مايراكوميتسي". لكن كان لهوفهانّس مؤيدون عديدون في شتى شرائح المجتمع.

. المؤرخ الأرمني صموئيل آنيتسي، 80.

وبفضل هؤلاء كافح ضد تطلعات الكنيسة البيزنطية الرسمية دفاعاً عن استقلالية أرمينيا في المجالات الكنسية والثقافية.

أُشبعت حياة أرمينيا الأدبية في القرن 7 م بالمسائل الأيديولوجية بالتوازي مع الكفاح الأيديولوجي، التطور المحموم للآداب، العلوم والفنون. ومثالنا على ذلك أن فرتانيس كيرتوغ، نائب الكاثوليكوس الذي ترأس كفاح استقلالية الكنيسة الأرمنية، مشهور بمؤلفه المعنون "ضد محطمي الأيقونات".

كان الكاثوليكوس شخصية مرموقة وباني كاتدرائية القديسة هريبسيميه الشهيرة ومؤلف قصائد رائعة مكرسة للقديسة ورفيقاتها وتُعتبر درر الشعر الأرمني في مرحلة القرون الوسطى المبكرة.

. كاغانكاتواتسي، 180-182.

وكان ظهور الاهتمام بموضوع هريبسيميه متصلاً بوثاقة بمعنويات الأرمن السياسية في نهاية القرن 6 م وبداية القرن 7 م. وكان المؤرخ الأرمني أكاتانكيغوس المصدر الرئيسي لهذا الموضوع الذي يُعتبر السلاح الماضي لكفاح الكنيسة الأرمنية عقائدياً حيث التقاليد القومية واستقلال البلاد. لذلك ليس محض صدفة ترجمة تاريخ أكاتانكيغوس إلى اللغة

اليونانية في نهاية القرن 6 م. خلا ذلك هناك نسخة أخرى لهذا العمل وصلت إلينا بترجمتها اليونانية والعربية فقط بعنوان "حياة كريكور". سرد سيبيوس في كتابه كفاح الأرمن العنيد في القرن 7 م من أجل الاستقلال كذلك الأحداث العاصفة طوال هذا القرن حيث جسّد بشكل لامع نمط البطل ومنظّم المعارك ضد الأعداء مجسّداً في الأمير ثيودور رشتوني.

رغم الكفاح العقائدي ضد بيزنطة إلا أن العلاقات كانت قوية جداً مع الآداب اليونانية بين القرنين 6–7 م فترجم المثقفون ورجال الدين الأرمن أعداداً هائلة من الكتب اليونانية إلى الأرمنية. لذلك نشطت "مدرسة محبة اليونان" في أرمينيا ودخلت بالتالي كلمات يونانية في اللغة الأرمنية وظهرت محاولات لمطابقة قواعد اللغة الأرمنية باللغة اليونانية.

تطور الفكر الفلسفي في أرمينيا القروسطية وكان دافيت أنهاغت الممثل الأكبر له.

V.Tchaloyan, Philosophia Davida Nepobedimovo, Yerevan, 1946, 222, بالروسية

وكانت أعمال دافيت الفلسفية المكتوبة باللغتين الأرمنية واليونانية مشهورة جداً ليس في أرمينيا فحسب، بل في بيزنطة وإيران أيضاً.

A.O. Makovelski, Istoria Logica, Maskva 1967, 236, بالروسية

تطورت العلوم أيضاً في القرن 7 م. ويُعدّ عالم الرياضيات الأرمني أنانيا شيراكاتسي الممثل الألمعي بين العلماء الأرمن العديدين. وتشمل دراساته مختلف مجالات العلوم الأساسية الرياضيات، الفلك، علم الفضاء وسواه. كذلك كان صاحب تاريخ كرونولوجي وكتاب للجغرافيا الأرمنية بعنوان "أشخارهاتسويتس". إستخدم شيراكاتسي في الوقت ذاته أعمال المؤلفين القدماء وخلّفت دراساته أثراً عميقاً في العلوم الأرمنية القروسطية وعلى وجه الخصوص على تطور العلوم الأساسية.

Sotchineniya Anania Shiragatsi, 175-182, بالروسية

تحتل هندسة العمارة الأرمنية مكانة إستثنائية هامة في آداب أرمينيا في القرن 7 م لأنها وصلت إلى مرحلة تطور عالية. وليس محض صدفة اعتبار هذا العصر حقبة ذهبية في تاريخ العمارة الأرمنية.

J.Strzygovski, Die Baukunst der Armenier und Europa, Wien 1918, 679-690.

تطورت هندسة العمارة الأرمنية بين القرنين 4–6 م وتشكلت أثناءها ميزاتها الخاصة الأساسية.

N.Tokarski, Arkhitectura Armenii, 90-92, بالروسية

وكان القرن 7 م غنياً بالأنصاب والمنشآت المقدسة. نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر قصر أمير أرمينيا في أروج وقصر الكاثوليكوسية في زفارتنوتس الذي شيده الكاثوليكوس نرسيس الثالث. ومن الملاحظ أيضاً أن غالبية الأنصاب المعمارية، التي تعود إلى القرن 7 م، كانت متمركزة في مقاطعة أيرارات نذكر منها باكافان، أفان، كايّانيه، هريبسيميه، باكاران، طالين، زفارتنوتس، أروج، يغفارد وغيرها بينما عددها أقل نسبياً في بقية المناطق. وهذا يعني أن التطور الإقتصادي كان الأقوى في مقاطعة أيرارات لذلك تطورت المدن وقامت فيها أعمال إنشائية عديدة.
وصلت الثقافة الأرمنية إلى نجاحات كبيرة أيضاً أثناء القرون الوسطى المبكّرة بين القرنين 4–6 م وإلى أعلى تطور لها إلا أن الخلافة العربية أوقفت تطور أرمينيا السياسي، الإقتصادي والثقافي طوال 50 سنة القادمة بعد احتلالها للبلاد.

الفصل الثالث

أرمينيا ضمن الخلافة العربية

(1) إخضاع العرب لأرمينيا

حافظت أرمينيا على استقلالها بفضل تكافؤ القوى بين بيزنطة والخلافة. وكانت أرجحية أحد هذين الطرفين وتفوقه على الآخر يعني زوال استقلال أرمينيا. أخلّ الإمبراطور جستنيان الثاني بشروط السلام مع الخلافة فبادر العرب إلى شن سلسلة هجمات تهدف إلى الهيمنة على أرمينيا نهائياً.

M.Ghazarian, Armenien, 38.

بعد إخضاع الثورات في شتى مناطق الخلافة قام الخليفة عبد الملك 685-705م ببعض الإصلاحات وحصّن بفضلها بأس الدولة العربية. قرر الأمويون الإستمرار في حروبهم وتنظيم حكم البلدان التي يقومون باحتلالها. وللوصول إلى هذه الغاية كان يتوجب عليهم تحطيم عدوتهم الرئيسية بيزنطة التي كانت لها مواقع راسخة في الهضبة الأرمنية.

كان على درب العرب في الشمال السوري شعب مسيحي محارب من أصل مجهول يُدعى أفراده ماردانيين (جراجمة حسب لفظ العرب-المترجم) يعيشون حياة شبه مستقلة على جبال أمان وطافر في الأقسام الجنوبية من أرمينيا الرابعة ويشكلون سداً منيعاً للدفاع عن آسيا الصغرى أمام اجتياحات العرب. وكانت بعض كتائبهم قد تغلغلت داخل لبنان سنة 666م بدعم بيزنطة. فوافق معاوية على دفع الجزية للجراجمة وبيزنطة إنْ توقفت هذه الأخيرة عن دعم هؤلاء الجبليين. وعندما باشر جستنيان الثاني 685-695م و705-711م بمحاربة العرب حرّض ضدهم الجراجمة عام 689م تقريباً فأُكره عبد الملك، كمعاوية، على دفع جزية مبلغها 1,000 ديناراً ذهبياً سنوياً لبيزنطة. فوافق جستنيان الثاني في نهاية الأمر على انسحاب غالبية الجراجمة من الشمال السوري والانتقال إلى مناطق آسيا الصغرى الداخلية أو حدودها الجنوبية.

Ph.Hitti, History of the Arabs, 204-208.

وكان لإبعاد الجراجمة عن سوريا أهمية حيوية كبيرة لبيزنطة. أخل جستنيان الثاني بشروط السلام مع العرب سنة 692م إلا أن اجتياح القوات البيزنطية أراضي سوريا أدى إلى كارثة لأن المهاجرين السلاف في المنطقة الحدودية تحولوا إلى جانب الأعداء أثناء الحرب في سيباستوبول الكيليكية. أما العرب، الذين وصلوا إلى نصر حاسم على البيزنطيين فقد حصلوا على فرصة سانحة لمحاربة الهضبة الأرمنية. فعيّن الخليفة شقيقه محمد بن مروان نائباً له في أرمينيا، الجزيرة وآذربيجان سنة 693م وتعقّدت أوضاع بيزنطة إلى حد أن سمبات باكراتوني، خليفة نرسيه كامساراكان الذي أصبح أمير أرمينيا عام 693م، خضع للعرب في العام ذاته لإنقاذ البلاد من إهراق دماء غير ضرورية.
Theophanis Chronographia, I, 561.

رغم ذلك نجد في حوليات ثيوفانيس أن البيزنطيين بقوا في القسم الجنوبي–الغربي من أرمينيا الرابعة لأن سيادة الخلافة لم تكن راسخة في البلاد حتى ذلك الوقت.
شبّ عصيان في بيزنطة سنة 695م وقُبض على الإمبراطور جستنيان الثاني وأُبعد إلى خيرسونيس وتربّع ليو 695–698م على العرش إلا أنه لم يُفلح في صد هجمات العرب القوية على أرمينيا وردهم عنها لأنه كان منشغلاً بالحرب في الشمال الإفريقي.
تغلغل محمد بن مروان داخل أراضي أرمينيا الرابعة وأسر العديد من سكانها. فباشر العرب حملاتهم نحو آسيا الصغرى وقرر محمد القيام بحملة صيفية في عام 75هـ=694–695م ودحر الروم.
. البعقوبي، الجزء 2، 281.

إصطحب محمد معه أسرى عديدين من أرمينيا الرابعة.
Theophanis Chronographia, I, 53.

قرر العرب القيام بحملة صيفية أخرى سنة 76هـ=695–696م بقيادة يحيى بن الحَكَم عبر مرج الشهم، الواقع بين مالاطيا وجبل آرارات، وسار الوليد بن عبد الملك على رأس قواته من مالاطيا في عام 77هـ=696–697م. أما الهجوم البحري فقد جرى بقيادة حسن بن نعمان.

. اليعقوبي، الجزء 2، 281–282.

إحتل الأدميرال أبسيمار عرش بيزنطة سنة 698م واتخذ اسم تيبيريوس الثالث 698–705م وأرسل قواته إلى أرمينيا. بناء على شهادة المؤرخ الأرمني غيفوند أظهر الأمير آشوت باكراتوني مقاومة جديّة لليونانيين.

. غيفوند، 19.

فأُمرت القوات البيزنطية بالقبض على أمير أرمينيا لأن البيزنطيين كانوا يرتابون في أنه تبنى موقفاً معادياً للإمبراطورية محاولةَ منه الثأر لأبيه الذي قتله اليونانيون. أفلح سمبات في النجاة مع محاربيه وقفل البيزنطيون عائدين إلى آسيا الصغرى.

تعرضت أرمينيا للهجمات من جهتين: باشر العرب بحملتهم على المناطق الجنوبية وتوصل البيزنطيون إلى نصر كبير في سميساط. أكد ثيوفانيس على انتصار البيزنطيين على جيش العرب الجرار المشكل من 200,000 مقاتل وحصلوا على غنائم كبيرة.

Istoria Vizantii, II, 45, بالروسية

ردّ العرب بدورهم على الهجوم ونظّم محمد بن مروان سلسلة حملات على أرمينيا في حوالي سنة 699م. بناء على شهادة المؤرخين الأرمنيين غيفوند والكاثوليكوس هوفهانّس شن العرب معارك طاحنة طوال سنتين وأخضعوا البلاد كاملةً إلا أن جزر بحيرة سيفان أبدت مقاومة شرسة ضدهم.

. غيفوند، 20.

. الكاثوليكوس هوفهانّس، 119.

نهايةً، بادر محمد بحملته الكبيرة في السنة 16 من حكم عبد الملك 701م. أكد ابن الأثير أيضاً على هذه الأحداث أن محمداً أخضع أرمينيا سنة 82هـ=701–702م.

. ابن الأثير، الجزء 4، 84.

تغلغل محمد في مقاطعة موكس (جيرمادزور) عبر الجزيرة فلجأ سكانها إلى القلاع. وعندما لم يتمكن من إخضاع هذه القلاع الجبلية المحصنة دعا محمد المدافعين غدراً إلى الخروج فقتل الجميع وساق النساء والأطفال أسرى.

. غيفوند، 29.

لكن، وبعد احتلالها، قام محمد بهدمها. كذلك عامل محمد رهبان دير القديس كريكور في باكريفاند بشراسة وبربرية. ثم سار نحو أعماق أرمينيا باتجاه مقاطعة أيرارات واحتل العاصمة دفين (دبيل) وركّز فيها حامية. إلا أن مقاومة سكان الجزر حالت دون تقدمه شرقاً. تحركت قوات أرمنية–بيزنطية مشتركة وحاصرت دفين أثناء غيابه وحررتها بعد قتل حاميتها العربية. فقفل محمد عائداً واحتل جزر بحيرة سيفان بعد معارك طاحنة وقتل العديد من المدافعين عنها. وبذلك خضعت أرمينيا كاملةً لمحمد بن مروان الذي أعاد احتلال دفين وأصبح صاحب البلاد.

. غيفوند، النص الروسي، 14.

بعد احتلالهم لأرمينيا، كارتلي وأران بالإضافة إلى المناطق المجاورة لبحر قزوين شكّل العرب ما يُدعى بـ "مقاطعة أرمينيا" ومركزها مدينة دفين وعيّن محمد أبو الشيخ بن عبد الله حاكماً لها. في الوقت ذاته، وبعد إخضاع أرمينيا، حارب محمد أرمينيا الرابعة فأعلن أميرها Vahan عن خضوعه للخلافة. أما بعض مناطق غربي أرمينيا (أرمينيا العليا وأرمينيا الرابعة) فقد ظلت ضمن المناطق الحدودية العربية–البيزنطية.

لم يُدرَس التاريخ السياسي لهذه الفترة بشكل كاف حتى وقتنا الحاضر لأن الباحثين ركزوا جُل اهتمامهم على ثورة الأرمن ضد الخلافة.

(2) ثورة عام 703م

تغيّرت سياسة عبد الملك الصارمة القاسية تجاه البلدان المحتلة كاملةً عن النهج السياسي للخلافة في القرن 7 م التي كانت تقدم وثائق عهد وأمان للأمراء الإقطاعيين، الكنائس والمدن لضمان حقوقهم الطبيعية والوراثية. إشتدت الأحوال القاسية في بداية القرن 8 م لأن جباية الجزية من السكان المسيحيين جرت بوسائل شرسة جداً. لم يشأ الحكام العرب في أرمينيا الإعتراف بحقوق الأمراء الأرمن الإقطاعية الوراثية. فبناء على شهادة المؤرخ الأرمني غيفوند المعاصر لهذه الأحداث "لجأ الحاكم العربي إلى وسائط غلّ وحقد محاولة منه إهلاك طبقة أمرائنا مع فرسانهم".

. غيفوند، الترجمة الروسية، 15.

إعتقل أبو الشيخ بن عبد الله، الذي كان يوصف بالغدر والمكر، الأمراء وحتى سمبات باكراتوني أمير البلاد ووضع الأغلال الحديدية على أطرافهم بالإضافة إلى الكاثوليكوس ساهاك دزوروبوريتسي وأرسلهم إلى دمشق.

. الكاثوليكوس هوفهانّس، 120.

ثم لجأ إلى الإضطهاد الديني وأعدم دافيت دفنيتسي (الدبيلي) الشهير في الآداب الأرمنية القروسطية.

Armianskoi Sinaksarii, 31 Marta. بالروسية

عانى الأمراء الكبار المتنفذون من تعذيب القوات العربية وتوقفت هذه الممارسات بعد

تقديم كميات كبيرة من الذهب والفضة رشوىً لإنقاذ حياتهم. رغم كل ذلك حنث العرب بوعودهم وقتلوهم جميعاً.

. أصوغيك، 124.

جاء ذكر هذه الممارسات الوحشية والقتل البربري ليس في كتب المؤرخين الأرمن فقط بل عند المؤرخين العرب، السريان والبيزنطيين.

. اليعقوبي، الجزء 2، 272.

. غيفوند، 34-35.

. ميخائيل السرياني، الجزء 2، 474.

Theophanis Chronographia, I, 570.

بناء على أقوال ميخائيل السرياني كانت هذه الممارسات قسماً من السياسة العامة للخليفة عبد الملك فقام نوابه من أمثال الحجّاج ومحمد بن مروان بتطبيقها بشراسة وجور. قام محمد، على سبيل المثال لا الحصر، بقتل حاكم الرها السرياني في منطقة ما بين النهرين ونهب جميع أملاكه وممتلكاته. وبعد حرق المقاتلين والأمراء الأرمن إحتل محمد قلاعاً عديدة وساق عدداً كبيراً من الأمراء الأرمن أسرى. فولّدت هذه الأحداث التراجيدية القنوط في قلوب الأمير سمبات باكراتوني والمتطابقين معه فابتعدوا عن منطقة تايك Tayk الأرمنية لعدم وجود أي أساس لانتظار الدعم من بيزنطة بل إكتفى الإمبراطور بمنحهم الحكم الشرطي لمدينة Pouyt (Poti) الواقعة على ضفة البحر الأسود في بلاد Eger.

رغم عدم التنظيم الجيد لثورة عام 703م، وخاصةً أن لا أحد كان ينتظر النجاح الكبير، لكنها انتهت إلى بعض النتائج التي كانت لها تأثيراتها على المصير السياسي اللاحق لأرمينيا.

وبسبب جرائم الحاكم العربي الشائنة عقد سمبات باكراتوني إجتماعاً تشاورياً بعد عودته من دمشق دعا إليه الأمراء سمبات بن آشوت، فارد بن ثيودور رشتوني وشقيقه آشوت

وغيرهم من الأمراء المرموقين وناقش الجميع طرق النجاة من ظلم الخلافة ونيرها لكنهم لم يتوصلوا إلى مخرج معقول فقرروا التوجه إلى بلاد الروم في نهاية المطاف أملين الحصول على الدعم. ومن المحتمل عُقد هذا الإجتماع بإشراف حاكم كوغوفيت الباكراتوني. إجتمع الأمراء الأرمن مع فرسانهم واتجهوا إلى الطرف الجنوبي–الشرقي من جبل آرارات ووصلوا إلى قرية آكورا.

. غيفوند، 24.

كانت قوة عربية من 8,000 مقاتل تتمركز في ناخيتشيفان (نشوى) فقامت بملاحقتهم. إستمر الفرسان الأرمن في الاتجاه شمالاً نحو وادي نهر آراكس (الرسّ) وعبروا النهر وأقاموا معسكرهم في قرية فارداناكيرت. بعث الفرسان الأرمن إلى العرب رسولاً يؤكدون على أنهم لا ينوون القيام بعصيان بل ينوون فقط مغادرة البلاد. إلا أن العدو لم يشأ بالاستماع إلى الحديث السلمي. وكان عدد قوات الأرمن أقل من 2,000 عنصر لكن البرد القارص ساعدهم على الهجوم ببسالة على أبناء الصحراء ودفعوا الأعداء في نهر أراكس المتجمدة مياهه في هذا الوقت فلم يتحمل الجليد وتحطم وغرق العرب الفارون . لم ينجُ من القوات العربية سوى 300 مقاتلاً لجأوا إلى مساعدة الأميرة الأرمنية شوشان التي كانت من عائلة الأمراء الكامساراكانيين. خرجت للقاء فرسان سمبات بن آشوت ورجتهم إنقاذ حياة جنود العرب الجرحى الباقين. بناء على بعض الأخبار قامت شوشان بتداوي جراحهم وقدّمت لهم الثياب و"الزوّادة" وأرسلتهم إلى الخليفة.

قام المنتصرون بعد ذلك بإرسال الغنيمة الكبيرة خيول عربية رائعة هديةًَ إلى ملك الأروام الذي عبّر عن شكره لسمبات باكراتوني ومنحه لقب Kuropalate. ويبدو أن الإمبراطور شجع الثورة الأرمنية لاستغلالها لمصالحه الشخصية. إتجه سمبات بعد ذلك إلى منطقة تايك الجبلية وانزوى في قلعة طوخارك الواقعة في الشمال.

. ب.أراكليان، ثورة الأرمن ضد نير العرب عام 703م، 1941، 50–60، بالأرمنية.

إمتد لهيب الثورة نحو مناطق أرمينيا العديدة فسارت قوات العدو ضد القوات الأرمنية في المنطقة الجنوبية في ناحية رشتونيك في قرية كوكانك في منطقة فاسبوراكان لكنها أُفنيت ثانيةً عن بكرة أبيها.

. غيفوند، 26.

إلتقت قوات عقبة بالفرسان الكامساراكانيين وأهلكت القوات الأرمنية القوات العربية المهاجمة في هذه المرة أيضاً ففر عقبة نحو سوريا وطلب من الخليفة إرسال قوات كبيرة للانتقام من الثوار الأرمن. وعندما وصلت أنباء انكسار القوات العربية المخزي إلى الخليفة عبد الملك أمر شقيقه محمد بن مروان للهجوم على أرمينيا بقوات كبيرة وبصحبة عقبة.

. الكاثوليكوس هوفهانُس، 121-122.

وبسبب عدم وجود إمكانية كافية لمقاومة القوات العربية الجرارة أُكره أمراء أرمينيا على طلب وساطة الكاثوليكوس ساهاك، الذي بالكاد كان قد قفل عائداً من دمشق، وبعض الأساقفة كي يجروا محادثات سلام. وعند وصول الرسل إلى حران، حيث كان من المنتظر أن يصل إليها محمد، مرض الكاثوليكوس وشعر بقرب النهاية فوجه رسالة إلى نائب الخليفة محمد راجياً تأمين حرية أرمينيا الدينية والاعتراف بحقوق الكنيسة الأرمنية. ثم توفي مباشرةً.

. أديب السيد، أرمينيا، 85-86.

قدّم محمد للأساقفة المصاحبين رسالة ممهورة بالقسّم يعترف فيها بحرية الإيمان فعاد هؤلاء مع جثة الكاثوليكوس إلى الديار. مع ذلك تحرك محمد نحو أرمينيا. ورغم أنه لم يسبب أضراراً لكنه كان ينظر إلى الأمراء الأرمن شذراً وبخبث. لبّت رسالة محمد مطالب الكنيسة فقط. أما بالنسبة للأمراء الأرمن فلم تتبدل سياسة الخلافة تجاههم بل صعّدت من نشاطاتها من أجل هلاكهم. فبناء على المؤرخ الأرمني من القرن 8 م غيفوند أكد الخليفة

الجديد الوليد الأول 705–715م في السنة الأولى لتولي العرش على "أن الأمراء الأرمن سيصبحون عقبة طموحة أمام سلطتنا".

. *غيفوند، 31، الترجمة الروسية 21.*

بعد عودته من المنفى سنة 705م أخضع جستنيان الثاني معارضة أعدائه واحتل العرش ثم جدّد مبادراته في شن الحروب ضد العرب. وفي هذا الوقت بالذات لجأ إليه سمبات باكراتوني طلباً للدعم. وبعد حصوله على قوات مساعدة دخل سمبات إلى منطقة فاناند عام 705م وأقام معسكره قرب قرية تراشبيت. هاجمه محمد ودحره وقُتل في المعركة 5,000 من المقاتلين البيزنطيين المشاة.

. *غيفوند، 30.*

عندما علم الخليفة الوليد عن هذا الانتصار أمر محمداً بقتل الأمراء الأرمن الكبار فقفل محمد عائداً إلى دفين وأمر قاسماً في ناخيتشيفان (نشوى) دعوة الأمراء الأرمن إليه مع فرسانهم بذريعة ضمهم إلى جدول المستفيدين من الرواتب. لم يشتبه الأرمن في وجود مكيدة وشرك خبيث ماكر فاتجهوا إلى هناك وتم اعتقالهم مباشرة وتقسيمهم إلى فئتين: أمروا الجماعة الأولى بالتجمع في كنيسة نشوى والقسم الثاني في كاتدرائية القرية القريبة خلا الأمراء الكبار المتنفذين (وأبادوا الباقي حرقاً حتى الموت بعد سد أبواب الكنيستين ونوافذهما بالطوب وكان عددهم 800 أميراً–المترجم).

. *أصوغيك، 124.*

فكتب المؤرخ الأرمني الآخر غيفوند قائلاً: "بهذه الطريقة توفي سمبات بن آشوت من عائلة الأمراء الباكراتونيين، كريكور وكوريون من عائلة أرتزروني، فاراج–شابوه وشقيقه من عائلة الأماتونيين وأمراء عديدون من عائلات الفرسان".

. *غيفوند، 34–35.*

(3) علاقات الأمويين مع أمراء أرمينيا وكنيستها

بدّل الخليفة وليد الأول 705–715م نهجه السياسي تجاه أرمينيا عام 705م بعد هذه الإبادة المأساوية. واستجابة لطلب الأرمن وشكواهم إستدعى الوليد محمداً وعيّن عبد العزيز حاتم البهيلي 705–709م حاكماً لأرمينيا وانتهت حقبة الفتوحات وتوجّب على الخلافة إصلاح علاقاتها مع البلدان المحتلة.

أظهرت ثورة عام 703م أن سياسة إفناء الأمراء في أرمينيا أدّت إلى عراقيل جدية مع أن الأمويين إتخذوا الخطوة الحاسمة في هذا المجال.

لذلك، ومنذ اللحظة الأولى لوصول الحاكم العربي الجديد إلى أرمينيا، إعترف بحقوق الأمراء الأرمن الإقطاعية الوراثية وأرسل إلى الأمراء الأرمن المبتعدين عن البلاد ودعاهم للعودة إلى أملاكهم.

. غيفوند، 35–36.

كانت رسالة عبد العزيز ضمانة كافية فعاد الأمير سمبات باكراتوني مع أمراء آخرين من المنفى الاختياري واسترد الجميع حقوقهم الإقطاعية واستلم سمبات منصبه السابق أميراً لأرمينيا وحكم البلاد حتى عام 726م.

. أصوغيك 103–104.

. كاغانكاتفاتسي، 258.

أشار غيفوند إلى أن الأمراء الأرمن ظلوا مدة 6 سنوات في Poyt بعد ابتعادهم عن تايك عام 705م أي عادوا إلى البلاد بعد 11 سنة في 711م. لكن الحقائق المستجدة تؤكد على أن عودتهم كانت في سنوات حكم عمر بن عبد العزيز 705–709م.

. أ.نالبنديان، الحكام العرب، عدد 6.

وعلينا الاستطراد أيضاً أن الباحثين لم يُفلحوا حتى يومنا في تحديد السنة الأخيرة من حكم عبد العزيز في أرمينيا. نعلم فقط أن مَسْلَمة بن عبد الملك أصبح حاكم المنطقة الشمالية

سنة 709م إلا أننا لا نملك وثائق حول مَن كان يحكم أرمينيا حتى عام 715م عندما استلم هذه المهمة عدي بن الكندي. خلا ذلك، من المحتمل أن السنوات الست، التي أشار إليها المؤرخ غيفوند، يجب اعتبارها وجوداً مؤقتاً للأمراء في المنفى بشكل عام. وفي هذه الحال نفترض أنهم قفلوا راجعين إلى الوطن سنة 709م تقريباً.

لم يَفُز سمبات باكراتوني بسلطة متنفذة في الحقبة الثانية من حكمه لأن الأمويين لم يتمكنوا من نسيان نشاطاته الماضية.

هناك أدلة في الآداب التاريخية حول ترميم عبد العزيز لعاصمة أرمينيا دفين (دبيل). كذلك روى غيفوند أن الحاكم العربي عبد العزيز نفسه كان قد اشترك في فتح المدينة عندما لم يتعدّ سنه عن 12 عاماً واشترك بدوره في تدمير المدينة.

هناك شهادة غير واضحة في تاريخ المؤرخ الأرمني كاغانكاتفاتسي أن الأمير عبد العزيز كان يضطهد المسيحيين في مدينة بردعة. وتُنسب هذه الشهادة طبعاً إلى عمر بن عبد العزيز 717–720م الذي كان حاكم أرمينيا في عهد الخليفة يزيد الثاني 720–724م المشهور بعلاقاته غير الودية مع المسيحيين. تبدلت آراء عبد العزيز منذ توليه حكم أرمينيا وغيّر الأمويون مواقفهم تجاه الكنيسة الأرمنية. وتُذكَرنا سياسة الأمويين الدينية بسياسة الساسانيين تجاه كنائس الشعوب المنضوية تحت سيطرتهم. لقد حاول الساسانيون دعم بعض الكنائس ضد الأخرى. وبعد مَجْمَع إفس الكنسي عام 431م رعى الساسانيون كنيسة النساطرة.

سعى الأمويون الاستناد على السوريين منذ اللحظة الأولى والاعتماد عليهم بينهم عرب مسيحيون لعدم وجود دعم راسخ للخلافة العربية التي كانت لا نزال في حال تشكّل. وكانت زوجة معاوية مؤسسة عائلة ميسون المسيحية من قبيلة كلب. تبوأ ابن سركون (سيرجيوس)، سليل عائلة قديمة مشهورة، مهمة رئاسة الهيئة المالية في عهد الأمويين. إشتهر حفيده يوحنا الدمشقي في القرن 8 م كناشط كنسي وثقافي مرموق. كذلك كان ابن وصال المسيحي طبيب معاوية الخاص فعينه الخليفة مسؤولاً رئيسياً عن شؤون منطقة حمص المالية. كذلك كان الشاعر الأخطل من قبيلة بني تغلب المسيحية يدخل إلى قصر

الخلافة وصليب كبير يتدلى من عنقه. أيضاً كان اليعاقبة والموارنة في عهد معاوية يلجأون إليه أثناء خلافاتهم الدينية.

J.Wellhausen, Das Arabische Reich, Berlin 1927, 84.

أمر الخليفة بترميم كنيسة الرها التي كانت قد انهدمت بفعل هزة أرضية قوية.

صعدت قوة الكنيسة اليعقوبية في سوريا والبطريركية الأنطاكية في عهد الأمويين وجرى الشيء ذاته في مصر القبطية فعلا شأن كنيستهم الموفيزيتية ضد الملكيين. وكان كرسي الإسكندرية يقع بشكل رئيسي بيد المونوفيزيتيين.

كان على الأمويين أخذ الكنيسة الأرمنية بعين الاعتبار لدورها الكبير في حياة جميع الشرائح في أرمينيا. وبعد وفاة الكاثوليكوس ساهاك في حرّان صعد يغيا أرجيشيتسي 703–717م على كرسي الكاثوليكوسية. تغيّر فحوى عهد الأمان، الذي قدمه محمد بن مروان في عهد عبد العزيز، بسبب تبديل الخلافة لسياستها جذرياً تجاه أرمينيا. فشنّ الكاثوليكوس يغيا حملة شعواء حاسمة ضد جميع مظاهر عقيدة الطبيعتين التي كانت تنشط في البلاد بتشجيع بيزنطة. وفي أران، وبعد وفاة الكاثوليكوس يغيازار، خلفه نرسيس الذي بالاتفاق مع أسبرام، زوجة الأمير فاراز–تردات، حاول نشر العقيدة الخلقيدونية ولاحق الأساقفة المخلصين لعقيدة الطبيعة الواحدة بينهم الأسقف الشهير إسرائيل الذي، كما ذُكر في الأعلى، كان قد أُرسل إلى الخزر للتبشير بالمسيحية بينهم.

إجتمع أمير أرّان وOutik المدعو شيرو مع أساقفة وإقطاعيي البلاد ولجأوا إلى مساعدة كاثوليكوس الأرمن. وكان الخليفة مستعداً مبدئياً لدعم جميع الحركات الموجهة ضد الممالئين لبيزنطة.

إتجه الكاثوليكوس يغيا بصحبة أساقفته إلى الكاتدرائية في مدينة بردعة. وبناء على أمر أمير آران شيرو جيء بنرسيس فحوكم مع سبرام وتم نفيهما وانتخب سيميون كاثوليكوساً جديداً.

إتخذ المجمع الكنسي قراراً حول التطابق مع كرسي كاثوليكوسية أرمينيا والاتحاد الراسخ

معها. وكانت الحرب على الخلقيدونية في أرمينيا قسماً من تلك الحرب التي سادت في أرمينيا نفسها وخاصة أنه كان للمؤمنين بالطبيعة الثنائية موالون في البلدين.
تبدلت علاقات الأرمن مع البيزنطيين في هذا الوقت بالذات وباشر الإمبراطور جستنيان الثاني وخليفته فاردان فيليبّيك 711–713م في ملاحقة الأرمن الفارين إلى أرمينيا الرابعة المتحصنين في منطقة باكريفاند في مقاطعة ميليتينيه (مالاطيا) بينهم عدد من أفراد شيعة البافليكيانيين. لقد أكد المؤرخ السرياني ميخائيل على أن الأرمن لجأوا إلى العرب طلباً للمساعدة ضد بيزنطة. ولام هذا المؤرخ السوري الروم أنهم كانوا يبغضون جميع السوريين والأرمن المؤمنين بعقيدة الطبيعة الواحدة.
. ميخائيل السرياني، الجزء 2، 482.

عبّرت معنويات الأرمن السياسية عن نفسها دينياً على درب هذه الأحداث على شكل حرب ضد جميع مظاهر عقيدة الكنيسة البيزنطية الرسمية التي تدين بمبدأ الطبيعتين. وبدوره ساهم كاثوليكوس أرمينيا الجديد هوفهانّس Odznetsi 717–728م في اشتداد سعير هذه الحرب وحصّن أساسات الكنيسة الأرمنية القومية فحاز على نفوذ كبير وخاصةً أن أمير أرمينيا سمبات باكراتوني كان معزولاً إلى حد ما. والدليل على ذلك أن الحكام العرب في أرمينيا مثل عدي بن عدي الكندي 715–717م وعمر بن عبد العزيز 717–720م وسواهما ناقشوه ليس في المسائل الكنسية فحسب، بل أيضاً حول المسائل السياسية في البلاد.
بناء على شهادة مؤرخين أرمن روى كل شخص خدم في أرمينيا باسم الوليد الكثير للخليفة حول شخصية الكاثوليكوس هوفهانّس Odznetsi وهيبته إلى درجة تشوّق الخليفة لرؤية هذه الشخصية الإستثنائية فدعاه لزيارته.
. الكاثوليكوس هوفهانّس، 130–131.
. أصوغيك، 103–104.
. صموئيل آنيتسي، 87.

فاتجه هوفهانّس Odznetsi إلى دمشق سنة 719م لعند الخليفة عمر الثاني 717–720م.

. المؤرخ الأرمنـي فاردان، 100.

يروي المؤرخ الأرمني كيراكوس كانتساكيتسي حول دواعي هذا اللقاء الهام وأهدافه الحقيقية. فعندما سأل الخليفة الكاثوليكوس ماذا يودّ منه طلب الكاثوليكوس الأرمني السماح بحرية الإيمان بالدين المسيحي وعدم جباية الضرائب من الكنيسة الأرمنية ورجال دينها. فقدم له عمر بن عبد العزيز مثل هذه الوثيقة بالإضافة إلى الهدايا. وتكمن المسألة أن الخليفة بدوره طلب مساعدة الكنيسة الأرمنية لترسيخ حكمه على أرمينيا وإبقاء الشعب الأرمني تحت هيمنته.

. كيراكوس كانتساكيتسي، 68.

لدى المؤرخ الأرمني غيفوند تلميح أن الخليفة عمر بن عبد العزيز أخلى في هذا الوقت سبيل الأسرى الذين سيقوا من أرمينيا بعد إعدام الأمراء الأرمن حرقاً سنة 705م. ويفترض بطريرك الأرمن في إسطنبول ماغاكيا أورمانيان أن كل ذلك تحقق بفضل محادثات الكاثوليكوس الأرمني مع الخليفة. وكان بين العائدين الأمير فاهان بن خسروف كوغتنيتسي الذي قُتل في عام 705م (أعدمه بقطع الرأس لاحقاً الخليفة هشام بن عبد الملك في مدينة الرصافة في البادية السورية بعد منحه ثلاث فرض للعودة إلى الإسلام لأنه كان قد رُبي كمسلم في قصر الخلافة في دمشق كأسير في سن الرابعة فارتد وعاد إلى أرمينيا واقترن من أميرة أرمنية–المترجم).

جذب لقاء الكاثوليكوس بالخليفة انتباه بيزنطة فأرسل الإمبراطور الجديد ليو الثالث الإزاوري (الأرمني الأصل–المترجم) رسولاً إلى الكاثوليكوس للاستفسار عن تقاربه مع الأمويين.

. المؤرخ الأرمنـي فاردان، 101–102.

من أهم الأحداث في هذه الفترة إحياء العلاقات الأرمنية–السريانية في عهد هوفهانّس أودزنيتسي. وكانت الكنيسة الأرمنية تقوم بتشكيل جبهة مشتركة عامة مع اليعاقبة السوريين ضد ساسانيي فارس.
E.Ter-Minasiants, Die Armenische Kirsche, 62-66.

وكانت للكنيسة السورية اليعقوبية سلسلة أسقفيات في بعض مناطق أرمينيا. ذكر ميخائيل السرياني الأسقفيات التالية في الفترة الممتدة بين قرني 7–9 م في أرمينيا الأصلية: هانازيت (أندزيت)، كيغات (خلاط)، كالينكالا (ثيودوسيوبوليس)، تل أرسانياك (أراتساني) وحصن زياد (خربوط). كذلك كانت هناك أسقفية كبيرة في أرمينيا العليا. ويذكر أسماء بعض الأساقفة السريان في هذين القرنين منهم جبرائيل، يوحنا، باخوس، أغناطيوس كذلك أثاناسيوس الذي عاش في نهاية القرن 8 م. وخلا هذه الأسقفيات كانت هناك أسقفيات أخرى في مقاطعة أغدزنيك (ديار بكر) وأرمينيا الصغرى مثل آمد، أرزوك، بيت باليش، هاني، ميّافارقين، ماردين ومالاطيا وكانت آمد من أهم مراكز الكنيسة اليعقوبية.
Michel le Syrien, III, (Appendice IV).

كانت العلاقات بين الكنيسة الأرمنية واليعاقبة السريان راسخة بدءاً من القرن 8 م. ففي رسالة موجهة إلى الأسقف غريغوريوس في عام 714م تحدث يشوع حول الجدالات الدينية بين الأرمن والسريان. وبعد مناقشته أحد المنوّرين الأرمن خاطب يشوع غريغوريوس الذي أوضح في رسالته الجوابية طبيعة هذه الجدالات وقدّم سيرة كريكور المنوّر المقتضبة الذي كان الأرمن والسريان يكرّمونه كثيراً.
E.Ter-Minasiants, Die Armeniche Kirche, 68-69.

وكان الجدال يدور حول عدم تفسّخ جسد السيد المسيح الأبدي. وقفت الكنيسة الأرمنية إلى جانب الموالين لليوليانية واعتنق السريان اليعاقبة مذهب Severs أي الاتجاه

المعاكس. بناء على رواية ميخائيل السرياني الشيقة وجّه أحد منوّري منطقة ميّافارقين المدعو بار خابيشابّا رسالة إلى كاثوليكوس أرمينيا هوفهانّس Odznetsi محتجّاً على المزاج اليولياني لرهبان دير Igra وعلى وجه الخصوص الراهب جبرائيل الذي بدوره حاول التأثير على الأرمن. فبعث الكاثوليكوس رسالة إلى البطريرك أثناسيس وباشرت المراسلات بين الطرفين اشترك فيها رجال دين أرمن من منطقة صاصون. فقرر الطرفان في نهاية المطاف عقد اجتماع من ممثلي الكنيستين في مدينة مانازكيرت في أرمينيا. توجّه البطريرك الأنطاكي اليعقوبي أثناسيوس برفقة أسقف ميّافارقين سيميون وأسقف دارا إلى هناك. دُعي إلى هذا الإجتماع أساقفة أرمن، ممثلو جميع الأبرشيات الأرمنية وعددهم 31 شخصاً، أسقف Igra جبرائيل وبعد جدال طويل أفلح الأساقفة السريان في إقناع المشتركين بمحاكمته وطرده. إتخذت الكنيستان قراراً مشتركاً وحررتا الوثيقة بالأرمنية والسريانية ظلّ النص الأرمني لدى السريان والنص السرياني لدى الأرمن. وبناء على هذه الإتفاقية دان المشتركون سيفير ويوليان أيضاً.

Michel le Syrien, II, 492-500.

Maghakia Ormanian, Azkapatoum, 838-843, بالأرمنية

توصلت الكنيستان إلى الوحدة العقائدية الضرورية الحيوية جداً في النصف الأول من القرن 8 م. صعدت قوة مواقع الكنيسة الأرمنية بعد هذا الإجتماع ليس في أرمينيا ضد الهراطقة والخلقيدونيين فحسب، بل أيضاً في المقاطعات المسيحية للخلافة المجاورة.

بناء على شهادة ديونيسيوس بار صليبا من المحتمل نُقل رجال دين أرمن إلى سوريا بعد اجتماع مانازكيرت فأرسل الكاثوليكوس هوفهانّس ثلاثة أساقفة لتحذير هؤلاء من "الخلقيدونيين–اليوليانيين". خصص البطريرك اليعقوبي أثناسيوس مكاناً للرهبان الأرمن ليقوموا بالدراسات مع الرهبان السريان. لكن، وبعد وفاة الكاثوليكوس الأرمني، بانت خلافات بين الأرمن واليعاقبة من جديد.

(4) معارك الخلافة ضد بيزنطة، الخزر وأرمينيا

لعبت أرمينيا مع مقاطعات الخلافة الملاصقة لها دوراً حيوياً في معارك ضد عدوين رئيسيين للخلافة: الخزر وبيزنطة. وكان القسم الشمالي من الخلافة، المشكّل من أرمينيا التاريخية الأصلية، الجزيرة، آذربيجان ومنطقة الثغور، في بؤرة اهتمام الأمويين كأهم قاعدة إستراتيجية.

تحصّن العرب نهائياً في عهد عبد الملك على المساحة الممتدة من سلسلة جبال بونتوس حتى مناطق ما بين النهرين الحدودية (إقليم الثغور)".

E.Honigman, Die Ostgrenze, 39, 43.

وعلى الطرف المقابل من هذه المنطقة كانت للبيزنطيين مواقعهم. وكان الإمبراطور جستنيان الثاني يجد أن توطين المهاجرين في تلك الأراضي قوة كبيرة للإمبراطورية فبادر في بناء مستوطنات بيزنطية في المناطق الحدودية أسكن فيها مستوطنين-مقاتلين. إستفاد هؤلاء من الإدارة الذاتية وحصلوا على مكافآت سخية من خزينة الدولة.

Istoria Vizantii, II, 42, بالروسية

حوَت المستعمرات البيزنطية سلسلة تحصينات كانت تتعرض دائماً إلى هجمات العرب. قام العرب بحملتين سنوياً تقريباً: صيفية وهي الكبيرة وشتوية ودمّروا هذه المواقع في غالبية الأحيان وصولاً حتى آموريا ومستعمرة أناطوليك. فردّ البيزنطيون بدورهم بتخريب تحصينات مناطق الثغور العربية قبل التقهقر إلى الخلف وبذلك كانت تدمَّر مساحات كبيرة جداً على الطرفين. ومثالنا على ذلك أن العرب أحرقوا بعض الغابات والمحاصيل الزراعية في آسيا الصغرى عام 106هـ=724-725م فقام البيزنطيون بالمقابل بتخريب المراعي الجبلية في الشمال السوري.

. اليعقوبي، الجزء 2، 328.

كانت المقاطعات الشمالية في بؤرة اهتمام الأمويين في ظروف الحرب الشرسة مع بيزنطة لذلك عينوا نوابهم الأنشط والأقوى حكاماً على هذه المقاطعات. عُيّن مَسْلَمَة بن عبد الملك، إلى جانب شقيق الخليفة الوليد محمد بن مروان الذي نظّم مع ابن شقيقه عباس بن الوليد حملة ضد بيزنطة. ظل مَسلَمة نائباً للخليفة في الشمال حتى عام 732م وخلفه الجرّاح بن عبد الله الحِكمي مرتين وقتياً.

تجددت معارك الإمبراطور جستنيان الثاني 705–711م مع العرب أثناء ولايته الثانية. فقرر العرب القيام بحملة صيفية على آسيا الصغرى سنة 86هـ=705م. أمر الخليفة الوليد حاكم أرمينيا، من المحتمل جداً عبد العزيز البهيلي، اجتياح آسيا الصغرى. وبعد مرور بعض الوقت استعدّ العرب بجدية وهاجموا الروم واحتلوا توان في كاباتوكيا.

وصل ليو الثالث 717–741م إلى الحكم في برهة حاسمة من تاريخ بيزنطة عندما كانت الخلافة قد وصلت إلى قمة قوتها وبأسها بينما كانت بيزنطة تبدو عاجزة عن مقاومة العرب ووقف اجتياحاتهم. إستعد الإمبراطور الجديد للحرب ووصل إلى انتصارات حاسمة ضد العرب في آسيا الصغرى بفضل شن السكان المحليين حرب الأنصار ضد القوات العربية.

كان الخزر الحلفاء الرئيسيين لبيزنطة في معارك ضد العرب وتحوّلت أراضي أرمينيا إلى ساحة حرب بين المتحاربين مرة أخرى. أخّر الخزر تقدم العرب عدة مرات وسنحوا لبيزنطة فرصاً قيّمة للنجاة من هجماتهم. تمكن القائد محمد بن عقبة من احتلال ممر دربنت (باب الأبواب–المترجم) في بداية حكم نائب الخليفة محمد بن مروان لكنه فشل في الاحتفاظ به. قاد مسلمة مع شقيقه محمد المعركة الشرسة ضد الخزر في بداية القرن 8 م وبعد معارك طاحنة فقط إحتل دربند سنة 713م أو 714 م ثم قام بحملة كبيرة ضد بلاد الهون لكنه اندحر.

M.Artamanov, Istoria Khazar, 203, بالروسية

دخل الخزر إلى شيرفان في عهد الخليفة عمر واحتلوا المناطق المحاذية لبحر قزوين.

فأرسل الخليفة قوات إلى أرمينيا فدحرت الخزر بقيادة حاتم بن نعمان البهيلي.
. الطبري، الجزء 3، 553-554.

Artamanov.., 209.

إلا أن الخزر اجتاحوا أرمينيا عنوةً سنة 721-722م لكنهم إنكسروا أمام زبيد النهراني. فقام نائب الخليفة الجديد الجرّاح بن عبد الله الحكمي بمهاجمة الخزر على وجه السرعة على رأس جيش كبير وأفلح في احتلال دربند ثم اتجه شمالاً واحتل طرقة وباغانجار. ثم حاول السير حتى سمرقند لكنه علم أن الخزر ركّزوا قوات كبيرة هناك فتقهقر وأمضى الشتاء في شاكي (نوخي). طلب الجراح الدعم من الخليفة إلا أن يزيداً كان قد توفي في هذا الوقت سنة 724م فوعده الخليفة الجديد هشام ببعض الإمدادات. دخل الجراح إلى بلاد اللاّن في ربيع السنة التالية من المحتمل عبر ممر داريال وفرض الجزية الفردية على سكانها.

أزاح الخليفة هشام جراحاً من حكم المقاطعات الشمالية للخلافة وعيّن مَسْلَمة عوضاً عنه ورَسَم الحارث بن عمرو الطائي 724-725م حاكماً لأرمينيا. كلّف كذلك القائد الشهير سعيد الحِرَشي لمحاربة الخزر فهاجمهم سنة 725-726م إلا أن الخزر تحركوا جنوباً عام 727-728م فقرر مسلمة محاربتهم وقفل راجعاً بغنائم كبيرة. قام مسلمة بحملة عبر ممر داريال بعد سنة واحدة فقط. ورغم اجتياحه الأراضي الخزرية إلا أن الطالع لم يحالفه في هذه المرة.

فعُين الجراح نائباً للخليفة ثانيةً سنة 729م فاجتاح تيفليس عنوةً في العام نفسه عبر ممر داريال واستمر في سيره حتى وصل إلى مدينة البيضا في وادي الفولغا. دخل الخزر إلى أرمينيا سنة 750م في منطقة بايتاكاران وقتلوا جميع المسلمين أينما عثروا عليهم. بعد قضاء فصل الشتاء في شاكي تحرك الجراح نحو بردعة ومنها إلى أردبيل حيث إنتظر الأعداء. وكان الخزر على دراية جيدة بأحوال أرمينيا بفضل معلومات حصلوا عليها من أمراء كارتلي. فحاصروا مدينة فارداناكيرت (فارسان) الواقعة على ضفة نهر آراكس

(الرسّ) فأكرهوا الجرّاح على الارتداد. وبفضل تفوق جيش الخزر عدداً وعدة توصّل إلى انتصار كبير على العرب وقُتل الجراح أثناء المعركة عند أردبيل. خرّب الخزر بعد ذلك آذربيجان وتبريز ثم اجتاحوا أرمينيا عنوةً ونهبوا باكافان وطوّقوا قلعة أمبريوتيك ووصلوا حتى إلى دياربكر.

. غبفوند، 102.

عيّن الخليفة هشام سعيداً الحِرَشي عوضاً عن الجراح وقدم له 30,000 مقاتلاً و100,000 درهماً كنفقات. وبعد وصوله إلى أرمينيا جمع سعيد بقايا قوات الجراح ووصل حتى شواطئ بحيرة فان وأخضع مدن أرمينيا الجنوبية ثم اتجه شرقاً نحو بردعة وحصل على بعض الإنتصارات ضد الخزر. فتحرك الخزر بدورهم بجيش جرار وجرت معركة في سهل موغان إنتصر فيها العرب وغنموا غنائم حربية كبيرة. عاد مسلمة بسرعة وكانت بينه وبين سعيد خلافات حادة جدية. وبعد هيمنته على مدينة دربنت أرسل 24,000 محارباً من العرب السوريين للدفاع عن قلعتها ثم غادر إلى سوريا.

حاول العرب أثناء معركتهم مع الخزر تعزيز هيمنتهم على المناطق الواقعة جنوبي سلسلة الجبال القفقاسية في كارتلي على وجه الخصوص.

Histoire de la Georgie, I, 238.

خلا احتلال كارتلي سيطر العرب على ليزيكا أيضاً. وبعد عصيانه ضد بيزنطة سنة 697م طلب بطريق ليزيكا مساعدة العرب. فاحتل العرب عاصمة ليزيكا أرهيوبول 705–711م وبعض القلاع في فج كوتورسكي وبذلك إنتهت المعارك ضد بيزنطة من أجل ليزيكا لصالح العرب.

أفلح العرب في إلحاق كارتلي (جُرزان) فقط في أرمينيا حتى بوابات ممر سلسلة جبال آلان القفقاسية. إلا أن الأقسام الجبلية والبعيدة عن كارتلي ظلت خارج منال الخلافة وخدمت ملجأً للفارين من العرب. أرسل الأمويون قوات جديدة مراراً لتأمين سيطرة الخلافة

على المناطق الجبلية الصعبة المنال.

(5) تصاعد جور الخلافة العباسية وظلمها ضد أرمينيا وثورة 747–750م

ساءت أحوال أرمينيا كثيراً عندما نشأت معارك طاحنة ضد الخزر في عهد خلافة اليزيد 720–724م والسنوات الأولى من خلافة هشام 724–743م. وكانت الخلافة تعتقد بوجوب إظهار صرامة مفرطة لترسيخ سيطرتها على أرمينيا. واليزيد، الذي وصفه المؤرخ الأرمني المعاصر غيفوند بـ "الإنسان الماكر الغدّار" كان صاحب مزاج معادٍ للأرمن فأمر شخصياً، بسبب تعصبه الديني، بتحطيم أيقونات جميع الكنائس الأرمنية وإبادة الخنازير في البلاد مسبباً خسائر عظيمة لتربية المواشي.

. *غيفوند، 100.*

كذلك أكد المؤرخ السرياني ديونيسيوس تل محري على أن يزيداً أمر في عام 723–724م إفناء جميع الأيقونات ليس في كنائس أرمينيا فحسب، بل في دورها أيضاً.

. *ديونيسيوس تل محري، 17.*

أرسل حاكم أرمينيا الحارث بن عمرو الطائي ورفع نسبة الجزية بحيث فُرضت على كل شخص عوضاً عن كل أسرة وبيت.

. *كاغانكاتواتسي، 258.*

ساءت أحوال أرمينيا بعد وفاة أميرها سمبات باكراتوني سنة 727م بسبب عدم تعيين الخليفة أميراً للبلاد مدة 5 سنوات تقريباً. بالإضافة إلى ذلك لم يشأ الأمويون حتى دفع مرتبات الفرسان الأرمن.

. *غيفوند، 113.*

ويعود إلى هذا الوقت تقريباً إعدام الأمير الأرمني فاهان كوغتنيتسي الشهيد من القرون الوسطى (أُسر الأمير في سن الرابعة من عمره مع آخرين وتربّى في قصر هشام في دمشق وتمت أسلمته إكراهاً وأصبح رئيس ديوانه. وبعد أن شبّ فاهان علم بأصله الأرمني–المسيحي فارتد عن الإسلام فاضطر الخليفة على إعدامه بقطع الرأس في الرصافة المدينة السورية المسيحية من القرون الوسطى بعد إمهاله لثلاث مرات–المترجم).
. أصوغيك، 125.

كذلك إضطهد العرب الكاثوليكوس دافيت الأول 728–741م إلى حد هجر داره في العاصمة دفين واستقر في قرية أرامونس الواقعة إلى جوار كودايك. كذلك قتل العرب أمير جيفانشير في أرّان.
. كاغانكاتواتسي، 258.

عُين مروان بن محمد نائباً للخليفة في القسم الشمالي من الخلافة سنة 732م وكان هذا التعيين بدايةً لتغييرات جرت في سياسة الخلافة تجاه أرمينيا. أقنعت المعارك الطاحنة القاسية ضد الخزر الخليفةَ هشاماً ضرورة تأمين الهدوء والسلام في أرمينيا.
R.Grousset, Histoire de l'Armenie, 315.

إستخدم هشام جيش الفرسان الأرمن لإدارة معارك ناجحة في دربنت. كذلك أيقن أن ممارسات مروان ، وتحديداً رفع نسبة الجزية، أدّى إلى سخط سكان أرمينيا. وبعد تعيينه نائباً للخليفة وصل مروان مباشرة إلى أرمينيا. استقبله وجهاء أرمينيا مهنئين في العاصمة دفين فبدّل سياسته تجاههم وأصبح أكثر ودياً دعا مروان آشوت بن فاساك باكراتوني إليه ومنحه منصب بطريق وأمير أرمينيا وأظهر له احتراماً كبيراً. وبعد ترسيخ سلطته إتجه آشوت إلى دمشق لعند الخليفة هشام لحل مسألة شكاوى الفرسان الأرمن لأن خزينة

الخلافة لم تدفع لهم مرتباتهم طوال 3 أعوام. حقق هشام مطالبه وأمر بدفع مرتباتهم بمقدار 100,000 درهماً عن كل سنة.

. غيفوند، 112-113.

تخلخات مواقع العرب في أرمينيا بسبب حروبهم الطاحنة ضد الخزر ولم ترضخ القبائل الجبلية القفقاسية عملياً للعرب لذلك كان الحكام العرب في شتى مناطق كارتلي يحكمون ظاهرياً فقط. وكانت علاقات الصداقة مع بطريق أرمينيا وأميرها آشوت باكراتوني ضرورة ملحّة قصوى للخلافة في مثل هذه الظروف لتأمين الهدوء في ربوع أرمينيا بالإضافة إلى اشتراك سلاح الفرسان الأرمن القوي النشيط في معاركها.

أفلح مروان في ردّ هجمات الخزر في السنة الأولى لتوليه منصب حاكم أرمينيا وتوصّل إلى بعض النجاحات أيضاً. لكنه، مع ذلك، كان على قناعة بضرورة القيام بحملة عسكرية برفقة قوات كبيرة فطلب من الخليفة هشام جيشاً قوامه 120,000 مقاتلاً.

. ابن الأثير، الجزء 4، 216.

بعد حصوله على الموافقة عاد مروان إلى أرمينيا سنة 735م وقمع ثورة الجيورجيين بشراسة كبيرة.

Histoire de la Georgie, I, 243.

ثم قرر القيام بحملة على بلاد اللآن إستعداداً للهجوم الكبير على الخزر. إجتمع تحت إمرته 150,000 محارباً سنة 737م ودخلت ضمن صفوف هذا الجيش القوات الأرمنية المحلية وعلى وجه الخصوص الفرسان الأرمن بقيادة أمير أرمينيا آشوت باكراتوني.

M.Artamanov, Istoria Khazar, 218-219, بالروسية

غيفوند، 113-114.

قرر مروان مهاجمة الخزر من ناحيتين في الآن ذاته: عبر ممر باب الأبواب (دربنت) ومن خلال مدينة دربنت. قاد بنفسه القوات المهاجمة على داريال واجتاح يزيد السلّمي دربنت. ولتضليل الخزر قبض مروان على رُسُلهم وبعد توحد القوات العربية فقط أكد لهم أنه ينوي شن الحرب. وكانت حملة مروان على الخزر تختلف كلياً عن جميع الأعمال الحربية السابقة للخلافة. وكان هذا الهجوم يهدف ليس إلى الحدّ من قوة العدو فحسب، بل أيضاً محاربة بلاد الخزر نفسها وإخضاعها. إنهزم الخزر فطلب خاقانهم من مروان عقد معاهدة سلام وقبول الخزر الإسلام ديناً. إلا أن قبول الإسلام وخضوع بلاد الخزر يحمل شكلاً ظاهرياً فقط لعدم تمكن العرب من تركيز جيش كبير لإبقاء بلاد الخزر تحت هيمنتهم. وبعد انتصاره على الخزر سيطر مروان على جميع قبائل مناطق القفقاس الجبلية. عاد محاربو مروان من بلاد الخزر بغنائم كبيرة جداً. كتب المؤرخ الأرمني المعاصر غيفوند حول هذه الأحداث قائلاً: "بعد الاستيلاء على ثروات الأشخاص الأحياء المتبقين وأملاكهم ومثقلين بغنائم كبيرة عادت قوات الإسماعيليين (العرب المسلمين–المترجم) برفقة مروان والأمير آشوت من بلاد الهون للاحتفال بهذا النصر المبين. وبعد وصوله إلى بردعة أرسل مروان خُمس الغنيمة والأسرى إلى سيده هاشم (الخليفة هشام بن عبد الملك–المترجم) ووزع الباقي على عناصر قواته وخصص قسماً منها للأمير آشوت وفرسانه من الأشراف.

. غيفوند، الترجمة الروسية، 80–81.

رسّخت عودة آشوت باكراتوني المظفرة من بلاد الخزر مواقعه في أرمينيا ورفعت من شأنه فاشتدت الخلافات بينه وبين فرسان عائلة الماميكونيانيين. وكان الشقيقان كريكور ودافيت ماميكونيان غير راضيين لحصر منصب أمير أرمينيا وقائد جيوشها في عائلة الباكراتونيين منذ وصول آشوت إلى السلطة بعد خلافة الأمير سمبات باكراتوني بن فاساك. ومن المحتمل جداً أن الأمويين فضّلوا منح السلطة في أرمينيا إلى سلالة الباكراتونيين لا الماميكونيانيين الذين، كونهم الإقطاعيين الأكبر، بوسعهم أن يسببوا مشكلات لهم عند استلام السلطة السياسية في البلاد. خلا ذلك مارس الماميكونيانيون

سياسة موالية لبيزنطة طوال القرن 7 م. وعندما علم مروان بخلافات الشقيقين مع آشوت أمر باعتقالهما وإرسالهما إلى الخليفة مع وشاية أنهما قاما بالعصيان ولا يذعنان لسلطة آشوت. فأمر الخليفة هشام بإبعادهم إلى الصحراء ووضعهما في سجن مظلم.
. غيفوند، 112-113.

بعد وفاة هشام صعد على عرش الخلافة ثلاثة خلفاء خلال مدة قصيرة جداً لا تتعدى السنة الواحدة 743-744م هم الوليد الثاني، يزيد الثالث وإبراهيم وبدأ في عهدهم بالذات تفسّخ دولة الأمويين.

كان مروان بن محمد في أرمينيا في هذا الوقت. بناء على شهادة اليعقوبي هاجمه ثابت الجُزامي إلا أن مرواناً إنتصر عليه وغفر له خطأه. وعندما علم بوفاة الخليفة وليد الثاني هرع إلى سوريا وعيّن عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي حاكماً لأرمينيا وأبقى في دربنت الحاكم المحلي إسحاق بن مَسْلَمة العقيلي في منصبه. إغتال السكان المحليون عاصماً فعيّن مروان إسحاقاً حاكماً لمقاطعات أرمينيا.

ظلت أرمينيا في حال اضطراب كامل بدءاً من وفاة الخليفة وحتى سقوط الأمويين أي طوال 6 سنوات . إنعكس شعور الإستياء في مقاطعات الخلافة المختلفة باشتراك جموع غفيرة من السكان في ثورات وحركات عصيان عارمة مثل ثورة الشيعة في العراق، حركات الخوارج في إيران وجنوبي شبه الجزيرة العربية، صراعات القيسيين في سوريا والكلبيين في منطقة ما بين النهرين.

بعد وفاة الخليفة هشام مباشرة أُخلي سبيل كريكور ودافيت ماميكونيان من السجن إلا أنهما لم يتمكنا من مغادرة سوريا بسبب مقتل الخليفة الجديد الوليد الثاني فاعتُقلا ثانيةً لكنهما أفلحا لاحقاً في العودة إلى أرمينيا. وبعد مدة معينة من رجوعهما اتجها إلى مقاطعة فاسبوراكان وعرّضا أمراءها إلى طغيان كبير. لا نعلم ضد مَن كافحا في فاسبوراكان: ضد الأمراء الأرتزرونيين أم الإقطاعيين المحليين؟ من المحتمل جداً تشرذم الإقطاعيون بحيث طلب الشقيقان الماميكونيانيان الجزية من المعارضين.

وصلت الشكاوى ضد الشقيقين إلى الحاكم إسحاق الذي شاء إنهاء نشاطهما لكنه كان عاجزاً في الحقيقة بسبب الإضطرابات في مناطق أخرى في أرمينيا. ثار حاكم دربنت مسافر بن قُصير ضد إسحاق. ففشل هذا الأخير في إخضاع الثورة حتى سقوط الأمويين وانهيارهم نهائياً.

. اليعقوبي، 38.

بناء على رواية البلاذري نجح مسافر واحتل قلعة كُلاب في سيونيك (سيساجان) الواقعة في أرمينيا.

. البلاذري، 209.

إستغل الشقيقان كريكور ودافيت هذه الأحوال الحالكة ونشطا بجرأة وضمّا إليهما إقطاعيين عديدين في أرمينيا غير راضين عن الأمويين. هاجم المستاؤون بقيادة دافيت على الأمير آشوت لقتله لأنه كان يعارض الثورة ضد العرب. جرى الهجوم ليلاً عندما لم يكن لدى آشوت مقاتلين بعدد كاف فانحاز الحراس إلى جانب الأمير فهرب آشوت ونجا بحياته. وكان المهاجمون أقوياء إلى حد أكرهوا آشوتاً على الإختباء والتواري عن الأنظار وحمل معه أمواله ولجأ إلى قلعة داريونك ثم اتجه جنوباً لعند مروان لإخطاره حول تنافره مع الأمراء الأرمن.

أصبح مروان خليفة في هذا الوقت 744–750م وكان منشغلاً بحربه مع الخوارج وثورة سكان سوريا. وبوصول البطريق آشوت مع فرسانه فجأةً ساهم في انتصار مروان على معارضيه.

. غيفوند، 119–120.

في هذه الأثناء، ولكون آشوت في سوريا، طلب الأمراء المشاغبون برئاسة الماميكونيانيين من حاكم أرمينيا إسحاق تعيين كريكور ماميكونيان قائداً عاماً للقوات الأرمنية عوضاً عن

آشوت الذي كان أمير أرمينيا وقائد جيشها في الوقت ذاته. فتدخل الخليفة شخصياً فأُعدم دافيت بناء على أوامر منه. فترسخت سلطة آشوت ثانية بفضل دعم الخليفة الذي أرسله إلى أرمينيا بتشريفات كبيرة.

. المصدر نفسه، 120.

إشتدت التوترات طبعاً بين كريكور وآشوت وتحيّن الأمير ماميكونيان فرصة مناسبة للانتقام لموت دافيت واغتصاب آشوت للسلطة.

ساءت أحوال الخلافة الأموية أكثر في هذا الوقت عندما نشبت ثورة أبي مسلم في خرسان سنة 747م اشترك فيها فلاحو إيران، مزارعوها والقبائل العربية المستاءة من الأمويين.

رغبة منهم في القيام بثورة عامة في أرمينيا إجتمع أمراء الأرمن لدى آشوت باكراتوني في داريونك وحاولوا إقناعه بالموافقة على هذه المبادرة والإنضمام إليهم. لكن موقف أمير أرمينيا كان سلبياً مما أدى إلى ارتباك وحدة رأي النبلاء والقادة المتحمسين بفكرة الثورة.

. غيفوند، الترجمة الروسية، 86.

وكان الأمراء مصرين وعازمين على إكراه الأمير آشوت بالتنازل لهم. فتخفّوا في قلاع حصينة في منطقة تايك الجبلية. وكان العصاة ينشطون بناء على مخطط كريكور ماميكونيان وتحضيراته على الأغلب. تحصن هؤلاء الأمراء الإقطاعيون في تايك مع أموالهم وممتلكاتهم آملين بالحصول على دعم القوات البيزنطية المتمركزة في مناطق بونتوس. ويبدو أن العصاة كانوا قد تواصلوا مع البزنطيين سراً لأن مصلحتهم كانت تفرض في الوقت ذاته القيان بعصيان ضد العرب. بناء على شهادة المؤرخ الأرمني المعاصر غيفوند أقام هؤلاء محادثات ودية مع الإمبراطورية. إحتل الثوار الأرمن مدينة ثيودوسيوبوليس ومنحهم هذا النصر أفضليةً وتفوقاً وأمّن لهم صلاتٍ مباشرةً مع بيزنطة. ومن الغريب أن الأرمن لم يُظهروا منافسة إقطاعية وتمزقاً في وحدة الصف في أية ثورة

في حقبة الهيمنة العربية لأرمينيا كما جرى بين عائلتي الأمراء الماميكونيانيين والباكراتونيين أثناء ثورة 747–750م.

بعد افتراقه عن الأمراء إنسحب آشوت إلى ناحية باكريفاند برفقة بعض الفرسان وتمركز في قرية خَزر (هازر). بناء على المؤرخ غيفوند أيضاً أراد آشوت الاتصال مع العرب إلا أن الفرسان، الذين كانوا برفقته، أعلموا الأمير كريكور عن الحقيقة فاستغل هذه الحادثة لتحقيق نيته في الانتقام الذي كان يكنّه في نفسه باكراً. هاجمه كريكور ليلاً مع قواته واعتقله وسلّمه إلى خادمه دافيت وأمره بسلم عينيه.

حمّست فكرة الثورة ضد نير الخلافة المقيت جميع شرائح السكان الأرمن وبدأ كفاح الفلاحين ضد جميع الطغاة ليس الغرباء فحسب، بل ضد الإقطاعيين المحليين أيضاً وانضموا مع ذلك إلى حد ما إلى الأمراء الثائرين وجهادهم ضد الخلافة. ومن الظواهر الشيقة أيضاً أن أمراء شيعة البافليكيانيين الأرمن كانوا من الشرائح الساخطة ضد المحتلين العرب. إلا أن وجود جماعات مختلفة أدى إلى ضعف الجبهة المعارضة للعرب. وكان لكريكور ماميكونيان موالون عديدون كذلك لدى آشوت في بداية هذه الأحداث. ومثالنا على ذلك أن نشاطات كريكور ودافيت العسكرية في فاسبوراكان أكدت على وجود موالين عديدين لآشوت في هذه المقاطعة من عائلة الأمراء الأرتزرونيين وسواهم. وخلا هاتين السلالتين كانت هناك عائلات إقطاعية أخرى لم تنحاز إلى هذا الطرف أو ذاك.

انطلاقاً من شهادة المؤرخ غيفوند "حكم الأمير آشوت البلاد 17 عاماً حتى اللحظة الأخيرة لتحضير مؤامرة خسيسة ضده". ويمكن نسب هذه الأحداث إلى عام 749م. وكان آشود قد ظل في منصب أمير أرمينيا حتى عام 732م وعاش بعد ذلك 13 عاماً وتوفي في سن متقدم جداً في موطنه داريونك. كذلك توفي الأمير كريكور في العام ذاته بعد مرض عضال.

. المصدر نفسه، 124.

وهكذا ظل الطرفان بدون زعيم فانتُخب موشيغ ماميكونيان، شقيق كريكور، أميراً لأرمينيا. إلا أن البلاد كانت تحت هيمنة جديدة وتحديداً الخلفاء العباسيين فتم إخضاع الثورة الأرمنية نهائياً.

كان لأحداث 747–750م دور في ظهور أوضاع صعبة. جرى النضال ضد السلطة الداخلية من خلال منافسة حادة بين العائلات الإقطاعية في أرمينيا. ومن طرف آخر كانت الحركات الفلاحية موجهة ضد المضطهِدين الداخليين كما الخارجيين.

إنتشرت ثورة 747–750م ضد العرب في مناطق أرمينيا الجبلية أيضاً في صاصون الواقعة إلى الجهة الجنوبية–الغربية من البلاد. ذكر المؤرخ السوري ديونيسيوس تل محري معلومات شيقة حول هذه الثورة قائلاً: "كانت ثورة صاصون موجهة ضد حكام ميّافارقين الأمويين وجميع مناطق ديار بكر الأشرار في المرتبة الأولى".

. ديونيسيوس تل محري، 46–49، 55.

تطرق هذا المؤرخ السرياني إلى كلمة "صاصون" وذكرها بكلمة "الجبليين" أما "صاصون" فبكلمة "جبل" قائلاً: "في عام 1062 سلوقي=750–751م إنتشر عرب ميّافارقين في جميع المناطق وقرروا إبادة سكان الجبل. وصل حاكم هذه المناطق من ديار بكر المدعو قُرّة بن ثابت حول كُلاب واعتقل شريفها وقتل كل سابع شخص فيها. وعندما علم الجيران في منطقة فيس عما حصل جهزوا أنفسهم للدفاع وظهر بينهم رجل شجاع شهم باسم يوحنا بن دادايا لعدم تمكين العرب من تعريض المنطقة للأضرار والدفاع عن أنفسهم. انتُخب يوحنا زعيماً وأقسم المحاربون المحليون على البقاء مخلصين دائماً له. نظم يوحنا كتائب قتالية وعين لها قادة وحدّد نقاط مراقبة على مداخل جميع الممرات الجبلية.

لم يتعهد أحد باسم المجلس عرب ميّافارقين الإنتصار على الجبليين وقطع رؤوس أشرافهم. عندما علم القرويون عن وصول الحاكم قاموا بسحق كتائبه. وفي هذا الوقت، وبينما كان الحاكم متحصناً في قلعة كُلاب، نهب القرى المجاورة ودمرها. إجتاح الحاكم

قرية Eloul و Pashpashat وأباد سكانها واصطحب أسرى عديدين. عندما علم يوحنا بذلك إحتل مركز الحاكم وأباد كتائبه وقتله أثناء المعركة.

ليس واضحاً سبب تقارب أحد أمراء الجبل المدعو أستيبان بن بافل مع العرب وتعهده بتسليم يوحنا لهم. قابل أستيبان الحاكم عوف في قرية هازرو ونصحه بدعوة يوحنا كي يقتله العرب عن طريق كمين يُنصب له. وصل يوحنا في الحقيقة على رأس كتيبته بناء على اقتراح أسطفان وقتل المحاربين الذين نصبوا له الشرك بينما أفلح أسطفان في الفرار ولم يعد بعدئذ إلى الجبل قط. إستمرت الصدامات بين العرب والجبليين ورغم ذلك فشل العرب في التغلغل إلى الجبل.

. آرام تير-غيفونديان، الثورة غير المعروفة في صاصون في الأعوام 749-752م ضد الخلافة، 1971، بالأرمنية.

حارب الجبليون عرب ديار بكر مدة طويلة بنجاح أيضاً ولم يتمكن هؤلاء من إخضاعهم. لكن، وفي نهاية المطاف، أفلح نائب الخليفة على المقاطعات الشمالية عبد الله بن محمد (أبو جعفر) في دعوة يوحنا إلى حرّان سنة 752م واستقبله باحترام كبير وقدم له العطايا وعينه حاكماً لهذه المنطقة الجبلية.

إجتاح شخص صاصون أثناء هذه الأحداث يُدعى صالح بن صالح واعتقل عدداً كبيراً من سكانها رهائن ورماهم في سجن ميّافارقين إلا أن يوحنا بعث رسوله إلى عبد الله وحصل منه على أمر لإخلاء سبيل الرهائن. توجه يوحنا برفقة أستيفان بن بافل إلى حرّان لكن هذا الأخير توفي على الطريق فجأة وحرر يوحنا جميع الرهائن الباقين.

كانت منطقتا صاصون، بناء على أقوال المؤرخ السوري، تقعان في تلك الأراضي من أرمينيا اللتين أُلحقتا إلى منطقة ديار بكر (الجزيرة) في عهد الأمويين وتحديداً منطقتي صناصونيك وسالنو-دزور. كذلك يذكّرنا المؤرخ السوري بقلعة كُلاب (كُلب) الواقعة غربي صناصونيك.

كانت الثورة في صاصون موجهة ضد هيمنة الخلافة والجزية الثقيلة وتعسّف الحكام العرب ومزاجياتهم. وكانت منطقة صاصون على صلة راسخة مع منطقة تارون المجاورة وهي موطن سلالة الأمراء القادة الماميكونيانيين الذين قادوا ثورة عام 747–750م ضد الخلافة. ومن البديهي في مثل هذه الأحوال أن تكون معنويات الثورة العالية قد إنتشرت من صاصون أيضاً. أمّن الجبليون دفاعات مؤخرتهم ضد عرب الجزيرة. أما المناطق الأرمنية الواقعة شمالي صاصون فهي التي انخرطت في الكفاح ضد الخلافة بقيادة أحد القادة المدعو كريكور. وكانت صاصون وجميع مناطق دياربكر مرتبطة بوثاقة كبيرة مع أرمينيا. وقد ذكر ابن حوقل عند حديثه عن الجزيرة أنه، رغم دخول دياربكر ضمن الجزيرة، إلا أن آخرين يعتبرونها قسماً من أرمينيا.

. ابن حوقل، الجزء 2، 344.

ففي الحقيقة عندما حكم فرع من سلالة الباكراتونيين منطقة تارون ظلت صاصون بدورها تحت حكم هذه العائلة الأرمنية وأضحت قسماً من "ولاية أرمينيا العربية" في النصف الأول من حكم العباسيين في القرن 10م. وكانت القلاقل في أرمينيا قسماً من اضطرابات دولة الخلافة بسبب السخط الكبير للسكان من العرب أدت بالتالي إلى انهيار سلالة الأمويين بسبب حرمانهم من جميع أشكال الدعم الإجتماعي.

الفصل الرابع

أرمينيا تحت نير العباسيين

(1) أحوال أرمينيا القاسية في عهد الخلفاء العباسيين الأوائل

تغيّرت أوضاع مقاطعات الخلافة العديدة جذرياً بعد صعود العباسيين على سدة السلطة في البلدان المسيحية على وجه الخصوص. ومن أهم الخواص التي كانت تميز الخلافة العباسية عن الحكم الأموي طبيعتها البان–الإسلامية.

أ.ميوللر، تاريخ الإسلام، الجزء 2، 147–148.

إنحدر مؤسسو السلالة الجديدة من عباس، قريب الرسول محمد، فانتسبوا إلى "بيت رسول الله". سمحت الحكومة العباسية منذ البداية بحرية المشاركة في الحياة السياسية لجميع الشعوب شريطة اعتناق الإسلام. نافس الفرس العرب في جميع مجالات الحياة السياسية والثقافية. وكان عدد الفرس، الذين اعتنقوا الإسلام قليلاً في عهد الأمويين لذلك كانت غالبية سكانها تدين بالزرادشتية. تبدلت هذه الصورة كثيراً في عصر العباسيين. قبلت الأقوام المتكلمة باللغة الإيرانية، التي كانت تحتل مساحات واسعة جداً من الأراضي تمتد من آذربيجان حتى سوكديانيا وباكتريا، بالإسلام تدريجياً فتساوت هذه الشعوب المحلية مع العرب حقوقياً واحتل أشرافها مواقع سيادية.

إشتد الكفاح ضد بيزنطة في هذه الفترة بعد أن فقدت الأندلس سنة 756م وإفريقيا الشمالية في نهاية القرن 8 م فقد كانت لآسيا الغربية أهمية استثنائية للعباسيين. إختار أول الخلفاء أبو العباس، المكنّى بـ "السفاح" مدينة الأنبار في العراق عاصمة له بعد أن أعاد تسميتها "الهاشمية" على اسم جد العائلة. في هذه الفترة كان أبو جعفر شقيق أبي العباس نائب الخليفة لمقاطعات الخلافة الشمالية ومناطق أرمينيا لتحويل الضرائب من جميع الطبقات السكانية. تمّ إخضاع ثورة أرمينيا عام 747–750م وتعرض الفلاحون، رجال الدين والإقطاعيون الأرمن إلى مضايقات. فرض العباسيون على الفلاحين دفع الضرائب بالفضة حتى على المتوفين

عن سنوات سابقة بسبب امتناع أرمينيا عن دفعها في سنوات سابقة. أكره العباسيون رجال الدين الأرمن على تقديم لائحة كاملة بأسماء رعاياهم الأحياء والمتوفين وكان نائب الخليفة يضع خاتَماً رصاصياً عادةً على رقاب الأشخاص بعد جباية الضرائب بالفضة. خلا ذلك جلب له الفرسان الأرمن هدايا على هيئة ثياب رائعة وذهب وفضة "لملئ فم التنين الجشع الذي دنّس البلاد" حسب شهادة المؤرخ الأرمني غيفوند المعاصر لهذه الأحداث.

. غيفوند، 128.

بادر أبو جعفر بسرعة إلى وقف جميع الثورات في أرمينيا فأرسل قوات كبيرة بقيادة محمد بن سود لإخضاع الثائر مسافر بن قُصير خليفة إسحاق بن مَسْلَمة الذي كان مروان الثاني قد قام بتعيينه.

. اليعقوبي، الجزء 2، 354.

قتل محمد بن سود مسافراً في أرمينيا الجنوبية–الشرقية. هاجم صالح بن الصُبيّح الكندي القلعة بعد تطويقها من جميع جهاتها ثم قتل جميع الصعاليك المجتمعين هناك واعتقل إسحاق بن مسلمة في سميساط الذي حصل منه على الأمان.

. المصدر ذاته، 358.

عين أبو جعفر حسن بن قحطبة حاكماً على الجزيرة.

. الطبري، الجزء 7، 458.

أما في أرمينيا فقد عين أبو جعفر عبد الله بن محمد في الجزيرة وصالح بن صُبيحة الكندي في أرمينيا الذي يدعوه المؤرخ غيفوند بـ "الذي لا قانون له ومتعطّش للدماء".

. غيفوند، 133.

. الطبري، 960.

عُين بعد ذلك يزيد بن أُسيِّد السُلّمي 752–754م بدلاً من صالح. وبناء على شهادة البلاذري كانت والدة يزيد شقيقة بطريق سيونيك (سيساجان) الأرمني الذي كان قد سيق إلى دمشق برفقة أسرى عديدين في عهد الأمويين.

. البلاذري، 205.

إحتل يزيد باب اللان وركز فيها حامية من "أهل الديوان" وفرض الخراج على سكانه.

. المصدر نفسه، 210.

بدأت المعارك العربية–البيزنطية ثانيةً بعد انقطاع قصير منذ عام 741م في عهد الإمبراطور قسطنطين الخامس كوبرونيموس فاستغل البيزنطيون أحوال الخلافة المضطربة بسبب صراع العباسيين ضد الأمويين وهاجموا المناطق الحدودية (الثغور–المترجم) واحتلوا مالاطيا سنة 752م ودمروا أسوارها وهجّروا شيعة البافليكيانيين منها.

Istoria Vizantii, II, 59.

إستمال الإمبراطور قسطنطين الخامس الأمراء الأرمن قرب الثغور. وكان كوسان (كوشان، كوسان الأرمني) قائد جيوشه الذي هاجم أرمينيا عبر أرمينيا الرابعة ثم حاصر مدينة ثيودوسيوبوليس.

. البلاذري، 198.

. ديونيسيوس تل محري، 57.

وكان لدى القائد أو الحاكم العربي عدد قليل من الجنود. عثر شقيقان من السكان المحليين فُتحة في سور ثيودوسيوبوليس وساعدا المهاجمين للدخول إلى المدينة فدحر البيزنطيون القوات العربية. وبعد انتصار الروم لجأ بعض الأرمن وغيرهم من سكان المدينة، الذين يرزحون تحت نير العباسيين، إلى الإمبراطور قسطنطين لنقلهم إلى الغرب.

. غيفوند، 129.

ومن الشيّق أن الإمبراطور هجّر السوريين والأرمن من مالاطيا وثيودوسيوبوليس إلى ثراقيا في هذا الوقت حيث شيدوا هناك مدينة جديدة.

Kratkaya Istoria Nikiophora Patriarkha Constantinopolskovo, VIZ, Vr, 1950, No.3, 327.

إلا أن يزيداً بن أُسيِّد إحتل ثودوسيوبوليس ثانيةً وركّز فيها حامية عربية من الجزيرة لمراقبة الأرمن.

. غيفوند، 130.

ثم أعاد بناء أسوار المدينة. أكد البلاذري على أن هذه الترميمات جرت سنة 139هـ=756–757م أثناء خلافة المنصور. جنّد يزيد فلاحي المنطقة لتجديد أسوارها المدمرة وعيّن ساهاك (إسحاق) باكراتوني، الشقيق التوأم لآشوت باكراتوني، أميراً لأرمينيا فخضع هذا للخلافة مُكرهاً. وكان أمير أرمينيا غير راضٍ عن العباسيين لأنهم رفضوا دفع مرتبات الفرسان الأرمن السنوية مبررين أنه يتوجب على الأمراء الأرمن رعايتهم ودفع مرتباتهم من مالهم الخاص. ومن المعلوم أيضاً أن الخلافة فرضت جزية وضرائب كبيرة جداً على البلاد. وفي هذا الوقت بالذات من سنة 753م عُين سمبات بن آشوت قائداً للقوات الأرمنية.

. المصدر ذاته، 138.

بعد صعوده على عرش الخلافة إتخذ أبو جعفر 754–775م لقب "المنصور" و"كان طاغية من حيث طباعه الماكيافيللية".

E.Belyaev, Arabi, Islam, 213.

اغتيل أبو مسلم بمكر وغدر بأمر منه فوصل العباسيون إلى السلطة. تحدث المؤرخ غيفوند المعاصر حول طمعه وبخله قائلاً: "أظهر حبه وشراهته للمال بحيث لقّبه شعبه بـ "أبي النقود" لعبادته المال".

. غيفوند، 128.

تابعت الخلافة في شن حروب ضد بيزنطة أثناء حكم المنصور. وبعد ارتداد جيوش قسطنطين الخامس قام العرب بحملات سنوية تقريباً في آسيا الصغرى حتى نهاية حكم المنصور.

. اليعقوبي، الجزء 2، 300.

أعاد المنصور تحصينات مدينة مسيس في كيليكيا ومالاطيا وترميمها. ورغم كل ذلك لم يصل العرب إلى نجاحات تذكر في محاربة البيزنطيين في عهده. فعين حسن بن قحطبة 754–759م حاكماً لأرمينيا. ثار السَنّاريون والجرزانيون. وعندما لم يُفلح الحاكم في إخضاعهم لجأ إلى مساعدة الخليفة الذي أرسل له جيشاً من 20,000 فارس بقيادة عمرو بن إسماعيل الحِرَشي. وبعد معركة طاحنة إنتصر العرب وقتلوا 16,000 سنّارياً في يوم واحد.

أصبح يزيد بن أُسيّد حاكماً لأرمينيا 759–769م. ولدرء البلاد من هجمات الخزر في الفترة الأولى من حكمه إحتل دربنت (باب الأبواب–المترجم). أمره الخليفة المنصور بالاقتران من أميرة الخزر والتصاهر مع عائلة الخاقان للحيلولة دون قيام الخزر باجتياحات عدائية على كارتلي، أرمينيا والمناطق المجاورة لبحر قزوين.

M.Artamonov, Istoria Khazar, 241-242.

جرت مراسيم الزواج إلا أن الأميرة توفيت بعد مدة قصيرة جداً مما أدى إلى سخط الخزر معتبرين وفاتها نتيجة مكر العرب وغدرهم فشنوا حملة على أرمينيا إلا أن مساعيهم

لاحتلال باب الأبواب لم تتوّج بالنجاح فظلت القلعة في حوزة العرب. تعود هذه الأحداث إلى عامي 762–763م. كرر الخزر هجماتهم بعد مرور سنتين 764م واجتاحوا شيرفان وكارتلي ونهبوا مدينة تيفليس وهزموا القوات العربية التي أرسلها الخليفة المنصور ضدهم. بناء على شهادة المؤرخ غيفوند كان موقف يزيد "الذي يعاني من داء التهاب المفاصل، سلبياً تجاه هذه الاجتياحات على أرمينيا".

. غيفوند، 133.

هناك شهادات مشابهة لدى اليعقوبي أيضاً حول يزيد: "هرب يزيد أمام اجتياح قائد جيش الخزر أستارخان. لذلك تحمّل المنصور شخصياً قيادة المعركة ضدهم فجمع 7,000 أسرى من السجون وأرسلهم إلى أرمينيا بصحبة بنائين حيث حصّنوا بعض مدنها بينها دربند.

. اليعقوبي، الجزء 2، 372.

بناء على رواية البلاذري شيد المنصور مدينتي أردجيل الصغرى وأردجيل الكبرى ووطّن عرباً من فلسطين هناك.

. البلاذري، 209–219.

عيّن المنصور ابنه المهدي نائباً له في أرمينيا، الجزيرة وآذربيجان. وهناك بعض الفلوس النحاسية تحمل الكتابة التالية: "المهدي محمد بن أمير المؤمنين". أُرّخَت إحدى القطع بعام 153هـ=770م.

. خاتشاتور موشيغيات، تداول النقود في أرمينيا، 65–66، بالأرمنية.

(ترجم د.ألكسندر كشيشيان هذا الكتاب الكبير إلى اللغة العربية–المترجم).

لم يقم المهدي بدور هام في حياة أرمينيا السياسية لذلك ذُكر اسمه شكلياً على هذه القطع النقدية لأن الحكم في الحقيقة كان محصوراً بيد يزيد الذي أساء إلى حياة أرمينيا السياسية والإقتصادية بفرضه جزية وضرائب ظالمة عليها. ومن جهة أخرى، وبسبب دفع آخر درهم لديهم للعرب، لم يجد الفلاحون الأرمن مخرجاً آخر سوى الهرب واللجوء إلى مغائر وشِعَب جبلية عند وصول الجباة العرب. فوصلت حال البلاد إلى حد أصبح معدن الفضة نادرة جداً.

بناء على شهادة المؤرخ غيفوند ظلّ بكّار بن مَسْلَمة أقل من سنة واحدة في هذا المنصب واستُبدِل بحسن بن قحطبة 771–775م للمرة الثانية. وكان الحاكم الجديد على رأس القوات الخرسانية الكبيرة. لم ينهب هؤلاء الخرسانيون سكان البلاد وفلاحيها بالتعاون مع جباة الضرائب فحسب، بل قاموا بتعذيبهم أيضاً وقتلهم في بعض الأحيان عند عدم دفع الجزية أو الخراج في الوقت المحدد.

(2) الإضطرابات في فاسبوراكان

بدأت الإضطرابات في أرمينيا ومقاطعتها منذ بداية مجيء العباسيين إلى الحكم. بناء على شهادة المؤرخ الأرمني المعاصر غيفوند "إجتاح أحد قادة القوات العربية أرمينيا من فارْس، من المحتمل من مقاطعة آذربيجان، فقام زعيما أرمينيا ساهاك وهامازاسب، ولدي الأمير فاهان أرتزروني، للقائها بقوات غير كبيرة. ورغم بسالتهما في القتال ضد المعتدين إلا أنهما إندحرا أمام القوات العربية الأكثر عدداً وعدة وقُتلا أثناء المعركة. وعندما وصلت هذه الأنباء للأخ الثالث كاكيك أرتزروني "قام بملاحقة هؤلاء قطاع الطرق فسقط سليمان بيد كاكيك الذي قتله مع آخرين عديدين.

. غيفوند، 137.

تزامنت هذه الأحداث في خمسينيات القرن الثامن 750م مع ضعف بعض العائلات الإقطاعية الأرمنية في مقاطعات فاسبوراكان وفقدت حقوقها الوراثية على إقطاعاتها مع

صعود عائلة الأرتزرونيين. وكانت هذه العائلة قد باشرت في توسيع سلطتها الإقطاعية بعد القرن 4 م على حساب السلالات التي كانت تضعف. إرتفع شأن الأمراء الأرتزرونيين بعد سيطرتهم على الأمراء الرشتونيين في منتصف القرن 8 م. وكانت الأراضي الواقعة على الطرف الجنوبي–الشرقي من بحيرة فان بيدهم في بداية وصول العباسيين إلى السلطة. لذلك كان الأرتزرونيون عائلة الأمراء الإقطاعيين الأقوى لمقاطعة فاسبوراكان في هذه الحقبة. وكان موقف حاكم أرمينيا العربي صالح بن صُبيح الكندي عدائياً جداً في عام 751م تجاه أمراء فاسبوراكان.

. المصدر نفسه، 131.

لذلك كانت الحال في أرمينيا قاسية جداً بسبب فقدان عائلات الأمراء الأرمن لحقوقها الإقطاعية الوراثية فهجر أمراؤها أراضيهم وهربوا غرباً نحو بيزنطة خلا كاكيك أرتزروني الذي استقر في قلعة نيكان الحصينة وجمع حوله أمراء فاسبوراكان مع قواتهم وحارب جميع أعدائه بنجاح تام. فقام ضده الحاكم العربي المدعو روح قرب Her (خوي) الواقعة بين أرمينيا وآذربيجان وسبّب خسائر كبيرة للقوات الأرمنية وأكرهه على العودة إلى قلعته. إجتاح روح بعد ذلك فاسبوراكان بسبب التغرير بكاكيك إلا أن أمير أرمينيا أفلح في الدفاع عن نفسه في القلعة. فحاصرت قوات القائد موسى قلعة Nekan. وعندما لم يُفلح في احتلالها عنوةً إقترح إجراء محادثات سلام لكنه غدر بالأمير كاكيك واعتقله وسلمه إلى الأمير الإسماعيلي (الأمير العربي المسلم–المترجم)، من المحتمل الخليفة المنصور، فقرر كاكيك إنهاء حياته بسبب التعذيب الشرس الذي تعرض له.

. غيفوند، 134–135.

إحتفظ الخليفة بولدي الأمير كاكيك ساهاك وهامازاسب في السجن مدة طويلة لكنه أرسلهما إلى أرمينيا في نهاية المطاف.

ظهرت شرور عديدة في أرمينيا في عهد الحاكم العربي بكّار 769–771م. لقد أدّى طغيانه وجوره إلى اندلاع ثورة شعبية ضد حكم الخلافة في مناطق كاغين، أريني وطالين فقتل الثوار بعض العرب هم جباة ضرائب على الأرجح ولجأ الباقي إلى الفرار. فأرسل بكّار ضدهم حاكم الجزيرة موسى المصاحب فأخضع العصيان وأباد 700 شخصاً واصطحب معه 1,200 شخصاً أسرى. وكان أمير أرمينيا ساهاك باكراتوني بينهم. ولوجود حسابات قديمة بينهما أمر الحاكم بقتله على الفور.

. تشاميتشيان، تاريخ أرمينيا، الجزء 2، 413.

روى المؤرخ السوري ديونيسيوس تل محري أن العرب قاموا ضد بطريق أرمينيا سنة 1,084 سلوقي=772–773م وقتلوه وصادروا أملاكه.

. ديونيسيوس تل محري، 148.

. الطبري، الجزء 8، 97.

حقيقةً، كان العصاة ضد البطريق ساهاك باكراتوني هم العرب الذين، بعد قتله صادر الخليفة أملاكه. وكان هؤلاء ضمن قوات خرّبوا فاسبوراكان بدعم الخلافة. ورغم عدم وضوح هذه الأحداث لكننا نستنتج إلى حد ما أن أمير أرمينيا أُغتيل في حوالي عام 770م أو بعده بقليل.

هناك كتابة عربية على الجدار الداخلي لكاتدرؤائية Zevartnots تعود إلى عام 154هـ=770–771م ومن المحتمل أن بعض الجنود العرب إجتاحوا الدير ونقشوا أسماءهم إلى جانب هذا التاريخ.

. م.تير موفسيسيان، إتشميادزين، كنائس أرمينيا القديمة، الجزء 1، إتشميادزين 1905، اللوحات 8–11، ص 79، بالأرمنية.

(3) الثورة الكبرى 774-775م

أدى وزر الضرائب الثقيلة جداً المُجباة من الفلاحين وسياسة الضغط المطبّقة على الإقطاعيين ورجال الدين الأرمن إلى ثورة عامة ضد الخلافة العربية التي كانت في قمة بأسها في هذا الوقت. بناء على شهادة المؤرخ الأرمني المعاصر غيفوند أدت هذه الأحوال إلى كارثة لأوضاع الأمراء الأرمن وانتشار القنوط في البلاد ولم يُفلحوا في المبادرة للخروج من هذه الأحوال المشؤومة لقلة عددهم. ففضّل هؤلاء إنهاء حياتهم كالأبطال في وجه هذا الخطر الداهم وقرروا القيام بثورة...".

. *غيفوند، الترجمة الروسية، 96.*

وبسبب عدم تحمّله لقسوة محصّلي الضرائب العرب وجورهم ومزاجياتهم قرر أحد الأمراء الأرمن يُدعى أرتافازد ماميكونيان الثأر منهم. إتجه إلى دفين وتظاهر لنائب الخليفة أنه سيقاتل إلى جانبه فقدم له هذا الأسلحة والعتاد الضروري من أجل قواته الخاصة. ثم سار نحو مقاطعة شيراك ودخل إلى قرية كومايري (كيومري الحالية المدينة الثانية لأرمينيا- المترجم) فقتل جميع الجباة العرب. وكان برفقته أمراء أرمن آخرون فهرب الجميع بعد ذلك إلى المناطق الشمالية للبلاد. وعندما وصلت أنباء هذه الثورة إلى دفين جمع القائد العربي، الذي يسميه المؤرخ غيفوند المعاصر بمحمد، قوات كبيرة وأخلى سبيل أمير أرمينيا وأكرهه على الإنضمام إليه وطارد العصاة حتى ناحية سوماخي وأفلح في إبعاد الأمراء الثائرين من أرمينيا. فاتجه هؤلاء غرباً إلى شواطئ البحر الأسود واستقروا في المستعمرات البيزنطية.

سببت هذه الأحداث سخطاً كبيراً لحاكم أرمينيا حسن الذي ينعته المؤرخ الأرمني القروسطي فاردان بـ "النزق" فأمر جباته بتحصيل الضرائب من شرائح أوسع من الأرمن. إلا أن هذه الجموع لم تكن في حال لتلبية مطالب هؤلاء الجباة لأن معدن الفضة كان نادر الوجود في أرمينيا في هذا الوقت. لقد أدّت ضغوطات الجباة العرب الشرسة على السكان المعدمين أصلاً إلى انفجار ثورة شعبية جديدة بقيادة الأمير موشيغ بن هراهات

ماميكونيان. وعندما وصل الجباة إلى منطقته يطلبون منه تعويضاً عن دم العرب المقتولين من قبل الماميكونيانيين بقيادة أرتافازد المذكور في الأعلى أمر بقتلهم وانتقل إلى قلعة أرتاكيرس الوقعة على طريق دفين . ثيودوسيوبوليس التي كانت لها أهمية إستراتيجية كبيرة. ثم هاجم موشيغ مع 60 محارباً منطقة باكريفاند واعتقل جابي الضرائب أبو متجور مع خدمه وقتل الجميع وحرر السكان المحليين من الضرائب القاسية. وأمام هذه المستجدات إلتف جميع الفرسان الأرمن الساخطين "المضطهدين البائسين السييئي الطالع" حول موشيغ بناء على المؤرخ المعاصر.

. غيفوند، 139.

تحرك العرب ضده من جهتين: تحركت قوة من 200 محارب من ثيودوسيوبوليس دحرها موشيغ. هاجمت قوة ثانية مشكلة من 4,000 مقاتل قلعة أرتاكيرس انطلاقاً من دفين بإمرة أبي حُجيب (أبي نجيب) واتجه إلى وادي نهر آراكس عند قرية باكافان. إلا أن قوات موشيغ أخذتهم على حين غرة وعرّضتهم إلى هزيمة حاسمة. لاحق موشيغ العرب حتى أروج وقتل العديدين بينهم أبو نجيب.

. المصدر نفسه، 140-141.

حمّست انتصارات موشيغ الباهرة جميع الأمراء الأرمن المترددين إلى حد خالوا أن هيمنة الخلافة على أرمينيا وصلت إلى نهايتها.

. غيفوند، الترجمة الروسية، 98.

إنتقلت موجة الغبطة والحماسة حتى إلى قائد القوات الأرمنية سمبات باكراتوني فقد كان أمير أرمينيا فعلياً منذ عام 770م الذي، بناء على كلمات المؤرخ، غيّر موقفه الثابت وتردده عن غير رغبة. تعهد الثوار المجتمعون في قلعة أرتاكيرس وأقسموا بمهابة علناً في إبعاد العرب عن أرمينيا. وكان عدد المجتمعين حوالي 5,000 شخصاً والعديد منهم من

الجموع البسيطة فتوحدت كلمتهم في إشعال فتيل الثورة. إلا أن معنويات إقطاعيي أرمينيا كانت متباينة: إجتمع قسم من الأمراء، وعلى رأسهم موشيغ ماميكونيان وسمبات باكراتوني، لاتخاذ قرار حاسم من أجل الحركة وطرد قوات الخلافة لإعادة إقامة استقلال أرمينيا. أما في المعارضة فقد كانت هناك جماعة من الأمراء الإقطاعيين بزعامة آشوت باكراتوني ابن الأمير المقتول ساهاك. وكان آشوت يعتقد أن الثورة ضد "التنين المتعدد الرؤوس" لا طائل تحتها لأن العباسيين كانوا في قمة بأسهم.

. المصدر ذاته، 99-100.

وكانت هناك جماعة ثالثة بين الأمراء المترددين وعلى رأسهم هامازاسب أرتزروني وأشقائه الذين ظلوا في فاسبوراكان. أما شقيق سمبات باكراتوني المدعو فاساك وأمراء من عائلة أماتوني وسواهم فقد بقي قسم منهم في قلعة داريونك ووادي ماكو وتحصن الباقي في وادي أراكيغد. جرت صدامات شتاءً بين العرب والثوار الأرمن الذين أبقوا في أيديهم مناطق أرمينيا الوسطى في مقاطعة باكريفاند حول منطقة أرشارونيك وغيرها. ولتحصين مؤخرتهم بادر الثوار إلى احتلال مدينة ثيودوسيوبوليس وأحاطوا بالخندق أثناء الشتاء، بنوا أبراجاً وأحدثوا فجوات في سورها بإطلاق صخور كبيرة بآلات الهدم لكنهم لم يُفلحوا في احتلالها. فقرر العرب بدورهم الانطلاق من مدينة دفين والهجوم على المناطق القريبة ونفّذوا عمليات دامية في قرى بتلونك، طالين، كوغب ومناطق عديدة أخرى وقتلوا 700 شخصاً وساقوا 1,200 آخرين أسرى.

. الكاثوليكوس هوفهانّس، 136.

بعد حلول ربيع عام 775م بادر الخليفة منصور في اتخاذ خطوات لإخضاع هذه الحركة في أرمينيا لأن حاكمها كان غير قادر على ذلك. إضطرب قصر الخلافة في بغداد بسبب ثورة موشيغ (موشائيل الأرمني) فقرر إخضاعها بشتى الوسائل الشرسة.

. البلاذري، 209.

فأرسل الخليفة 30,000 فارساً من خرسان يمتطون خيولاً رائعة ومسلحين من رؤوسهم حتى أخمص أقدامهم.

. غيفوند، 145.

عُهدت قيادة هذه القوات الجرارة إلى عمرو بن إسماعيل الذي كان في أرمينيا في هذا الوقت على رأس قوات تأديبية. وكان قد توجه من بغداد عبر دياربكر بحذر شديد ودخل إلى أرمينيا باحتياطات كبيرة من الأسلحة ووصل إلى خلاط (أخلاط). وبعد وصوله إلى المدينة إستعلم سكانها، بينهم بعض العرب، عن أحوال القوات الأرمنية وقادتها. وعندما علم آشوت حول قوات الخلافة الكبيرة المتمركزة في خلاط بعث رُسلاً إلى الثوار المهمين مبيّناً وجوب التوحد مع قواته لصد قوات العدو الجرارة. إلا أن الثوار لم يصدقوا صراحته وإخلاصه إلى حد ارتيابهم أنه يكذب وينوي رفع الحصار عن مدينة ثيودوسيوبوليس. فقرر هامازاسب أرتزروني وأشقاؤه بالإضافة إلى أراء أماتوني وفاساك باكراتوني الهجوم على مدينة أرجيش حيث كانت تتمركز الحامية العربية. عند وقوفهم قرب مدينة بيركري أفلحوا في جذب العديد من سكان القرى ومسؤوليها ثم انطلقوا نحو أرجيش إلا أن قوات عمرو الكبيرة خرجت من الكمين وقتلت عدداً كبيراً يصل إلى 1,500 شخصاً من الفلاحين الذين لا تجربة لهم في فنون القتال. جرت هذه الأحداث سنة 775م في اليوم الرابع من شهر Hrodits الأرمني الموافق في 15 نيسان.

. المصدر ذاته، 147.

. الأب غيفوند آليشان، أيرارات، 525.

إتجهت قوات العدو إلى منطقة أباهونيك لإشغال "الطريق الملكية الكبيرة" ووصلت إلى قرية أردزني في منطقة باكريفاند وأقامت هنا معسكراً على شاطئ نهر أراتزاني، رافد نهر الفرات، بينما تمركزت القوات الأرمنية، التي كانت تحاصر مدينة ثيودوسيوبوليس وكانت قريبة من النجا، فقبل العرب الاستسلام بسبب الجوع المتفشي في المدينة. لكن، وعندما

وصلت الأنباء حول الاندحار قرب أرجيش، رفع الأرمن الحصار واتجهت القوات الأرمنية وعدد أفرادها 5,000 مقاتلاً لملاقاة العدو ووصلوا إلى باكريفاند عبر منطقة باسين. وكانت للأرمن الأرجحية أثناء الصدام الأول مع القوات العربية إلى حد فرار جنودها. إلا أن العرب، وبعد حصولهم على الدعم، هاجموا بهياج وغيظ. فرصّ المقاتلون البواسل الصفوف وشجعوا بعضهم بعضاً قائلين: "لنمت برجولة في سبيل بلادنا وشعبنا كي لا تشاهد عيوننا تدنيس هؤلاء لمقدساتنا...".

. غيفوند، 150.

وبعد جريان دماء غزيرة ضعف الثوار الأرمن ونفذ العتاد واستشهد منهم حوالي 3,000 مقاتلاً. إستشهد كذلك قائد القوات الأرمنية سمبات ورفاقه في السلاح ساهاك باكراتوني وقائد الثورة موشيغ ماميكونيان، صموئيل زعيم عائلة الماميكونيانيين، فاهان كنوني وسواهم العيدين. قال المؤرخ الأرمني المعاصر لهذه الأحداث: "كان قَدَرهم مُراً وطالعهم عاثراً يُرثى له لأن جثثهم ظلت في العراء على ساحة الوغى عرضة للشمس، الأوحال، الأمطار والرياح...".

. المصدر نفسه، 105.

جرت المعركة قرب أردزني في 25 نيسان سنة 775م.

J.Laurent, L' Armenie entre Byzance et l'Islam, 373.

Leo, Istoria Armenii, II, 385-395, بالروسية

S.Melik-Bakhsian, Armenia v VII-IX vv., 338-339, بالروسية

تبعثرت قوات الخلافة في شتى مناطق باكريفاند وجوارها وسببت عذابات جمّة للشعب وحطمت هذه الفصائل التأديبية صور الصلبان المنصوبة على مدخل الكنائس والأديرة وعاملت رجال الدين والأمراء بقسوة وظلم كملهمين للثورة. فابتعد الأمراء عن قصورهم بعد

فشل الثورة للحيلولة دون مواجهة القوات الخرسانية إلا أن قادتها أفلحوا في إخراجهم بالخداع والقَسَم الكاذب.

توسعت رقعة الثورة إلى مناطق أرمينيا الجنوبية–الشرقية أيضاً في أرمينيا الرابعة وكانت ذات طبيعة فلاّحية لحرمانهم من الأراضي وبالتالي أحوالهم التعيسة في منطقة جبلية–صخرية وعرة كانت تحت سيطرة موظفين عينتهم الخلافة العربية. جرت هذه الثورة الفلاّحية سنة 774–775م في تيتوس في منطقة أنكيغ قرب منابع نهر دجلة في تركيا الحالية.

L.Melkiset-Beg, Ob istorii Krestianskovo Bastaniya v IV Armenii, 5-053.
Denys de Tell Mahre, 161, 172.

. ياقوت الحموي، الجزء 2، 188.

أرسلت الخلاقة قوة ضد الفلاحين الثائرين مشكلة من مجرمين بين السكان المحليين فتعامل هؤلاء والموظفون مع الثوار بشراسة جمّة وأخضعوا الثورة.

بناء على تعبير ديونيسيوس تل محري المنتحِل كان الثوار سوريين من المحتمل جداً من أرمن أرمينيا الرابعة. يؤكد المؤرخ الأرمني ل.ميلكيسيت بك بشكل صحيح على أن القائمين بهذ الثورة كانوا من سكان أرمينيا الرابعة من الأرمن والسوريين ضد نير الضرائب والإستغلال الإقطاعي. ويبدو أن هذه الأحداث جرت في الأيام الأخيرة من حياة المنصور. إستطرد المؤرخ السوري: "عبر القائد العربي بعد ذلك أرزان ومايفاركات (ميّافارقين) وشاهد حقد الحاكم والموظفين وعداءهم فاعتقلهم وحاكمهم وجرى كل ذلك على ما يبدو في عهد المنصور–المهدي".

كانت ثورة عام 774–775م حادثة كبيرة في حياة أرمينيا وآسيا الغربية. بناء على ي.ب.بيتروشيفسكي "أرعبت هذه الحركة الهائلة المتزامنة مع الثورات الفلاحية في آسيا الغربية وقرقان الخليفة المهدي فأُكره على الحد من وزر جباية الجزية، الخراج والضرائب الأخرى.

Vsemirnaya Istoria, IIIm Maskva 1957, 139.

(4) سياسة الخلافة في أرمينيا
بعد ثورة 774–775م الكبرى

تميزت سنوات خلافة المهدي 775–785م بن المنصور بتلطيف أحوال الخلافة بخلق ظروف مواتية والسماح لإعادة إحياء التجارة بإزالة المخافر الحدودية ومنح البائعين والمشترين حرية كبيرة في الحركة. ورغم تصاعد الضرائب في أرمينيا إلا أن تحسّن الأحوال العامة في البلاد منحها إمكانية تحمّل وزرها الثقيل. فُتحت مناجم فضة جديدة في أرمينيا في سنوات خلافة المهدي وباشرت دور الضرب بسك نقود فضية خالصة.

Vsemirnaya Istoria, IIIm Maskva 1957, 139.

. *غيفوند، 157–158.*

عُين آشوت باكراتوني بن ساهاك أميراً لأرمينيا في عهد الحاكم يزيد بن أُسيّد السلّمي 775–780م. تحدث عنه المؤرخ الأرمني المعاصر صموئيل آنيتسي قائلاً إنه حكم حتى عام 781م وبالتالي تنكّب هذه المسؤولية بعد الثورة مباشرة.

. *صموئيل آنيتسي، 88.*

عُين هارون نائباً لوالده المهدي في مقاطعات الخلافة الشمالية والغربية 780–786م وعيّن هارون بدوره يحيى بن خالد البرمكي، ابن الوزير الفارسي الشهير لدى العباسيين، نائباً له. قاد هارون معارك ضد بيزنطة بدءاً من عهد ليو الرابع 775–780م وكان القادة الأرمن بشكل رئيسي يقودون الجيوش البيزنطية في هذا الوقت وتحديداً تاجات بن كريكور أندزيفاتسي وأرتافازد ماميكونيان وكان الأخير قد هرب من أرمينيا بسبب طغيان الحكام العرب. إنتصر هذان القائدان سنة 778م في كيليكيا عند مدينة Germanica (مرعش). كذلك تعرض حاكم أرمينيا يزيد إلى الانكسار في الهضبة البونتية.

. *غيفوند، 157–158.*

إستمر هارون في القتال وحاز على انتصارات كبيرة ضد البيزنطيين ووصل العرب إلى القسطنطينية سنة 782م فأُكرهت الإمبراطورة Irina شراء السلم بمبلغ كبير وصل إلى 70,000 نوميسا سنوياً.

Istoria Vizantii, II, 62, بالروسية

فاغتاظ الأمير تاجات أندزيفاتسي في هذا الوقت من الإمبراطورة التي تعاملت معه باستخفاف فلجأ إلى الخليفة فقدّم له وثيقة قسم للعودة إلى البلاد سالماً. لبى هارون طلبه بكل رغبة فانضم تاجات مع أسرته إلى جانب العرب. كرّمه هارون وعيّنه أميراً لأرمينيا سنة 781م وعيّن باكارات باكراتوني قائداً لقوات أرمينيا. إحتدت علاقات أمير أرمينيا تاجات كثيراً مع حاكم أرمينيا عثمان بن عمرو بن خُريم. وعندما وصل تاجات إلى أرمينيا لم يشأ عثمان الاعتراف به إلى درجة بعث رسالة إلى الخليفة عن عدم اعتراف جموع أرمينيا بحكم رجل يتآمر ضد سيادة الخلافة مؤكداً على أنه بوسعه أن يتغيّر ثانيةً.
. الطبري، الجزء 8، 150.
لا يُعرَف مَن من الأمراء الأرمن كان يقصد الحاكم العربي لكن كان معلوماً أن الباكراتونيين كانوا مستائين بسبب تسليم منصب أمير أرمينيا إلى عائلة أمراء إقطاعيين أخرى. فأرسل تاجات رُسُلاً لعند الخليفة إلا أن جميع مخارج أرمينيا كانت مغلقة عن طريق رجال الحاكم الذي ألقى القبض على الرُسل ورماهم في غياهب السجن ولم تصل بالتالي شكاواه إلى الخليفة المهدي وابنه هارون سوى بعد سنة اللذين أكرها عثماناً على الاعتراف بسلطة تاجات أندزيفاتسي رغماً عن إرادته.
إشتركت فرقة الفرسان الأرمنية بقيادة الأمير تاجات وقائد القوات الأرمنية باكارات ونرسيه كامساراكان وسواهم من الأمراء الأرمن مع القوات العربية في المعركة ضد الخزر سنة 785م في دربنت. أرغم عثمان الأرمن على قتال الخزر في سهل كيران في ظروف قيظ لا تُطاق فاستُنزف سلاح الفرسان الأرمني طوال فصل الصيف في البطح المهجور ولم

يتحمّل الحرارة المرتفعة الشديدة فتوفي تاجات أندزيفاتسي، باكارات باكراتوني، نرسيه كامساراكان وأمراء آخرون. وعندما علم المهدي بنهاية أمير أرمينيا الفاجعة والأمراء الفرسان برفقته وعلاقة كل ذلك بمكر عثمان وخداعه تجاه جيش الفرسان الأرمن، الذين كانوا يجاهدون من أجل الذود عن حدود الخلافة، عزله وأرسل روح بن حاتم المهلّبي عوضاً عنه الذي كان ينتمي إلى عائلة وزارية.

توفي المهدي بعد وصول روح إلى أرمينيا.

تغييرت سياسة المهدي المتسامحة جذرياً في عهد خلافة ولديه موسى وهارون على وجه الخصوص. ورغم بقاء موسى على عرش الخلافة سنة واحدة فقط أحدث شروراً عديدة جداً في البلاد ذكرها المؤرخ المعاصر غيفوند.

. المصدر ذاته، 161-162.

A.Müller, Istoria Islama, II, 166, بالروسية

بناء على شهادة المؤرخ الأرمني المعاصر غيفوند عيّن موسى خُزيمة بن خازم التميمي حاكماً لأرمينيا ويعتبره المؤرخون العرب شخصية متنفذة قوية لأنه أفلح في "تحقيق النظام" في أرمينيا. وتكمن المسألة في تلك الحقيقة أن الخليفة المهدي لم يبادر إلى وسائط قاسية ضد الأمراء الإقطاعيين الأرمن أثناء الثورة الكبرى 774-775م. لذلك فإن مواقف موسى تعني بالتالي أن الثورة مستمرة في أرمينيا. وهناك شهادة جيدة جداً لدى اليعقوبي حول هذه الأحداث قائلاً: "ثارت أرمينيا بعد وفاة المهدي واستمرت في ثورتها في عهد موسى. وبعد أن عين الرشيد خُزيمة بن خازم التميمي، الذي ظلّ هناك مدة سنة وشهرين، "أعاد النظام العام وتحسنت أحوال البلاد".

. اليعقوبي، الجزء 2، 426.

كُلِّف خُزيمة بمهمة خاصة وتحديداً ببدء اضطهادات في أرمينيا. وعندما وصل إلى مدينة دفين جاء

إلى لقائه أشراف أرمينيا وأمراؤها الإقطاعيون بناء على التقاليد المتّبعة. وحسب شهادة المؤرخ غيفوند "صَعَق خُزيمة الأمراء الأرتزرونيين وفرسانهم عندما قام باعتقال الأشقاء الأرتزرونيين وتحديداً هامازايب، ساهاك وميروجان ورماهم في السجن مكبلين بسلاسل حديدية مدة 3 أشهر ثم طلب من الخليفة إذناً لحرمانهم من الحياة". ومن الغرابة بمكان أن المؤرخ الأرمني لا يبيّن سبب هذا التعسف.

. غيفوند، 162–165.

من المحتمل جداً كان داعي العرب لمثل هذه الممارسات الشرسة صعود نفوذ الأمراء الأرتزرونيين الذين أصبحوا حكام مقاطعة فاسبوراكان الواسعة فسببوا أرقاً للخلافة.

تجزم رواية غيفوند المسهبة على أن تعذيب الأشقاء الأرتزرونيين الثلاثة ترك انطباعات عميقة على المعاصرين. إرتد أحد الأشقاء الثلاثة، وتحديداً ميروجان، واعتنق الإسلام ديناً خوفاً على حياته لأن العرب خيّروهم بين قبول الإسلام وهدر الدم. إلا أن الشقيقين الآخرين هامازاسب وساهاك ظلاّ راسخين على إيمانهما فأُعدما بقطع الراس (ما أشبه البارحة بهذا اليوم في المشرق العربي بعد ألف عام–المترجم). بناء على شهادة المؤرخ غيفوند جرت هذه الأحداث سنة 240 للتقويم الأرمني=786م. أكد المؤرخ الأرمني الآخر أصوغيك على هذه الأحداث.

. أصوغيك، 133.

يبدو لنا أن هذا التاريخ موثّق لأن الخليفة الهادي، توفي (قُتل في الحقيقة) في هذا العام أي بداية عام 786م حسب المؤرخ غيفوند.

تقهقرت أحوال جميع مقاطعات أرمينيا في عهد العباسيين وعلى وجه الخصوص في خلافة المنصور وهارون الرشيد. إجتاح الخزر كارتلي عام 764م واحتلوا مدينة تيفليس ثم هدموها واصطحبوا معهم أمير كارتلي أسيراً.

Otcherki Istorii CCCP, II-IX vv., 508.

أضحت الأحوال أكثر سوءاً في عهد الخليفة هارون الرشيد لأن الحكام، الذين عينهم لحكم أرمينيا، أخضعوا كل حركة في أرمينيا بشراسة كبيرة. ويعبّر اليعقوبي حول هذه الإضطهادات، التي كان الحكام العرب يلجأون إليها في أرمينيا، بتعبيرات مموهة خاصة ويشهد أنه، بعد وصول الحاكم يزيد إلى أرمينيا "هدأ الشعب في البلاد" و"ساد النظام العام".

. اليعقوبي، الجزء 2، 426.

حُدّ من سلطة حكام كارتلي وصعدت سلطة الساراكينوسيين (العرب المسلمين–المترجم) بدءاً من

نهايات القرن 8 م وبداية القرن 9 م وتعرضت البلاد إلى اجتياحات وتخريب واسع.

. غيفوند، 168،

(5) أرمينيا في نهاية القرن 8 م

كانت أحوال أرمينيا قاسية للغاية في السنوات الأولى لحكم الخليفة هارون الرشيد 786–809م. أصبح شقيقه عبيد الله نائباً له في مقاطعات الخلافة الشمالية الذي بدوره عيّن حكاماً صارمين في أرمينيا وصفهم المؤرخ غيفوند بـ "أشخاص لا يعرفون خشية الله".

. غيفوند، 168.

عُين على سبيل المثال يزيد بن مَزْيَد ونهايةً سليمان 788–790م فاعتبره المؤرخ الأرمني حقوداً وأكثرهم شراً. وكان عبيد الله يتمركز في مدينة بردعة فثبّت سليماناً حاكماً لأرمينيا. فرض الحاكم الجديد ضرائب لا يمكن تحملها إلى حد لم يكن بمقدور الفلاحين دفعها والتحرر من ظلمه. عيّن سليمان صهره ابن دوكة نائباً له في دفين وفرض هذا ضرائب فادحة جداً ورشاوى على سكان أرمينيا بعد وصوله إلى المدينة. جاء إليه أمراء أرمن

برئاسة الكاثوليكوس Yesayi وطلبوا منه تخفيف وزرها لكن من غير طائل بل على النقيض من ذلك أمر بمضاعفة المبالغ المفروضة ووجوب دفعها في أقصر مدة. وبسبب عدم إمكانية دفع هذه الضرائب الجائرة قرر العديدون الفرار إلى بيزنطة. وصلت شرور الحاكم العربي ابن دوكة إلى حد سرقة أواني الكنائس المقدسة وأموالها.

. غيفوند، 167.

وكان الأمويون والعباسيون يفرضون سياستهم الاستيطانية ومصادرة الأراضي التي احتلوها مثل شيراز في إيران، الكوفة والبصرة في العراق، الرملة في فلسطين، الفسطاط في مصر، القيروان في إفريقيا بالإضافة إلى تعريب السريان في سوريا والعراق وأقباط مصر. ثم باشرت الخلافة في توطين قبائل عربية في أرمينيا رغم أحوالها القاسية. وكانت لهذه السياسة عواقبها الجدية. أصبحت منطقة أغدزنيك الأرمنية (دياربكر) أولى المناطق التي رسخ فيها المستوطنون العرب أرجلهم على أراضها وكانت تقع ضمن مقاطعة الجزيرة. لم يشكل العرب طبعاً أغلبية السكان بل أصبحوا طبقة الحكام بكل بساطة. وبفضل استيطان العرب في هذه المقاطعات باشروا في تعريب السكان المحليين وصولاً حتى المناطق المجاورة لأرمينيا. قام أفراد عائلتي الشيبانيين والسُلّميين، الذين حكموا أرمينيا، بدور كبير في نشر المستوطنين العرب في البلاد. وكان يزيد بن مَزْيَد أول شيباني عينه الخليفة المنصور حاكماً لأرمينيا وشغل المنصب لفترتين في عهد الخليفة هارون الرشيد أيضاً. سعى يزيد في توطين العرب في أرمينيا. وبناء على شهادة اليعقوبي نقل في الفترة الأولى لحكمه 787–788م عدداً كبيراً من عرب قبيلة ربيعة إلى أرمينيا بحيث شكلوا أغلبية العرب في هذه المقاطعات. إستوطن هؤلاء في شيرفان وسواها من مناطق البلاد. وكان يزيد حاكماً صارماً ظالماً إلى حد نهب أديرة أرمينيا وكنائسها. أُرسل يزيد إلى الجزيرة لإخضاع ثورة الوليد بن طريد الشيباني. تبوأ منصب حاكم أرمينيا وآذربيجان لفترة ثانية سنة 799–801م وقاد معارك ناجحة ضد الخزر أثناء هذه السنوات.

. اليعقوبي، الجزء 2، 427–428.

عُين بعده ابنه أسد حاكماً لأرمينيا والموصل ثم الابن الآخر الذي إستولى على قلعتي شاماخي وشيرفان حيث رسّخت سلالته أقدامها لاحقاً. أما ابنه الثالث المدعو خالد فقد عُين حاكماً لأرمينيا لثلاث دورات. وكان محمد بن خالد آخر فرد في هذه العائلة عُين في هذا المنصب.

ظهر فرع جديد من الشيبانيين في دياربكر في النصف الثاني من القرن 9 م وتحديداً عائلة عيسى بن الشيخ.

لعبت عائلة السُلّميين، التي يعود أصلها إلى عشائر مُضر، دوراً هاماً في حياة أرمينيا السياسية في النصف الثاني من القرن 8 م.

. اليعقوبي، الجزء 2، 427-428.

حاول حكام هذه السلالة توطين أفراد العشائر العربية في المناطق الوسطى من أرمينيا. وكان لتوطين هؤلاء أهمية سياسية واستراتيجية للخلافة العربية.

J.Laurent, L'Armenie entre Byzance et l'Islam, 3, 17, 331.

لم تدعم هذه المستعمرات العربية في أرمينيا بأس الخلافة و"سياسة الهدوء" في البلاد فحسب، بل أضحت سنداً قوياً لها في حروبها ضد بيزنطة والخزر. وبفضل وجود مستوطنين عرب في أرمينيا اشترك محاربوها في الحروب التي شنتها الخلافة ضد بيزنطة.

كان المستوطنون العرب يقطنون في مقاطعتين حدوديتين في نهاية القرن 8 م

وتحديداً سوريا (الشام) وشمالي ما بين النهرين (الجزيرة). إلا أن الخلافة رأت ضرورة تعريب أرمينيا بعد قيام الثورة الكبرى فيها فأرسلت هؤلاء المستوطنين إلى دربنت فقاموا بدور هام في حربها ضد الخزر. كذلك تم توطين عرب من قبيلة السُلّميين (القيسيين) الذين كان لهم دور حيوي في معارك جرت على الحدود العربية-البيزنطية (الثغور- المترجم). عُين يزيد بن أُسيّد السُلّمي حاكماً لأرمينيا ثلاث مرات في عهد الخلفاء

العباسيين الأوائل وجُعلت هذه المهمة وراثية في هذه السُلالة حتى النصف الأول من القرن 9 م. ومن الشخصيات المشهورة في هذه العائلة يوسف بن رشيد السُلّمي 787م الذي ساهم بشكل كبير في توطين العرب في أرمينيا. ويشهد اليعقوبي على سياسة العرب الإستيطانية هذه بالكلمات التالية: "قام رشيد بعد ذلك بتعيين يوسف بن رشيد السُلّمي حاكماً لأرمينيا بالإضافة إلى خُزيمة بن خازم. تم توطين جماعات من قبيلة نزار في هذه البلاد وكان اليمنيون حتى هذا الوقت يشكلون غالبية المستوطنين في أرمينيا. إلا أن عدد النزاريين تصاعد كثيراً في عهد يوسف. عيّن هارون بعد ذلك يزيد بن مَزْيَد بن زائدة الشيباني الذي أسكن أعداداً كبيرة من المستوطنين إلى حد شكلوا أغلبية السكان العرب. وبذلك قهر بلاد أرمينيا إلى حد لا يجرؤ أحد على التحرك من مكانه. وصل بعد الحاكم الجديد عبد الكبير بن عبد الحميد من عائلة زيد بن الخطاب العدوي الذي سكن في حرّان ووصل على رأس جماعة كبيرة من ديار مُضر إلا أنهم أُبعدوا بعد مرور أربعة أشهر"، *. اليعقوبي، الجزء 2، 426.*

ومن الشيق أن نعلم أن الخصومات القديمة بين العشائر العربية الشمالية (النزاريين) والجنوبية (اليمنيين) وعداواتها كانت لها انعكاساتها على حياة العرب في أرمينيا.

أصبحت منطقة دياربكر جسراً تغلغل من خلالها المستوطنون العرب في الجزيرة إلى أرمينيا. فخلا الشداديين إستوطنت هناك عائلة الزُراريين التي اختصت بمدينتي أرزان وبيدليس (باغيش).

إحتل مستوطنو القبائل العربية تلك المقاطعات من أرمينيا التي كانت تقع قرب الحدود العربية–البيزنطية. إستقر قسم منهم في مدينة شيمشاط (سميساط) والمناطق المجاورة لهما. سكن السُلّميون، الذين يدعوهم الأرمن بالقيسيين، قرب شواطئ بحيرة فان الشمالية–الغربية. إستولوا كذلك على مدن أخرى مثل أرجيش شمالي البحيرة وتمددوا بعد ذلك شمالاً ونحو المناطق الشمالية–الغربية. من المؤكد أن المستوطنين في بيركري ومنطقة أغيوفيت كانوا من عرب بني عثمان. وبذلك إمتدت سلسلة المدن، التي

إستولى عليها المستوطنون العرب، إلى ثيودوسيوبوليس وصولاً حتى أرمينيا الرابعة العربية. كتب المؤرخ خورداذيبة حول أرمينيا قائلاً: "تتشكل أرمينيا الرابعة من شيمشاط، أخلاط، (خلاط)، قاليقلا، أرجيش وبادجونايس". وكانت لهذه المدن أهمية إستراتيجية حيوية بالنسبة للخلافة.

Bibliotheca Geographicorum Arabicorum, VI, 122.

أدّت سياسة العباسيين الإستيطانية في أرمينيا إلى انتقال أعداد غفيرة من السكان الأرمن إلى أرمينيا البيزنطية وآسيا الصغرى.

H.Gelzer, Die Genesis der Byzantinischen Themenverlassung, Leipzig 1899, 81-86.

لذلك كان استيطان الأرمن في القرم ظاهرةً عادية طوال القرن 8 م والنصف الأول من القرن 9 م. يقول المؤرخ غيفوند أن أعداداً كبيرة من الأرمن تركوا أملاكهم طوعاً واستوطنوا في بيزنطة.

. أ.ألبوياجيان، تاريخ المهاجر الأرمنية، الجزء 1، 261-262، القاهرة 1941، بالأرمنية.

بدأت حركة استيطانية كبيرة بعد إخضاع ثورة 774-775م. ومثالنا على ذلك أن عائلة الأمراء كنوني لجأت إلى آشوت مساكير باكراتوني برجاء إنقاذهم من العرب. إنتقلت العائلة بكامل أفرادها بمساعدة الأمير آشوت من منطقة أغيوفيت إلى تايك على الطرف الشمالي-الغربي. يشهد المؤرخ غيفوند أن الأمير شابوه من عائلة أماتوني وابنه حمام وسواهما وأشراف أرمينيا هربوا إلى مناطق أرمينيا الشمالية-الغربية فلاحقهم العرب حتى حدود إيبيريا في مقاطعة كوغ لكنهم إنهزموا ولجأوا إلى الفرار. إجتاز الهاربون نهر أكامبسيس (جوروخ) ووصلت أخبارهم إلى الإمبراطور قسطنطين الذي أكرم أشرافهم وفرسانهم بسخاء.

. غيفوند، 56.

فأسكن الإمبراطور هذه الجموع الأرمنية باستعدادات تامة وضم العديدين منهم إلى صفوف الجيش البيزنطي فاشترك هؤلاء في حروب بيزنطة ضد الجيوش العربية بنشاط كبير.

Leo, Istoria Armenii, 400-411, بالروسية

حكم الإمبراطور فارتان–فيليبيك (من أصل أرمني) بيزنطة 711–713م. ظهر ميل أثناء حكم قسطنطين الخامس من قبل القائد Strategus الأرمني أردافازد من عائلة الماميكونيانيين صهر الإمبراطور ليو الثالث المتوفي. هاجم أردافازد القسطنطينية بغتة أثناء حملة ضد العرب ونادى سكان العاصمة عنه إمبراطوراً.

Istoria Vizantii, II, 56, بالروسية

إلا أن الإمبراطور قسطنطين الخامس أفلح في القبض عليه وسمل عينية. وهناك بعض القادة الأرمن المميزين حاربوا الخلافة في عهد الإمبراطورة إيرينا نذكر منهم تاجات أندزيفاتسي، فاراز–تيروتس وسواهما. ثارت قوات مقاطعة أرمينياكون ضد الإمبراطورة بقيادة موشيغ لكنها اندحرت لاحقاً. كذلك ثار الستراتيكوس فاردان الأرمني، قائد القوات البيزنطية في الشرق، على الإمبراطور نيكوفوروس 802–811م وكان يساعده ابن البطريق فاردان. أصبح ليو إمبراطور بيزنطة لاحقاً وعُرف في التاريخ باسم ليو الخامس الأرمني 813–820م. وكان لاستيطان الأرمن في بيزنطة عواقب سلبية للغاية لأنه أضعف البأس العسكري لأرمينيا.

N.Adontz, Sur l'Origin de Leon l'empereur de Byzance, EAB, 37-46.

الفصل الخامس

إحياء إستقلال أرمينيا

(1) الواقع الجديد في أرمينيا وصعود نفوذ الباكراتونيين

بدأت المرحلة الجديدة للسيطرة العربية على أرمينيا منذ السنوات الأولى للقرن 9 م عندما استقلت أوضاع الأمراء الإقطاعيين الأرمن وبوشر بوضع أساسات حكومة إقطاعية في البلاد. وكانت لجهود هارون الرشيد الإستيطانية في نقل المستوطنين العرب العشائريين إلى شتى مقاطعات أرمينيا دور حيوي في إضعاف إقطاعيي البلاد المحليين. ورغم ذلك باشر هؤلاء المستوطنون العرب بإزعاج الخلافة ذاتها لأن الإقطاعيين العرب لم يكونوا أقل توقاً للانفصال عنها مقارنة بالأرمن أصحاب البلاد. وهكذا نشطت في أرمينيا قوات معادية لبعضها بعضاً وتحديداً الخلافة، الإقطاعيون الأرمن والأمراء الإقطاعيون العرب الجدد المعروفون في العلوم التاريخية بـ "المتغلّبة".

. اليعقوبي، الجزء 2، 481.

تطورت العلاقات الإقطاعية في بلدان الخلافة منذ النصف الثاني للقرن 8 م واشتدت في النصف الأول من القرن 9 م.

Istoria Stran Zaroubezhnoi Azii, 141-142.

ظهر شكل من المُلْك الشَرْطي دعاه العرب "العِقْدَة" لاستخدام الأرض مدى الحياة أو لسنوات محددة. وكان ذلك يعني إستئجار الأرض فقط لا تمليكها. إلا أن ظروف حق المُلكية تبدلت تدريجياً لاحقاً.

فتّش الحكام، القادة والموظفون العرب عن أراضٍ مناسبة لتحويلها إلى أملاك وراثية. كذلك كان لدى الحكام طموحات لجعل مناصبهم وراثية في عائلاتهم. وكما شاهدنا في الأعلى أضحى منصب حكم أرمينيا وراثياً في عائلتي الشيبانيين والسُلّميين.

بدأت وتيرة إقامة منظومات الإقطاعيات السياسية في أرمينيا، كارتلي، شيرفان وبعض المقاطعات الإيرانية في وقت أبكر مقارنة بالمقاطعات المركزية للخلافة العباسية.
P.Zhouzhe, al-Moutaghalliba, 171.

كذلك حاول ممثلو الخلافة أنفسهم إنشاء سلطة خاصة لهم. مثالنا على ذلك الشيبانيون الذين كانت لهم إقطاعات في دياربكر في القرن 9 م. وهناك فرع آخر من هذه العائلة حكم شيرفان في النصف الثاني من القرن المذكور.
ظهر الإقطاعيون الجدد، المتغلّبة، بدءاً من النصف الثاني للقرن 8 م إلا أنهم نشطوا في أرمينيا بدءاً من تسعينيات القرن 8 م فقط. تعقّدت الأحوال في أرمينيا بسبب ظهور حركة الخُرَّميين في آذربيجان. بناء على شهادة الطبري ثار الخُرّميون سنة 192هـ=807–808م فأرسلت الخلافة 10,000 فارساً فاندحر الثوار لكن الحركة استمرت على الحياة.
. الطبري، الجزء 8، 339.

عين الخليفة هارون فضل بن يحيى البرمكي، ابن الوزير خالد البرمكي، نائباً له في حكم أرمينيا سنة 792م وبعد عام واحد حاكماً على الرَيّ فخرسان. ذهب إلى أرمينيا شخصياً ثم اتجه إلى دربنت وقرر الهجوم على قلعة حمزين إلا أن السكان أكرهوه على الفرار. فطُرد من منصبه وعُين عمر بن أيوب الكناني حاكماً لأرمينيا فأوكل بدوره مهمة جمع الضرائب في أرمينيا إلى أبي صباح وعيّن سعيد بن محمد الحرّاني قائداً للقوات العربية في أرمينيا.
. اليعقوبي، الجزء 2، 420.

ثار المدعو فضل في الجزيرة سنة 176هـ=792–793م ونهب مدينة خلاط (أخلاط) في أرمينيا. أما المدعو رشيد بن طريف فقد ثار في حاضر خلاط مدة 20 يوماً عام 178هـ=794–795م ولم يحصل سوى على مبلغ 30,000 ديناراً فديةً.

ثار سكان بردعة وقتلوا أبو صباح. وفي هذا الوقت بالذات ثار أبو مسلم الشاري في أرمينيا. عيّن نائب الخليفة فضل المدعو خالد بن يزيد حاكماً على أرمينيا وأرسله برفقة 5,000 مقاتل بقيادة عبد الملك الحِرَشي. حاربوا أبو مسلم لكنهم إندحروا فاحتل أبو مسلم قلعة الكُلاب. لذلك عين هارون الرشيد العباس بن جرّاح بن يزيد البجالي حاكماً لأرمينيا سنة 794م. وعندما وصل هذا إلى مدينة بردعة ثار البَيْلاقانيون وهاجموه فتحصّن في ضاحية المدينة. فأرسل الخليفة قوة ثانية مؤلفة من 6,000 عنصر إلا أن أبو مسلم دحرها أيضاً. إتجه أبو مسلم بعد ذلك نحو دفين (دبيل) وحاصر المدينة مدة 4 أشهر لكن بدون فلاح. أرسل الخليفة جيشاً كبيراً في هذه المرة من 12,000 مقاتل بقيادة يحيى الحِرَشي ضد مهلهل التميمي الذي ثار في آذربيجان وأرسل يزيد بن مَزْيَد على رأس جيش ثان من 10,000 محارب ضد أبي مسلم. دحر يحيى المهلهل وضم قواته إلى يزيد وقمع الثورة.

عُيّن موسى الهاشمي حاكماً لأرمينيا 794–795م إلا أن الثورة بدأت ثانية في عهده فعُين يحيى الحِرَشي عوضاً عنه الذي أفلح في إخضاعها.

عين الخليفة أحمد السُلّمي حاكماً بعد هذه الإنتصارات مباشرةً إلا أن القوات التابعة ليحيى لم تخضع لأوامره لذلك أعطى هارون الرشيد هذه المهمة لسعيد بن البهيلي. ثار سكان دربند ضد الحاكم المحلي وقرر الخزر الهجوم وقتلوا عدداً كبيراً من المسلمين.

. اليعقوبي، الجزء 2، 427–428.

فأرسل هارون الرشيد حكاماً آخرين إلى أرمينيا. قامت ثورة في شيرفان 799–801م فأخضعها الحاكم يزيد الشيباني. وهكذا لم تبقَ للحكام العرب المعينين في العقد الأخير من القرن 8 م وبدايات القرن 9 م أية هيبة أو نفوذ فأضحت القلاقل والثورات ظاهرة بديهية في أرمينيا، شيرفان ودربنت. نشط العرب المتغلّبة والإقطاعيون المحليون سوية في الوقت نفسه ضد العباسيين عدوهم المشترك.

كان حكام أرمينيا من العرب بدورهم ظالمين وبدون رحمة فتكررت ثورات السكان ضد استبداد الخلافة العربية العباسية فأظهر الحاكم خُزيمة التميمي 803–806م قسوة غريبة تجاه إقطاعيي البلاد بقتل الأمراء وأولادهم. نشبت ثورة عارمة في عهده في كاخيت فأرسل قوات كبيرة بقيادة سعيد بن الهيثم التميمي إلا أن الطالع لم يحالفه فاستُبدِل وعُين سليمان الأميري بدلاً عنه. وكان هذا عجوزاً هرماً وضعيفاً جداً لصد مثل هذه الثورة. كذلك فشل جميع الحكام الذين عينهم هارون الرشيد حتى وفاته. هناك بعض النقود أمر بضربها هارون الرشيد في الهارونية وهارونابات في أرمينيا باسمه تعود إلى أعوام 168هـ=784–785م، 171هـ=787–788م.

. خاتشاتور موشيغيان، ضرب النقود العباسية في أرمينيا، 152–153.

ساهمت هذه الأوضاع في ظهور ظروف مناسبة لصعود مواقع الإقطاعيين الأرمن المحليين وفي المقام الأول عائلة الأمراء الباكراتونيين. دخلت هذه العائلة إلى الساحة التاريخية باكراً في أرمينيا الكبرى في عهد الملوك الأرتاشيسيانيين في القرن 1 ق.م وحافظوا على وجودهم حتى فترة تطور النظام الإقطاعي في أرمينيا. وتحوز مسألة أصل الباكراتونيين على اهتمام الباحثين حتى يومنا. تنسب الوثائق القديمة أصلهم إلى الجد الأول للأرمن هايك Haig. وكان لأحد خلفائه المدعو Parnavaz ولد يُدعى باكارات ومنه بدأت هذه السلالة. حكم في بداية الأمر منطقة أنكيغ في مقاطعة أغدزنيك الواقعة على الطرف الشمالي–الغربي من أرمينيا. جاءت هذه المعلومات في كتاب أبي التأريخ الأرمني موفسيس خوريناتسي وفي بداية تاريخ المؤرخ الأرمني الآخر من القرن 7 م سيبيوس.

. موفسيس خوريناتسي، 68–69.

. سيبيوس، 6–7.

يُعتبر موفسيس خوريناتسي الأكثر موثوقية مقارنة بالمعلومات الأخرى. وبناء عليه كان شامبات جد الباكراتونيين وأحد زعماء اليهود الذي سيق إلى بلاد بابل من قبل الملك

الآشوري نبوخذنصّر. رجا شامبات الملك الأرمني هرانتشيا منحه بعض السلطة في أرمينيا فانتشر اسمه في البلاد بعد تحويره قليلاً على شكل سمبات. لكن هناك رأياً آخر حول انحدار الباكراتونيين من اليهود مباشرةً.

Constantin Porphyrogenitus, De Administrando Imperio, 45, 205.

تؤكد المعلومات التاريخية على أن سلالة الباكراتونيين كانت إحدى السلالات الحاكمة الثلاث في أرمينيا القديمة. إهتم يوسيف ماركفارت بحقيقة شيقة ذكرها المؤرخ القديم أبيان Apian: "حارب ملك أرمينيا الكبرى تيكران الثاني سوريا وعيّن باكارات حاكماً لها. ويُعتبر باكارات مؤسس سلالة الباكراتونيين".

. هاكوب ماناندیان، التاریخ التحلیلي لأرمینیا، الجزء 1، 153.

وكان الأمير تيروتس باكراتوني، الموالي لمارزبان أرمينيا فاساك سيوني، أحد أمراء أرمينيا الإقطاعيين الذي اشترك في ثورة الأمير فاردان ماميكونيان ضد الفرس في القرن 5 م.

. المؤرخ الأرمني القديم يغيشيه، فاردان والحرب الأرمنية، يريفان 1957، 92، بالأرمنية.

هناك أمير باكراتوني آخر في نهاية القرن 5 م أصبح مارزبان أرمينيا يُدعى ساهاك باكراتوني.

عَظُم نفوذ الباكراتونيين تدريجياً في أرمينيا في ظروف المنافسة الحادة بينهم وأقوى أمراء البلاد وتحديداً الماميكونيانيين أثناء المرحلة الممتدة بين نهاية القرن 6 م والنصف الأول من القرن 8 م. أما المرحلة الأخرى، التي ساهمت في ازدياد نفوذهم، فإنها تتطابق مع سنوات حكم الأمير آشوت بن فاساك باكراتوني 732–749م. بناء على شهادة المؤرخ الأرمني القديم فاردان أصبح ولده سمبات وفاساك مؤسسي عائلتين قويتين في أرمينيا وكارتلي.

. فاردان، 112.

شرّع ضعف مواقع الأمراء الماميكونيانيين في القرن 8 م الأبواب واسعة أمام الباكراتونيين للوصول إلى حكم أرمينيا. إلا أن هذه الوتيرة تباطأت إلى حد ما وقتياً بسبب اشتراك سمبات وفاساك باكراتوني في الثورة الكبرى ضد الخلافة العباسية سنة 774–775م. وبعد مقتل القائد سمبات باكراتوني إبتعد شقيقه فاساك مع أولاده إلى منطقة جبلية تقع على طول Sper و Tayk في النواحي البونتية.

. المكان ذاته.

رغم عدم دخول Sper، التي كانت من أطيان الباكراتونيين، ضمن أراضي أرمينيا الكبرى إلا أنها كانت مرتبطة بوثاقة بمقاطعاتها وكانت ملجأً أميناً للأمراء الأرمن الفارين إلى جانب منطقة تايك.

N.Adontz, Armenia, 307-308.

نجد ذكر قلعة سمباتافان (قلعة بابيرت لاحقاً) وأرامانياك لدى المؤرخ فاردان. إبتنى الأمير آشوت مساكير باكراتوني بن سمبات قلعة كاماخ في تايك ووطّن فيها أسرته.

. فاردان، 105.

بناء على شهادة المؤرخ فاردان إستوطن عمه فاساك مع ابنه أدرنيرسيه في منطقة كغارجيك (كغارجيتي) في قلعة أرتانوج التي أصبحت مركزاً شهيراً للباكراتونيين الإيبيريين لاحقاً.

C.Toumanoff, Studies in Christian Caucasian History, 335-354.

هناك دليل شيق في سِفر كارتلي حول ظهور أول الباكراتونيين. وصل أمير من عائلة دافيت–أدرناس بن شقيق أدرناس الكفيف، إلى أرجيل أمير كارتلي. وكان والد الأمير قريب الباكراتونيين وعينه اليونانيون أميراً لأرمينيا. قدّمت هذه المعلومات في سفر كارتلي أساساً للمؤرخ الأرمني نيكولاي أدونتس لتقديم استنتاجات جديدة حول انتشار الباكراتونيين

في أرّان شمالي مناطق شاكي. ذكر المؤرخ غيفوند "أبناء سمبات" الذين نافسوا أمير أرمينيا آشوت باكراتوني مع الشقيقين كريكور ودافيت من سلالة الماميكونيانيين. فبناء على رأي نيكولاي آدونتس يجب أن يكون هؤلاء "أبناء سمبات" من عائلة الباكراتونيين. وخلا ذلك فهم الباكراتونيون أنفسهم الذين، بناء على سفر كارتلي، نافسوا أدرناس (أي آشوت) الكفيف واستوطنوا في شاكي. إستند آدونتس على حقيقة أن الأمير سهل سمّى ابن سمبات "سهل بن سمبات الأرمني" ومن هنا يستنتج أن سهلاً، الذي حكم في شاكي، كان ينتمي إلى عائلة الباكراتونيين. وتُعتبر نهاية القرن 8 م وبدايات القرن 9 م فترة انتشار الباكراتونيين في مناطق أرمينيا الجبلية الشمالية التي يصعب على العرب الوصول إليها. لذلك بانت ظروف مناسبة بعدئذ منحت الباكراتونيين إمكانية القيام بدور إستثنائي في حياة أرمينيا السياسية. جاهد الباكراتونيون في تنظيم الكفاح المشترك ليس للشعوب المسيحية في أرمينيا، كارتلي وأرّان فحسب، بل السكان المسلمين أيضاً.

. أ.هوفهانّسيان، نظرة، الجزء 1، 117-118.

(2) إحياء سلطة أمير أرمينيا الوراثية

قام الباكراتونيون في أرمينيا بالدور الذي قام به الماميكونيانيون طوال قرني 5-7م كعهد آشوت مساكير بن سمبات الذي تبوأ منصب أمير البلاد. من الصعوبة بمكان تحديد تاريخ بداية حكم آشوت. فعندما كان متمركزاً في مناطق أرمينيا الشمالية-الغربية جاء إليه زعماء عائلة الأمراء الكنونيين لدعمه بـ 1,000 مقاتل بسبب طغيان العرب ضدهم. وصل آشوت إلى أغيوفيت وجمع أفراد عائلة الكنونيين وأموالهم واستوطن في تايك.

. فاردان، 105.

بناء على هذه المعلومات قام آشوت بدور رائد بين أمراء أرمينيا في عام 790م تقريباً وخاصةً أن

توطين القبائل العربية والجور الذي لحق بالسكان والإقطاعيين الأرمن المحليين جرى في عامي 785–790م. من المحتمل لم تعترف الخلافة بسيادة آشوت حتى ذلك الوقت. لذلك إستند آشوت على قواته وحرّر بعض مناطق أرمينيا من العرب. هاجم آشوت على بعض الأمراء العرب، الذين كانوا يتطلعون إلى احتلال منطقة شيراك، وطردهم وجعل هذا المركز القديم لعائلة الأمراء الكامساراكانيين الأرمن كذلك منطقة آشوتس ضمن إقطاعاته الخاصة.

. المكان ذاته.

تقع منطقة أرشارونيك جنوبي شيراك فاشتراها آشوت من الأمراء الكامساراكانيين.

. أصوغيك، 106.

إصطدم آشوت مع القوات العربية التي كانت تنوي احتلال أراضٍ جديدة في أرمينيا. هجمت إحدى كتائب هذه القوات بقيادة شخص يُدعى عبد الله على آشوت. لكن، وبناء على المؤرخ الأرمني المعاصر فاردان، قام آشوت بتطويقه وقتله مع 500 من محاربيه.

. فاردان، 100.

لم تساهم ثورة شيرفان في نجاحات الباكرانونيين في أرمينيا فحسب، بل ساهمت في إضعاف سيادة العباسيين أيضاً.

أباد الخليفة هارون الرشيد البرامكة، عائلة الوزير المتنفذ، في عام 803م التي كانت سنداً قوياً للحكم العباسي منذ خلافة المنصور فسرّعت هذه الأحداث وهن الدولة العباسية. وبناء على رأي الباحثين "لم يكن الخليفة يملك قوة كافية كي يحكم البلاد ولا إرادة سياسية للاستمرار في السلطة بسبب سيطرة البرامكة على جميع مفاصل الحكم.

AMüller, Istoria Islama, II, 171, بالروسية

فسبب التنكيل بالبرامكة سخط الإقطاعيين الفرس وكان الخليفة قد نجا عندما عين ابنه البكر المأمون (والدته أسيرة فارسية) كنائب له لا يعوَّض على المقاطعات الشرقية. فأكرهته جميع هذه الأحداث أن يصبح أكثر حذراً في تلك المناطق بالإضافة إلى أرمينيا. فأُعلن عن آشوت مساكير أميراً رسمياً لأرمينيا سنة 804م وشقيقه شابوه قائداً عاماً للقوات الأرمنية المسلحة.

. صموئيل آنيتسي، 91.

طرد آشوت الأمراء الإقطاعيين العرب من أرمينيا على درب كفاحه لتركيز كامل سلطة أرمينيا بين يديه لأنهم كانوا يطمحون في اغتصاب مزيد من أراضي أرمينيا وفي مقدمتهم المتغلّبة الجحّافيون. يشهد المؤرخ الأرمني الكاثوليكوس هوفهانّس أن الجحاف كان من عائلة فارسية.

. الكاثوليكوس هوفهانّس، 145.

بينما يعتقد المؤرخ م.بروسيه أن الجحاف لم يكن فارسياً بل قيسياً.

M.Brosset, Histoire de la Siouni, St.Petersbourg 1864, II, 101.

طبعاً لا يُستثنى أن سلالة الجحافيين تعود بأصلها إلى الفرس. سمّى بعض المؤرخين ابن الجحاف بـ "سوّادة النهّاب". أما المؤرخ الأرمني أستيبانوس أوربيليان فإنه يفسّر هذا التعبير بـ "الغنيمة".

. أستيبانوس أوربيليان، 158.

مع ذلك يعتبر معظم المؤرخين الأرمن والعرب الجحافيين عرباً. وينسبهم ياقوت حتى إلى السُلّميين.

. ياقوت، المجلد 2، 462.

تطلع الجحاف إلى استغلال الأحداث والظروف المناسبة لتقوية مواقعه في البلاد منذ استيطانه في أرمينيا في بداية عهد هارون الرشيد. وبفضل اقترانه من ابنة الأمير موشيغ ماميكونيان في ظروف ترسّخ حقوق الأمراء الأرمن الوراثية الإقطاعية أظهر هذا المتغلّبة وأبناؤه ميلاً إلى السيطرة الشاملة على عائلة الأمراء الماميكونيانيين. وبناء على شهادة المؤرخ الأرمني فاردان "إتكأ الجحاف على زوجته وتطلع إلى السيطرة على جميع أطراف البلاد".

. فاردان، 105.

إستند الجحاف طبعاً على قواته بشكل أساسي. ورغم ذلك كان يحتاج إلى أساسات قانونية للاستيلاء على أراضي العائلة. لم يُفلح الجحاف في اغتصاب مناطق تارون، أرشارونيك وشيراك فاصطدم مع الباكراتونيين ومُني بالإنكسار. ومن النواحي الشيقة أن والدة آشوت مساكير كانت ابنة الأمير صموئيل ماميكونيان وهو بدوره كان يتوق إلى السيطرة على الماميكونيانيين.

ساهمت وفاة الخليفة هارون الرشيد وصراعات ولديه المأمون والأمين في تسريع وتيرة نشاط الجحافيين ومتغلّبة أرمينيا الآخرين.

. خاتشاتور موشيغيان، ضرب النقود العباسية، 149–150.

عُين أسد بن يزيد الشيباني 809–811م حاكماً لأرمينيا أثناء خلافة الأمين. إلا أن ثورة انفجرت بعد وصوله إلى أرمينيا بوقت قصير بقيادة يحيى بن سعيد المكنّى بـ "كوكب الصباح" واسماعيل بن شُعيب. إعتقلهما أسد لكنه أفرج عن سراحهما بعد قليل. وبناء على المؤرخ العربي اليعقوبي كان أسد شخصاً شهماً فأُزيح بسرعة عن منصبه كحاكم.

بعد وفاة المأمون رفض حاكم أرمينيا إسحاق بن سليمان الهاشمي الخضوع لطاهر بن محمد السناني الذي عينه الخليفة حاكماً لأرمينيا وآذربيجان.

. اليعقوبي، الجزء 2، 461–462.

حيّا قسم من القوات العربية في أرمينيا الخليفة الجديد المأمون وأقسموا له بالولاء بينما رفض قسم آخر كذلك بطريق الران والأمير الأرمني نرسيس (نارسي) والأمراء المسيحيين الخضوع له.

. المصدر نفسه.

بناء على شهادة اليعقوبي جرت اضطرابات في نصيبين، الموصل، ميّافارقين، أذربيجان، جَبَالْ، ديار مُضر، العواصم وقنّسرين سنة 198هـ=813–814م.

صعد عبد الملك بن الجحّاف السُلَمي على سدة حكم أرمينيا وحاصر مع البَيْلَقانيين حاكم بردعة طاهر طوال أشهر. فأرسل الخليفة سليماناً الهاشمي وأنقذ طاهراً وقدّم عبد الملك الأمان وهدأت أحوال البلد.

بناء على شهادة المؤرخ الأرمني فاردان إحتل عبد الملك بن الجحّاف أحد مركزي حاكم أرمينيا الرئيسيين في هذا الوقت وتطلع إلى السيطرة على البلاد كاملةً. وبناء على المعلومات النقدية نجد اسمه على نقود ضربها في أرمينيا في عامي 196هـ=811–812م و 197هـ=812–813م.

. ف.تيزينهاوزن، نقود الخلافة الشرقية، 348.

بناء على اليعقوبي أيضاً كان صاحب البلاد سنة 198هـ=813–814م. فقال في ذلك: "أما في أرمينيا فقد كان عبد الملك بن الجحّاف السلّمي ومحمد بن العطّاب".

. اليعقوبي، الجزء 2، 445.

كذلك ذكره المؤرخ الأرمني نالبانديان حاكماً لأرمينيا.

. أ.نالبانديان، الحكام العرب، رقم 69.

طبعاً من الصعوبة بمكان تحديد فترة حكمه. ورغم ذلك لا ريب أنه حكم مقاطعات أرمينيا منذ هذه الفترة. وكان احتلال دفين (دبيل) ونشاط عبد الملك خطيراً إلى حد لجوء الكوروبالات آشوت، أمير كارتلي، إلى الإمبراطور البيزنطي ليو الخامس (من أصل أرمني–المترجم) طلباً لدعمه. إلا أن الإمبراطور أُغتيل سنة 820م. بعد احتلال دفين شعر عبد الملك مع والده بقوة كافية لمحاولة اغتصاب مقاطعة تارون من الباكراتونيين بمساعدة جيش مشكّل من 5,000 عنصر. إلا أن قوات آشوت مساكير المؤلفة من 200 فارس و300 من المشاة تمكنت من قتل 3,000 محارباً من قوات الجحّافيين. فقرر قائد الجيوش الأرمنية شابوه بعد آشوت مهاجمة دفين مسبباً خسائر فادحة للجحّافيين فثار سكانها وطردوا عبد الملك خارج المدينة وقتله.

. فاردان، 106.

غاب الجحّافيون عن ساحة السياسة لفترة معينة إثر هذه الإنكسارات لكنهم ظهروا من جديد بعد بضع سنوات. لا يُعرف أين كان مركز إقامتهم الرئيسي الدائم إلا أن مكان ضرب النقود المشار إليها في الأعلى يؤكد على مدينة معدن باجونايس.

. خاتشاتور موشيغيان، 107.

ضُربت نقود أخرى في هذا المكان في العقد الأول من القرن 9 م باسم معدن باجونايس وهو تشويه في الحقيقة لكلمة أباهونيس الأرمنية الأصلية. حقيقةً، قامت الخلافة بتوطين قوات عربية من قبيلة سُلَيْم (القيسيين) حول أباهونيس أو خارج حدود أرمينيا. ويبدو أن العباسيين نظروا إلى انتصارات آشوت بعين الرضا والارتياح كون العرب الثوار أعداء مشتركين للأمراء الأرمن والخلفاء العباسيين.

جذب صعود بأس الباكراتونيين انتباه بيزنطة والكنيسة الملكية التي تؤمن بالطبيعة الثنائية للسيد المسيح. وصل مطران الملكيين في حرّان الأسقف ثيودور أبو قرّة إلى أرمينيا في حوالي عام 811–813م وحاول جذب آشوت مساكير إلى طرف الخلقيدونيين الملكيين

ويبدو أنه توصل إلى بعض النجاح. عندئذ لجأ رجال الدين الأرمن إلى مساعدة مطران اليعاقبة في تكريت الأسقف أبو ريّطة الذي أرسل الشماس نان (نون) إلى أرمينيا. أفلح الشماس السوري في التغلب على معارضيه فطرد البطريق آشوت أبو قرة من أرمينيا.
. فاردان، 108.

أرسل أبو ريطة رسالتين إلى آشوت يسميه في إحداهما "أبو العباس البطريق آشوشا بن سيمبات" أي أبو العباس آشوت بن سمبات.
N.Akinian, Theodorios Abikourra i Nana Siriets, Philolog. Isled. I, 122, بالروسية
G.Graf, Geschichte der christischen arabischen litteratur, II, 7-25, 222-227.

كانت لثورة الخُرّاميين في آذربيجان بقيادة بابك أهمية كبيرة في حياة أرمينيا وأصبحت سياسة العباسيين بفضلها حذرة جداً. إحتل بابك كامل مساحة آذربيجان باشتراك عدد كبير من المُلاّك الصغار المستائين من استبداد الخلافة ونيرها. سيطر الثوار على جميع مقاطعات البلاد بعد طرد الحاميات العربية. إنضم إليه بشكل رئيسي الفلاحون والحرفيون الخُرّاميون المكافحون ضد هيمنة الخلافة واستغلال الإقطاعيين واتخذت هذه الحركة قلعة بازّ الواقعة في آذربيجان، مركز انطلاق لها.
إتّحدت أرمينيا وآذربيجان غالباً تحت سيادة حاكم واحد منذ عام 816م، سنة بدء ثورة الخُرّاميين في آذربيجان وحتى عام إخضاعها في عام 837م لمقاومة الخُرّاميين وقمع جميع الحركات بشكل عام باشتراك الشعوب المحلية والمتغلّبة العرب أيضاً. وصل حاكم أرمينيا وآذربيجان حاتم بن هرثمة بن أعيان 815–818م في وقت كانت جماعتان محاربتان مواليتان للمتغلّبة (المعتزلة) والسُنة من المتعصبين تبيد بعضها بعضاً بدون رحمة.
. اليعقوبي، الجزء 2، 462.

أفلح الحاكم الجديد في تهدئة الطرفين. لكن، وعندما علم بنبأ مقتل والده من قبل الخلافة بعد بضعة أيام، ثار ضد العباسيين ولجأ حتى إلى الأمراء المسيحيين وإلى بابك ودعاهم لدعمه ومساعدته. فعيّن الخليفة المأمون حكاماً آخرين مكان حاتم لكنهم تعرضوا جميعاً إلى الفشل في معارك ضد الخُرّاميين. من جهة أخرى ساهمت إنكسارات حكام الخلافة في آذربيجان إلى مزيد من صعود بأس أمراء أرمينيا فحكم آشوت مساكير أرمينيا كحاكم مستقل وكان الخلفاء مع ذلك مرتاحين لأن الباكراتونيين لم يسببوا قلقاً للدولة إلى درجة أنهم لم يعارضوا تزايد قوة الباكراتونيين وخاصة أن المتغلّبة العرب كانوا الطرف الأخطر للخلافة في تلك الظروف.

ولتقوية سلطة أرمينيا زوّج آشوت ابنته Hripsimeh من الأمير الإقطاعي هامازاسب بن كاكيك من سلالة الأرتزرونيين (سماه العرب حمزة). وكانت هذه العائلة الأقوى في أرمينيا بعد الباكراتونيين الذين كانوا يملكون القسم الأعظم من أراضي مقاطعة فاسبوراكان (باسفرجان) الواسعة في بدايات القرن 9 م. ومن الشيق الإشارة إلى أن السلطة العربية كانت تدعم عائلة الأمراء الأرتزرونيين ضد عائلة الأمراء الباكراتونيين.

. فاردان، 108.

كذلك صعد نجم عائلة أمراء ثالثة كبيرة أثناء حكم آشوت وتحديداً السيونيين عندما أصبح فاساك أمير مقاطعة سيونيك الذي توفي سنة 821م. ويُعتبر هذا الأمير مؤسس عائلة السيونيين الجديدة فأعادت العائلة القديمة في سيونيك حقوقها الوراثية على هذه المنطقة.

. أستيبانوس أوربليان، 204، بالأرمنية.

. ن.أليمشاه، سيساكان، 14-15 بالأرمنية.

تعقّدت أحوال أرمينيا ثانيةً في الأيام الأخيرة من حكم آشوت بسبب ظهور شخصية من عائلة الجحّافيين الجديدة وتحديداً سَوّادَة بن عبد الحميد الجحاف.

. اليعقوبي، الجزء 2، 463.

إصطدم آشوت وشقيقه شابوه بقواته المشكّلة من 4,000 محارب لكنه تعرض للاندحار وقُتل شابوه على ساحة المعركة. توفي آشوت بدوره بعد سنتين.
. فاردان، 108.

بدأت فترة إقلاع جديدة لعائلة الباكراتونيين مع آشوت مساكير. لقد ساهمت نجاحاته وانتصاراته في صعود بأس هذه العائلة بشكل أنه كان من نصيبها تحقيق حُلم تأسيس الدولة الأرمنية الجديدة. ومن الشيّق أن نعلم أن آشوت يُعتبر أول ملك باكراتوني في جدول ميخائيل السرياني.
Michel le Syrien (Appendix V), 516.

إستقبل النصف الأول من القرن 9 م إستقلال الأمراء الأرمن والمقاطعات الشمالية لأرمينيا. جرت أولى هذه التطورات السياسية في أبخازيا خلال مدة قصيرة بين نهاية القرن 7 م وبداية القرن 8 م. إعتنق الأبخاز الدين المسيحي رسمياً في بداية القرن 6 م وخضعوا للإمبراطورية البيزنطية في هذه السنوات. لم يتمكن العرب من إبقاء أبخازيا تحت هيمنتهم فظلّت تحت سيادة بيزنطة حتى القرن 8 م.
ظفر حاكم أبخازيا ليو الثاني في ثمانينيات القرن 8 م على الحرية بالانعتاق من سيادة بيزنطة وأعلن عن نفسه ملكاً. تطلّع ملوك أبخازيا إلى توسيع نفوذهم السياسي في كارتلي، الواقعة ضمن أرمينيا منذ بدايات القرن 9 م، فشنّوا معارك ضد باكراتونيي كلارجيت وحكام كاخيتيا للهيمنة على هذه المناطق.
ظهرت إمارة مستقلة في الوقت ذاته تقريباً في كارتلي مشكلة من أقوام عديدة شتى. نشط بين تلك الأقوام في بداية القرن 8 م المحاربون الجبليون السناريون المعروفون في الآداب التاريخية الأرمنية باسم "تسانار" ويدعوهم المؤرخون العرب "السَنّارية". ورغم وجود كاخيتيا (ساناريا) ضمن أراضي أرمينيا إلا أن الهيمنة العربية لم تصل إليها بسبب ثورات الجبليين

المستمرة. ظهرت عائلة جديدة عند تخوم كاخيتيا بين القرنين 8–9 م وأصبحت سلالة حاكمة على الأمراء المحليين.

Otcherki Istorii CCCP, III-IX vv., 509-511.

كان الباكراتونيون الجماعة الأكبر بين العائلات الإقطاعية التي ظهرت في الشمال. أسسها آشوت ابن أدرنرسيه في بدايات القرن 9 م. سيطر آشوت على الأراضي الممتدة بين كلارجيت حتى تيفليس وأصبح الباكراتونيون أصحاب هذه الأراضي وحكام كارتلي في عهد الخليفة العباسي المأمون. إلا أن الخلافة، التي كانت قد وهنت في بدايات القرن 9 م، صعد بأسها ثانيةً في كارتلي في ثلاثينيات القرن 9 م فهرب الأمير آشوت لعدم استطاعته مقاومة حاكم أرمينيا مع قواته في حوالي الأعوام 820–823م نحو أطراف كلارجيت وتايك (تاو) الجنوبية–الغربية حيث سلطة الخلافة كانت ضعيفة جداً. وكانت بعض إقطاعاته في حال الاستقلال الذاتي اسمياً عن الإمبراطورية البيزنطية. منحه الإمبراطور مرتبة كوروبالات العالية فتحصّن آشوت في المقاطعات التي أشرنا إليها. فانتقل مستوطنون إلى كارتلي وانضموا إلى آشوت وقطنوا في شافشيتا وأسس آشوت مع أفراد عائلته إمارة إقطاعية جديدة قامت بأدوار مهمة في تاريخ كارتلي بين القرنين 9–10م.

إلا أن كارتلي بالذات، وعلى وجه الخصوص عاصمتها تيفليس، ظلت تحت هيمنة العرب. شرع أمير تيفليس، الذي كان يخضع لحاكم أرمينيا، في إتّباع سياسة مستقلة بدءاً من القرن 9 م. إشترك الأمير محمد بن العطّاب، كأمير مستقل منذ عشرينيات القرن، في كفاح الكوروبالات آشوت ضد حاكم كاخيتيا فأرسل العباسيون قوات إلى تيفليس إلا أن الأمير أكرهها على الفرار. وصل بعد ذلك القائد خالد بن يزيد الشيباني على رأس قوات كبيرة، أخضع المدينة، اعتقل ابن العطّاب وأرسله إلى الخليفة. تحرك خالد بعد ذلك ضد سنّاريي كاخيتيا، وبعد مقاومة شديدة خضع له الجبليون.

. اليعقوبي، الجزء 2، 464.

لم يكن صعود بأس الباكراتونيين في أرمينيا واسترداد حقوقهم الإقطاعية الوراثية حادثة فريدة في الخلافة لأن سلطة الطاهريين في إيران تأسست سنة 821م. ومع ذلك خضع طاهر وأبناؤه إلى العباسيين ودفعوا الجزية لكن لم يسمحوا للخلافة بالتدخل في شؤون خرسان ومقاطعات إيران الأخرى . ظهرت إمارة مستقلة أخرى في حَمَدان وكردستان الإيرانية أقامها الجُلاّفيون 825–898م. وهكذا قامت إمارات إقطاعية محلية في أرمينيا وإيران في النصف الأول من القرن 9 م التي شكّلت أساس حكومات مستقلة.

(3) توطيد إستقلال أرمينيا
في عهد بطريق البطارقة باكارات باكراتوني

خلف باكارات وسمبات والدهما آشوت مساكير وأصبح باكارات أمير أرمينيا وعُين سمبات قائداً عاماً للقوات الأرمنية إلى جانب بعض الأدوار السياسية التي قام بها في البلاد. وكان سمبات رهينةً في قصر العباسيين حتى ذلك الوقت فقفل عائداً إلى الوطن عام 826م واستلم حكم القسم الشمالي من مقاطعات والده في أيرارات بالإضافة إلى أرشارونيك ومدينة كارين.

. أصوغيك، 106.

وأصبح باكارات حاكم تارون ومناطق أخرى بالإضافة إلى مركزها مدينة خلاط (أخلاط). كذلك سيطر على مدينة شيمشات (سميساط) أيضاً.

. البلاذري، 211.

تعود شهادة البلاذري إلى هذه السنوات بالذات أن كل أمير في أرمينيا أصبح صاحب مقاطعاته ولم يهتم بالحكم العربي وكان يدفع الجزية والخراج عند لجوء الخلافة إلى الشدة فقط. ويُذكِّر البلاذري بالحاكم خالد بن يزيد، على سبيل المثال، أنه كان ينال الهدايا من الأمراء الإقطاعيين الأرمن.

خلف باكارات والده في وقت عندما كانت الخلافة في أحوال صعبة جداً. وكان الحاكم محمد بن حُميِّد الطوسي 827–828م مشغولاً بحربه ضد زُريقة الذي ثار ضد الخلافة وكان ينتمي إلى سُلالته فقبض عليه زُريقة وأرسله إلى الخليفة.

. ابن الأثير، الجزء 5، 258.

وبعد هذه النتائج كان بوسع محمد خوض الحرب ضد بابك. إلا أنه اندحر وقُتل أثناء المعركة.

عيّن المأمون بعد ذلك عبد الله بن طاهر حاكماً على أرمينيا، آذربيجان وجَبَال لكنه استقر في خرسان.

ولدرء الاختلاطات في أرمينيا منح الخليفة أمير أرمينيا باكارات باكراتوني لقب "بطريق البطارقة" (أمير أمراء أرمينيا) واعترف بحكم عائلة الباكراتونيين على كامل مساحة أرمينيا وأصبح باكارات نائباً لحاكم أرمينيا فعلياً. وكان حاكم أرمينيا العربي مشغولاً بمحاربة بابك أثناء جريان هذه الأحداث.

. الطبري، الجزء 9، 187.

لم يذكر المؤرخون العرب والأرمن تكريم باكارات فحسب، بل ذكره المؤرخون البيزنطيون أيضاً كثيوفانوس على سبيل المثال.

Theophanus, Continuatus, III, 127.

كذلك لم يكن نفوذ باكارات سائداً في أرمينيا فحسب، بل وصل حتى دياربكر، الجزيرة أيضاً.

W.Tomaschek, Sasoun und das Quellengebeit des Tigris, Wien 1895, 19.

لم تكن أحوال أرمينيا طبيعية كاملةً فقد ظهر سَوادة الجحّافي ثانية الذي كان قد ثار في عهد آشوت مساكير. وكان سوادة مقترناً من الأميرة الأرمنية أروسياك باكراتوني فحاول

عقد علاقات صداقة مع الأمراء الأرمن والباكراتونيين على وجه الخصوص. بناء على المؤرخ الأرمني القروسطي فاردان حظي سوادة على مكانة كبيرة في جميع أصقاع أرمينيا لذلك ليس صدفةً اشتراك قائد القوات الأرمنية سمبات باكراتوني وساهاك سيوني في ثورته.

. فاردان، 108.

لفت الشعب في أرمينيا انتباه الخليفة المأمون فعيّن حاكماً على كل من أرمينيا وآذربيجان فرُسم عبد الله بن أحمد الشيباني حاكماً لأرمينيا الذي كان قد تعرّض إلى الإنكسار أمام أمير تيفليس والسنّاريين. استُبدِل خالد بن يزيد الشيباني 829–832م فجمع عدداً كبيراً من المحاربين وانضمت إليه أيضاً قوات قبيلة بني ربيعة من الجزيرة.

. اليعقوبي، الجزء 2، 464.

إنتصر يزيد بن حسن على الثائر في ناخيتشيفان فهرب إلى كيسال. كذلك إنتصر على أمير تيفليس محمد بن عطية وسنّاريي كاخيتيا. فثار السنّاريون في هذه المرة أيضاً إلا أن خالداً إنتصر عليهم ثانيةً.

بدأت ثورة سَوادة في هذا الوقت بصحبة سمبات باكراتوني وساهاك سيوني ضد حاكم أرمينيا فطلب الكاثوليكوس دافيت التحدث مع الثوار لوقف حركتهم. لكنهم لم يقتنعوا بنصائحه. فاصطحب خالد معه 2,000 من المحاربين الأشداء والتقى بالثوار في موقع يُدعى كافاكيرت على ضفة نهر هرازدان. وكانت العاقبة قتل ساهاك سيوني. أما سمبات وسوادة فهربا من ساحة المعركة.

. الكاثوليكوس هوفهانّس، 144–146.

تحدث اليعقوبي حول هذه الأحداث. وبناء عليه قابل سوادة الحاكم في خلاط (أخلاط) قبل وصول الحاكم إلى أرمينيا وطلب منه الأمان. وعندما ثار السنّاريون لاحقاً رفع القيسيون أيضاً راية العصيان (من المحتمل يعود الحديث هنا حول الجحّافيين الذين كانوا

رهائن لدى القيسيين). وبناء على اليعقوبي أيضاً شارك علي بن يحيى الأرمني في ثورة القيسيين فاعتقله خالد وأرسله إلى الخليفة. ويشهد اليعقوبي أن سَوادة ثار في عهد عيسى بن محمد 820–823م واقترح تنصيبه حاكماً لأرمينيا. لكن، وعندما لم يقبل سوادة بهذه المهمة دحره. تعود هذه الشهادة من دون ريب إلى ثورة سوادة الأولى في نهاية حكم آشوت باكراتوني عندما وصل الثوار إلى بعض النجاح. أما لاحقاً، وكما هو معروف، دحره الحاكم العربي ذاته. وتعود رواية الكاثوليكوس هوفهانّس بدون ريب إلى عهد خالد 829–832م لأن هذه الأحداث جرت في سنوات الكاثوليكوس دافيت الأخيرة الذي توفي سنة 833م.

R.Vasmer, 84-85.

بعد اندحاره في كافاكيرت توجّه سوادة جنوباً وسلب بعض المناطق الأرمنية. وبعد جمع غنائم كبيرة سار نحو سيونيك وهاجم قلعة شاغات وتمركز فيها مع محاربيه. ومن أجل محاربة العدو الخطير دعا أمير سيونيك فاساك القائد بابك فدحرا سوادة معاً وطرداه من سيونيك.

. كاغانكاتفاتسي، 263–264.

توفي فاساك سيوني بعد هذه الأحداث فاقترن بابك من ابنته. واستناداً إلى حقوقها الوراثية حاول الاستيلاء على مقاطعة سيونيك إلا أن أمراءها صدّوه. فقرر بابك اجتياح مختلف مناطق سيونيك ودمر ديرها الشهير، الواقع على الطرف الجنوبي–الشرقي من بحيرة سيفان، وقتل 15,000 مدنياً مسالماً.

ظهر جحّافي آخر في سيونيك بعد بضع سنوات يُدعى أبا الحارث. بناء على المؤرخ الأرمني فاردان هاجم على سيونيك مع 4,000 مقاتل بعد انكسار بابك لكنه ذاق بدوره طعم الإنكسار أمام الأمير بابكين سيوني.

. أستيبانوس أوربليان، 159.

قتل نرسيه سيوني في عام 821م في دير دادي في قره باغ (أرتساخ) ممثل عائلة المهرانيين الإيرانية وحاكم Ytik الأمير فاراج–تيروتس وابنه الصغير أستيبانوس. إقترح أحد أقرباء الأمير المقتول، المدعو أبو أسد، على بابك للثأر من أعدائه. فسبب بابك نكبات هائلة لسكان هذه المنطقة فهرب العديدون ولجأوا إلى قلعة Goroz وأبدوا مقاومة شرسة لبضع سنوات لقوات بابك. فحاول بابك عقد سلام معهم إلا أنه لم يُفلح في مسعاه فقفل راجعاً إلى آذربيجان وترك قائده روستوم في أرتساخ الذي تعرض إلى الاندحار بسرعة. قتل السكان المتمردون أستيبانوس أو أسد. وكان أبو موسى، ابن شقيق أبي أسد، يحكم منطقة أرتساخ في هذه الأوقات.

. فاردان، 109.

علينا التأكيد هنا على أن العلاقات بين باكارات باكراتوني وشقيقه سمبات كانت متوترة في هذا الوقت ولم يتدخل باكارات بالتالي في مسائل مقاطعات أرمينيا الشمالية والشمالية–الشرقية. تجددت الجدالات بين الشقيقين أثناء انتخاب هوفهانّس Ovayetsi 833–855م كاثوليكوساً. وبعد بضع سنوات من انتخابه لفّق معارضو الكاثوليكوس بعض التهم ضده لدى باكارات فبعث باكارات رسائل إلى جميع مطارين أرمينيا وأساقفتها يعلمهم فيها حول إزاحة الكاثوليكوس عن كرسيه وضرورة انتخاب كاثوليكوس جديد عوضاً عنه. فاغتاظ أمير أمراء أرمينيا إلا أنه يبدو أنه لم يُفلح في اتخاذ أية مبادرة ضد متهمي الكاثوليكوس الذين لا نعلم عن أسمائهم. فبناء على المؤرخ الكاثوليكوس هوفهانَس كان هؤلاء يستحقون العقاب.

. الكاثوليكوس هوفهانّس، 147–148.

. ماغاكيا أورمانيان، أزكاباتوم، 930–932.

وهكذا كانت هناك جماعتان متعارضتان في أرمينيا في القرن 7 م: الموالسيونيون لباكارات ويحتل قريب باكارات آشوت أرتزروني مكان الصدارة والمعارضون له بزعامة شقيقه

سمبات ويقف إلى صفه أمراء سيونيك والكنيسة برئاسة الكاثوليكوس.
ظهرت أوضاع سياسية معقدة جداً في الشرق في القرن 9 م في عهد الخليفة المأمون 813-833م والإمبراطورين البيزنطيين ميخائيل الثاني 820-829م وثيوفيلوس 829-842م وتركت آثارها الكبيرة على حياة أرمينيا السياسية أيضاً. جهّز المأمون مخططاً لسياسة هجومية خاصة ضد بيزنطة فعقد اتفاقاً مع فوما زعيم حركة تحطيم الأيقونات في آسيا الصغرى.

A.Vasiliev, Byzance et les Arabes, I, 22-49.

ودعمت بيزنطة بالمقابل بابكاً في آذربيجان.
بعد صعوده على عرش الخلافة إستغل الخليفة الجديد المعتصم 833-842م الهدوء السائد على الحدود العربية-البيزنطية وأرسل قواته لمحاربة بابك وعين أفشين بن قيس قائداً عاماً ودحر الخورّاميين سنة 837م واحتل قلعة بازّ وهدمها. قُتل أثناء هذه المعركة بضع عشرات من الخُرّاميين وهرب بابك عبر نهر آراكس (الرسّ) نحو مناطق أرمينيا الجبلية الشرقية حيث كان سكانها قد آسوا كثيراً بسبب اجتياحاته المتكررة ويرغبون بالثأر منه. إتجه بابك نحو أرمينيا بصحبة والدته وأشقائه إلا أن الأمراء الأرمن وجميع قواتهم ظلّوا يقظين تجاهه.

. الطبري، الجزء 9، 54.

وصل بابك لعند الحاكم سهل بن سمبات، أحد بطارقة أرمينيا، إلا أن أفشيناً إحتل جميع الطرق ولجأ إلى "بطارقة" أرمينيا، أرّان وآذربيجان وتعهّد لسهل بن سمبات الأرمني بمنحه وساماً وربط بابكاً بسلاسل مع مساعديه وأرسله إلى سامراء حيث أُعدم. حصل سهل على الجائزة مقدارها 1,000,000 درهماً فضياً وتاج البطريق.

. الطبري، الجزء 9، 54.

وعدوه كذلك بحكم أرمينيا، إيبيريا وألبانيا إلا أن ذلك لم يتعدَّ حدود الوعود لأن باكارات

باكراتوني إستغل الظروف.

The History of Caucasian Albanians by Movses Daskhourantsi, London 1961, 217.

قام الإمبراطور ثيوفانوس في العام نفسه 837م بحملة ناجحة نحو الشرق واحتل زاباترا ودنا من حدود أرمينيا. إجتاحت القوات البيزنطية أراضي أرمينيا من جهتين: إكتسح قسم منها أرمينيا الرابعة، أندزيت، خربوط وباغين. فقام باكارات باكراتوني وآشوت أرتزروني بصد الروم مع العرب فدخل الروم إلى مدينة ثيودوسيوبوليس عنوةً حتى باسين. أسر الإمبراطور عدداً كبيراً من الأمراء الأرمن لكنه، وفي الوقت نفسه، كرّم آشوت باكراتوني، حاكم Sper، بلقب بطريق. رغم كل ذلك تعرض البيزنطيون إلى الاندحار عند فاناند أمام إسحاق بن إسماعيل وتقهقروا عن أرمينيا.

أصوغيك، 144.

منحت إنكسارات الخُرّاميين الخلافة إمكانية أكبر لصد هجمات بيزنطة فقرر العرب سنة 838م القيام بحملة كبيرة غرباً اشتركت فيها القوات الأرمنية بقيادة باكارات باكراتوني وآشوت أرتزروني.

R.Grousset, Histoire de l'Armenie, 353-355.

وصل العرب حتى مدينة أموريا، طوّقوها ثم احتلوها.

A.Vasiliev, Byzance et les Arabes, I, 168.

إلا أن هذه النجاحات الصغيرة لم تحسّن من أداء الخلافة بسبب الحركات الشعبية التي انفجرت في مقاطعاتها مثل حركة بابك وكفاح الشعوب وتوقها إلى الاستقلال عنها.
من الظواهر الشيقة أن الحكام المعينين في أرمينيا نادراً ما تدخلوا في شؤون أرمينيا الداخلية بعد دحر بابك بل تُذكر أسماءهم في التاريخ فقط. ومثالنا على ذلك علي بن

حسين القيسي المكنّى بـ "اليتيم" لضعفه في حكم البلاد ولأسباب أخرى.
. اليعقوبي، الجزء 2، 475.

بناء على اليعقوبي أيضاً ثار البطارقة العرب والمتغلّبة في أرمينيا أثناء حكم الخليفة الواثق فعيّن خالداً بن يزيد حاكماً لأرمينيا على رأس جيش كبير فتعهّد المتغلبة بالإخلاص لخالد. ولما حضر الحاكم شخصياً رفضوا الاعتراف به.
. المصدر ذاته.

(4) ثورة عام 850–852م

رغبة منه في الحد من انحطاط الدولة أصبح الخليفة المتوكّل 847–861م المدافع القوي لأورثوذكسية الإسلام فاضطهد جميع المسلمين الذين لا يؤمنون بهذا المذهب. كذلك قدّم للمسيحيين واليهود أوامر كتابية خاصة تحقّرهم وتضعهم في مستوى أدنى مقارنة بالمسلمين.
A.Tritton, The Califs and Their Non-Muslim Subjects. 25-40.

تبنى المتوكل وسائل حاسمة لـ "حفظ الهدوء" في مقاطعات الخلافة وعلى وجه الخصوص في أرمينيا فأرسل أبو سعيد محمد المروزي إلى أرمينيا بصفة حاكم لها.
. اليعقوبي، الجزء 2، 489.

كُلِّف أبو سعيد أيضاً بجباية الضرائب بمبالغ كبيرة باللجوء إلى جميع الوسائط المتاحة وعلى الجباة التوجه إلى جميع مقاطعات أرمينيا وجباية الضرائب بأنفسهم. وبذلك كانت لأبي سعيد مهمتان في الوقت ذاته: حاكم أرمينيا وجابي الضرائب. وعندما علم باكارات باكراتوني بوصول الحاكم العربي الجديد وطبيعة مهامه اتجه إليه برفقة بعض أشراف

الأرمن حاملاً "هدايا ذهبية، فضية وثياباً ثمينة".
. *طوماس أرتزروني، 107.*

إلتقى أمراء أرمينيا بالحاكم سعيد عند حدود أرمينيا الجنوبية وطلبوا منه عدم الاستمرار في طريقه. فأيقن الحاكم صعوبة تحقيق المهمة التي أوكلها إليه الخليفة. وبعد استلامه الهدايا تقهقر أبو سعيد ورغم ذلك أبقى موظفين وبعض القوات لتنفيذ أوامر الخليفة. فعُيّن الحاكم العربي في أرزن في ديار بكر وصهر باكارات موسى بن زُرارة نائباً للحاكم ومسؤولاً عن جمع الضرائب وعلاء بن أحمد الصفوي كان يتوجب عليه جباية أكبر مبلغ من الضرائب في مقاطعة فاسبوراكان.
. *المكان ذاته.*

طاف علاء في جميع مقاطعات فاسبوراكان على رأس قواته بدءاً من منطقة أغباك فنهب الفلاحين وأسر العديدين ثم سار شمالاً ووصل إلى أندزيفاتسيك. أرسل له أمير فاسبوراكان آشوت أرتزروني رسالة إنذار وذكّره أن العادة جرت ألا يجبي الموظفون العرب الضرائب بل تُقدَّم الضرائب المجباة إلى الحاكم مباشرةً.
. *المصدر نفسه، 111.*

تجاهل علاء تحذيره فاستمر في نشاطه وتوقف في نهاية المطاف في قرية أرتشوتس. فاستعد آشوت أرتزروني للقتال وحازت قواته على نصر حاسم وقُتل محاربون عرب عديدون بينهم شقيق علاء وعثر الباقون على ملجأ لهم في قلعة بيركري.
إستلم آشوت أرتزروني في هذا الوقت رسالة من بطريق البطارقة يطلب منه إرسال قواته لمحاربة موسى بن زُرارة الذي توقف عند مدينة موش على رأس جيش كبير. فأسرع أمير فاسبوراكان نحو تارون برفقة 16 أميراً من عائلة الأرتزرونيين بالإضافة إلى قوات إقطاعيين تابعين لهم. حازت قوات باكارات وآشوت المشتركة على نصر باهر ضد القوات

العربية الكبيرة أما الأحياء فقد فرّوا باتجاه باليش (بدليس) فلاحقهم آشوت أرتزروني واستعد للهجوم على المدينة ولبّى لتضرّع زوجة موسى بن زُرارة التي كانت شقيقة باكارات. فسببت انتصارات الأرمن رعباً وغيظاً في سامراء العاصمة وكان أبو سعيد قد عاد إليها وأعلم الخليفة حول الأوضاع في أرمينيا ومعنويات الأمراء وعلى وجه الخصوص باكارات باكراتوني الذي يقوم بمهام حاكم جميع مقاطعات أرمينيا مع آشوت أرتزروني.

. الطبري، الجزء 9، 187.

بعد اندحار العرب في تارون وصل رُسُل موسى بن زُرارة إلى العاصمة دفين وبرفقتهم عدد كبير من سكان أغدزنيك العرب الذين وصفوا بحزن عميق نشاط أمراء أرمينيا وهزيمة العرب المحزنة.

. طوماس أرتزروني، 108-110.

أُرسل أبو سعيد إلى أرمينيا على رأس قوات جديدة لكنه توفي على الطريق فعين الخليفة ابنه وأسند إليه مهمة إزالة عائلتي الأمراء الباكراتونيين والأرتزرونيين في جنوب أرمينيا وانتزاع أملاكهم وتقديمها إلى أولاد يوسف.

. المصدر نفسه، 116.

دخل يوسف إلى أرمينيا في عام 851م من جهة آذربيجان وظل في قلعة هاداماكيرت في ناحية أغباك من مقاطعة فاسبوراكان وشرعت قواته في نهب السكان المسالمين. دعاه الأمير آشوت أرتزروني للتحدث في مسألة الضرائب إلا أن أحد مقاتلي يوسف حذّر آشوتاً بنيّة الحاكم الخبيثة. فأسرع أمير فاسبوراكان إلى جمع زعماء عائلته وقواته وأمراء المقاطعة وتحصّن وبعث من هناك رسالة إلى يوسف ذكّره فيها أنه باقٍ على إخلاصه للخلافة شريطة رفع الطغيان. أرسل له كذلك هدايا ثمينة درءاً لعواقب صدام الطرفين

فابتعد يوسف عن فاسبوراكان بعد اصطحاب رهائن معه. اتجه يوسف غرباً وتوقف في خلاط (أخلاط) ودعا إليه باكارات باكراتوني. وعد يوسف في رسالته بطريق البطارقة منحه حكم أرمينيا لأنه لم يتأقلم مع مناخ شمالي البلاد القارص.

. طوماس أرتزروني، 118.

لم يرتاب باكارات بأي شيء وخاصة أنه كان حاكم البلاد الفعلي واتجه مع حاشيته والأشراف ورجال الدين من موش إلى خلاط. وبالكاد كان الجميع قد وصل إلى خلاط إعتقل يوسف جميع مرافقيه من الأمراء الباكراتونيين وربط أطرافهم بسلاسل حديدية وأرسلوهم إلى سامراء.

. الطبري، الجزء 9، 187.

أما يوسف فقد اتجه إلى موش واصطحب معه رهائن من عائلة الأمراء الأرتزرونيين وأسرى فلاحين عديدين وأرسل نصفهم إلى سوريا لبيعهم كعبيد في أسواق النخاسة وأبقى النصف الثاني عنده لتشغيلهم في أعمال شاقة. إشتغل الفلاحون الأسرى في ظروف البرد الشديد فهرب منهم مَن أفلح نحو المناطق الجبلية التي كان يصعب على العرب الوصول إليها.

. طوماس أرتزروني، 118.

ظهر سخط عظيم في أرمينيا في مقاطعاتها الشمالية على وجه الخصوص بسبب أسر باكارات والعديد من الأمراء والأشراف غدراً. أفلح ولدا باكارات آشوت ودافيت في الفرار والتحصّن في منطقة Tavr الجبلية حيث جهزوا كتائب مع يونان بن تورنيك من عائلة الباكراتونيين مشكلة من جبليي صاصون وخوط اللتين كانتا من أملاك باكارات الإقطاعية.

. اليعقوبي، الجزء 2، 489.

J.Markwaet, Südarmenien, 298 (1).

إنقضت هذه الكتائب الجبلية على سهل موش (تارون) وطوّقت مدينة موش وأفنت عدداً كبيراً من المقاتلين العرب وحررت رهائن عائلة الأمراء الأرتزرونيين. فهرب يوسف وعثر له على ملجأ في كنيسة عالية بناها الباكراتونيون.

. طوماس أرتزروني، 120.

بناء على الطبري قُتل يوسف في شهر رمضان سنة 237 هـ=26 شباط–6 آذار عام 852م.

بين جميع الثورات التي انفجرت في أرمينيا ضد الخلافة يفرد المؤلفون العرب اهتماماً خاصاً إلى أحداث أعوام 850–855م فكتب اليعقوبي قائلاً: "بدأت الإضطرابات في أرمينيا ورفع عدد كبير من الأمراء راية الثورة وأصبحوا حكاماً مستقلين في مناطقهم. فعين الخليفة المتوكّل أبو سعيد محمد بن يوسف حاكماً لأرمينيا لكنه توفي على الدرب. فعين الخليفة ابنه يوسف، الذي بعد وصوله إلى البلاد، دعا الأمراء ولبى بعضهم دعوته. وصل لعنده باكارات بن آشوت (بوكرات بن آشوت) للحصول على الأمان إلا أن يوسفاً إعتقله وأرسله إلى المتوكّل. فحاربه يونان بن تورنيك وقتله فساءت أحوال البلاد".

. اليعقوبي، الجزء 2، 489.

يظهر من رواية البلاذري محاولة علاء في عام 851م سلب سيونيك (سيساجان) أيضاً خلا فاسبوراكان، ونهب جميع الأشياء الثمينة في ديرها الذي كان الجميع يبجّلونها. وكانت هذه الأحداث الشائنة المثيرة لاستياء عظيم بالإضافة إلى أسر باكارات السبب في حث الأمراء وجميع الإقطاعيين بعضهم بعضاً في إشعال فتيل الثورة العامة فساعدهم سكان مناطق خوط بتقديم الجياد والمحاربين.

. البلاذري، 211.

Hübschmann, Die Altarmenischen Ortsnamen, 236.

بناء على البلاذري وابن الأثير بدّل بعض المتغلّبة مواقفهم من الخلافة بعد أسر باكارات.
. ابن الأثير، الجزء 5، 288–289.

وبينما كان هؤلاء يشتركون برغبة وحبور بحملات على أراضي الإقطاعيين الأرمن حتى هذا الوقت، إلا أن نشاط يوسف السيء في أهدافه لإزالة جميع المناطق ذات الحكم الذاتي أكره هؤلاء الأمراء على الثورة ضد هذا الحاكم بالذات. وبناء على البلاذري دعم المتغلّبة بالتساوي مع الأرمن سكان خوط وصاصون بالمقاتلين والخيول. ويذكر بشكل خاص موسى بن زُرارة، صهر باكارات، الذي تفاهم مع الإقطاعيين الأرمن حول قتل يوسف. ورغم ذلك لم يقم جميع متغلّبة أرمينيا ضد الحاكم. وبناء على رواية الطبري علم سَوادة بن عبد الحميد الجحّاف بنيّة إقطاعيين أرمينيا فحذّر يوسفاً سلفاً الذي لم يعُرْ اهتماماً لهذا الإنذار.
. الطبري، الجزء 9، 187.

ذكر ابن الأثير في روايته مفصّلاً حول نشاطات الثوار قائلاً: "إنتظر الأمراء الأرمن كي يحل الشتاء ويغطي الثلج كل شيء. وعندما طوّقوا مدينة تارون حاربهم يوسف إلا أن الأرمن دحروا قواته وقتلوه وجرّد الثوار بقية أفراد القوات العربية من السلاح فتوفي غالبيتهم من برد الصقيع وتبعثرت قوات يوسف نحو جميع الإتجاهات.
. ابن الأثير، الجزء 5، 288–289.
The Chronography of Gregory Abu-l-Faraj, Bar Heabreus, Oxford 1932, 142.

بعد قتل الحاكم العربي توسعت دائرة الثورة نحو مناطق أرمينيا العديدة. أعلم الهونيون الخليفة أن الحاكم الذي أرسله قُتل لأن الأرمن يعارضون سلطته.
. طوماس أرتزروني، 120.

فجمع المتوكّل قوات جرارة من جميع أنحاء الخلافة في ربيع سنة 852م. وبناء على رواية طوماس أرتزروني إجتمع الخليفة مع القادة العسكريين المشتركين في هذه الحملة وأوصاهم بالهيمنة التامة على أرمينيا بعد تحطيم الأمراء والإقطاعيين الأرمن الثائرين.

. المصدر نفسه، 125.

كذلك قدم لهم سلفاً وثيقة ممهورة بخاتمه لحكم بعض مناطق فاسبوراكان وتارون.

. المصدر ذاته، 124–126.

لم تكن في أرمينيا قوات دفاع كافية ضد مثل هذا الهجوم المجهّز بعناية ودقة حتى وإنْ توحد جميع فرسان أرمينيا ضد قوات الخلافة. توصل باكارات والمجانبون له إلى بعض النجاحات الوقتية وأقام بعض التفاهمات والإتفاقيات بين الأمراء الأرمن فاتّبع الجميع هدفاً وحيداً. لكن، وكما ظهر لاحقاً، رفض جنود عرب عديدون تحت إمرة سمبات باكراتوني الاشتراك في المعركة وأصبح أمراء أرمينيا الشمالية المبادرين إلى هذه الثورة بلا دعم بعد أسر باكارات. فاجتاحت قوات الخلافة أرض أرمينيا عبر دياربكر بقيادة بوغا الكبير واعتقل موسى بن زُرارة في بدليس، الذي جاء لاستقباله، واتهمه باشتراكه في قتل يوسف فأرسله إلى الخليفة.

. البلاذري، 211–212.

تقرر الهجوم الأول على جبليي صاصون وخوط لأنهم قتلوا يوسفاً. دخل محاربو العدو إلى جميع زوايا هذه المناطق الجبلية وقتلوا سكانها المسالمين بشراسة وساقوا الشباب إلى الأسر. بناء على الطبري قتلت القوات العربية 30,000 مدنياً أرمنياً في هذه المناطق ونقلت العديدين إلى الأسر ثم شرعت في نهبها. إعتقل بوغا ولدي باكارات آشوت ودافيت ويونان هونيتسي وأرسلهم إلى سامراء.

. الطبري، الجزء 9، 188.

. الكاثوليكوس هوفهانّس،

. طوماس ، 138.

بعد إرسال آشوت أرتزروني مع ابنه كريكور ديرينيك وفاهان أرتزروني وغيرهم إلى سامراء ظل شقيقه آشوت–كوركين في فاسبوراكان فنظّم حركة مقاومة ضد العرب. في ذلك الوقت أيضاً، وبعد سوق آشوت أرتزروني إلى الأسر، ثار بعض أمراء أحد المناطق ضد العرب وحرروا قسماً من الأسرى إلا أنهم سقطوا بيد الأعداء أنفسهم.

. طوماس أرتزروني، 138.

فاختار بوغا 15,000 محارباً مصطفىً واتجه ضد كوركين أرتزروني المتمركز مع العديد من إقطاعيي فاسبوراكان و900 محارب في منطقة Orsirank ووجد عدداً كبيراً من الهاربين من مناطق أغباك، زاريهافان، Akke وسواها فحاول كريكور الاتفاق معهم إلا أنه لم يُفلح فجهز نفسه للقتال. وكان معسكر الأرمن مقاماً في موقع مرتفع قرب قرية Tya عند بحيرة جبلية تدعى "بحيرة الدم".

. المصدر ذاته، 143.

لم تكن القوات الأرمنية كبيرة لكنها حاربت ببسالة وإقدام وكانت على يقين أن الإندحار يعني إبادة جميع السكان المجتمعين في هذه المنطقة الجبلية. خسر العرب 1,800 مقاتلاً أثناء المعركة قرب "بحيرة الدم" وانتهى القتال بنصر الأرمن التام.

. المصدر نفسه، 148.

بعد اندحاره المخزي لجأ بوغا إلى المكر ثانيةً. بعث إلى كوركين رسالة موقّعة حول تعيينه حاكماً لمقاطعة فاسبوراكان. إستقبلوا كوركين في معسكر بوغا باحترامات كبيرة ومراسيم معهودة وأُعلن عنه أميراً لمقاطعة فاسبوراكان. إلا أن بوغا عرض عليه رسالة، كأنها من الخليفة، يأمر فيها اعتقاله بدون تمهّل بتهمة الثورة. أُرسل كوركين مع آخرين إلى سامراء

ممتطين ظهر الجمال. فاكتسح بوغا مناطق فاسبوراكان وأرسل عدداً كبيراً من الأسرى إلى كل حدب لبيعهم عبيداً في أسواق النخاسة بينما اتجه هو إلى العاصمة دفين لتمضية الشتاء فيها.

سارت القوات العربية التأديبية إلى المناطق الشمالية المختلفة في أرمينيا وساقت قسماً من الأسرى إلى دفين وأكرهتهم على الإرتداد إلى الإسلام وأعدمت جميع الرافضين.

. الكاثوليكوس هوفهانّس، 156.

أدت سياسة تفريغ العرب للسكان الأصليين الأرمن في مختلف مقاطعات أرمينيا إلى توطين مهاجرين عرب بدلاً منهم. ومع ذلك أفلح الإقطاعيون الأرمن بالحد من وتيرة هذا الاستيطان في النصف الأول من القرن 9 م. إلا أن بوغا سرّع وتيرة الاستيطان أثناء اجتياحاته المتكررة على أرمينيا بدعم المستوطنين العرب الذين أصبحوا أدلاّء لقواته.

. طوماس أرتزروني، 131.

وكان الجحّافيون بين هؤلاء المستوطنين وكانوا مستعدين لدعم حاكم أرمينيا العربي بقيادة يوسف سَوادة الجحّافي. ومثال آخر على ذلك أن العرب القيسيين وبنو عثمان رسّخوا سيطرة بوغا على أرمينيا. وبناء على شهادة المؤرخ الأرمني طوماس أرتزروني تعهّد الخليفة لقادته العسكريين بمنحهم سلطة وراثية في أرمينيا وكانت العاقبة تقسيم أراضي الأمراء الثوار الأرمن ضد استبداد الخلافة العربية بين بوغا وهؤلاء القادة.

. المصدر ذاته، 151.

باشر بوغا عملياته العسكرية ثانيةً في ربيع عام 853م وهاجمت قواته سيونيك وحاول اعتقال الأمير فيليبيه–فاساك وبعض الإقطاعيين الآخرين. إلا أن جميعهم كانوا قد أفلحوا في الفرار باتجاه الشمال إلى منطقة Baghk الجبلية. سار فاساك نحو كوتايك وبعد صدامه مع القوات العربية هرب شمالاً لعند كدريج، حاكم كاردمان، الذي مع ذلك اعتقله

وسلمه للعرب. مشى بوغا من أرمينيا إلى كارتلي لإخضاع ثورة أمير تيفليس إسحاق بن إسماعيل. وبعد حصار المدينة أُسر الأمير وتم قتله.

. المصدر نفسه، 174-175.

ثم اتجه بوغا إلى كاخيتيا فانكسر أمام السَنّاريين. هناك شهادة في سِفر كارتلي أن أمير أرمينيا أبو العباس (سمبات باكراتوني) وكوارام بن آشوت أقنعا الجبليين بمنع العدو من دخول مناطقهم.

Histoire de la Georgie, I, 266-267.

ورغم اشتراك آشوت في حملات العرب رسمياً إلا أنه ناضل ضدهم في الواقع. سبب إنكسار العرب إضطرابات جديدة في مقاطعات أرمينيا الشمالية-الشرقية وعاد بوغا مرة ثانيةً وخرّبها ونهبها. إعتقل أيضاً كدريتش، أمير كاردمان، أترنيرسيه أمير أرتساخ (قره باغ-المترجم) وولديه سهل بن سمبات وأستيبانوس، أمير Savendik، وكانت منطقة Outik مركزه.

. الكاثوليكوس هوفهانَس، 162.

أقام بوغا معسكره في بردعة كمنصة انطلاق لهجماته على أرتساخ. وكانت الصعوبة الرئيسية أمام الحكام العرب في هذه المقاطعات ثورة حاكم مناطق أرتساخ الشمالية عيسى أبو موسى. طلب بوغا منه الخضوع له فرفض عيسى وطوّق العرب قلعته Ktish (Gtitch). طال الحصار سنة كاملة وجرت هجمات عديدة لاحتلالها إلا أن القلعة ظلت صامدة.

. طوماس أرتزروني، 183.

إنتهت جميع محاولات بوغا للاستيلاء عليها غدراً بفشل ذريع فتوصل الطرفان إلى اتفاق في نهاية المطاف. وبناء عليه سيوجّه كل طرف رُسُلاً إلى الخليفة كي يحكم بين الطرفين فتوقفت الصدامات وقتياً ومع ذلك لم يصل رد الخليفة المتوكّل سريعاً. وكان الخليفة قد طلب من عيسى الحضور إليه شخصياً. فخرج عيسى من القلعة واستقبله العرب باحترام كبير ثم اتجه إلى العاصمة سامراء برفقة بوغا لكن ليس كأسير.

. ليو، الجزء 2، 452–453، بالأرمنية.

. اليعقوبي، الجزء 2، 486.

. طوماس أرتزروني، 191.

كانت ثورة الأرمن عام 850–852م صفحة رائعة في تاريخ أرمينيا القروسطي للكفاح من أجل الاستقلال ضد المحتلين العرب ودخلت هذه الثورة في ملحمة الأرمن الأشهر "دافيت الصاصوني".

(5) السنوات الأخيرة للهيمنة العربية

لم يُفلح العرب في إخضاع الثورة في أرمينيا نهائياً. إستمرت قوات بوغا التأديبية في معاركها ضد القلعة المذكورة عندما انفجرت ثورة جديدة في فاسبوراكان بقيادة أبي جبر أرتزروني وابن شقيقه أبي مقدم أرتزروني. وكان لدى الثوار 4,000 مقاتلاً. عُهدت مهمة إخضاع الثورة في فاسبوراكان إلى القائد العربي إبراهيم بالإضافة إلى جباية الضرائب فاتجه نحو بيركري وانضم إليه مقاتلو بني عثمان وهاجم الثوار الأرمن. ضغط أبو مقدم على العرب في بداية الأمر إلا أنه قُتل أثناء المعركة وأفلح إبراهيم على تنظيم هجوم آخر ثانيةً. وبعد تشتت صفوف الثوار وصل حتى Ostan في رشتونيك.

. طوماس أرتزروني، 195–196.

إتجه أبو جبر إلى أغباك لجمع قوات جديدة في Ostan وعُين فاساك كوفاكير أرتزروني قائداً لها.

ظهر زعيم جديد للثورة في هذا الوقت يدعى كوركين أبو بيلتش أرتزروني فوسّع رقعتها وقوتها. وكان قائداً مشهوراً سابقاً بمعاركه ضد بيزنطة ثم انضم إلى قوات القائد سمبات باكراتوني. يشهد المؤرخ طوماس أرتزروني أن الروم اقترحوا على كوركين الانضمام إليهم لكنه رفض. إتجه كوركين إلى فاسبوراكان واحتل قلعتي سرينك ودجلمار وأصبح حاكم فاسبوراكان وخضعت له كتائب الثوار وحرر المقاطعات من القوات العربية. أكرهت انتصارات كوركين العرب على الإعتراف به أميراً على فاسبوراكان فلم يرتاح الإقطاعيون المحليون من القرار فقام كريكور، شقيق آشوت أرتزروني، ثم آخرون ضده إلا أن جميعهم تعرضوا إلى الفشل.

قفل بوغا راجعاً إلى عاصمة الخلافة في عام 855م مصطحباً معه عدداً كبيراً من الأسرى الأرمن الإقطاعيين: القائد سمبات باكراتوني، كريكور بن كورديك ماميكونيان، أمراء سيونيك، معاوية بن سهل بن سمبات وأدرنيرسيه بن الخاشني (الخاتشيني).

. الطبري، الجزء 9، 193.

بعد سوق سمبات باكراتوني إلى سامراء أصبح ابنه آشوت أمير أرمينيا. وكانت أحوال العرب في أرمينيا غير راسخة بعد قيام ثورة جديدة في فاسبوراكان. قاضى الخليفة المتوكل في سامراء الإيقطاعيين الأرمن الثائرين ضد الخلافة وعرض عليهم الإرتداد إلى الإسلام أو هدر دمهم. بناء على شهادة المؤرخ الأرمني "فضّل بعض الإقطاعيين الأرمن المجد البشري على المجد الإلهي".

. طوماس أرتزروني، 157.

فتشاور الأمراء الأرمن فيما بينهم وقرروا القبول بأمر الخليفة ظاهرياً. أشار هذا المؤرخ الأرمني إلى موقفه السلبي ضد الباكراتونيين ثانيةً ووضع كامل اللوم على باكارات

باكراتوني الذي، حسب كلماته، أصبح مثالاً سيئاً للآخرين: الأمراء آشوت، فاساك، ومن عائلة الأرتزرونيين فاساك وآشوت سيوني وآخرين عدا باكارات. وكان بين الأسرى رجال دين أيضاً مثل مطران الأرتزرونيين هوفهانّس وسواه. رفض الأمراء سمبات باكراتوني وشقيقته هريبسيميه وهوفهانّس خوتيتسي زعيم ثورة عام 851م ضد الحاكم يوسف، استيبانوس وكريكور أرتزروني الارتداد،

. طوماس أرتزروني، 208.

فأُعدم جميع هؤلاء بسبب رفض قبولهم الإسلام ديناً إكراهاً. حدثت جميع هذه العذابات في السنوات الأخيرة من حكم الخليفة المتوكّل.

عاد بعض الأمراء الأرمن رغم كل ذلك إلى الوطن منذ عام 857م واسترجعوا أملاكهم. من المحتمل لم يعَدْ باكارات باكراتوني بسبب الشقاقات بينه وبين الإقطاعيين العديدين في أرمينيا. حصل آشوت أرتزروني على حق العودة إلى البلاد واستلم منصب أمير فاسبوراكان لأنه كان قد اشترك في حملات الخلافة العسكرية. ومع ذلك أُبقي في سامراء وأرسل الخليفة ابنه كريكور–ديرينيك حاكماً لفاسبوراكان . ثم قام الخليفة بتسليم حكم فاسبوراكان إلى آشوت وابنه ديرينيك بمراسيم رسمية خاصة.

لم يُظهر كوركين أبو بيلنتش أية معارضة لديرينيك بسبب تعيينه من قبل الخليفة بالذات. إلا أن كوركيناً آخر، شقيق آشوت، عاد من سامراء في هذا الوقت وقام بعمليات عسكرية مباشرةً ضده وحاول احتلال قلعتيه دجلمار وسرينك وعرض عليه الهجوم على ديرينيك بقواتهما المشتركة. وبعد احتلال المقاطعة قسّما مناطقها بينهما. رفض كوركين أو بيلنتش الاشتراك قي هذه المحادثات واتجه نحو ثيودوسيوبوليس وشاء تخطي حدود الإمبراطورية البيزنطية فقُبض عليه وسُلّم لآشوت باكراتوني بطريق أرمينيا الجديد الذي تردد في الوهلة الأولى إلا أنه أُكره على تسليمه للعرب. ويفسّر المؤرخ الأرمني طوماس أرتزروني هذه الواقعة على أن العرب كانوا لا يزالون يلاحقون الإقطاعيين الأرمن وكان والد آشوت

باكراتوني رهينةً في سامراء. أُكره أمير تيفليس كوركين أبو بيلتش على الإرتداد إلى الإسلام تحت التعذيب ثم أرسله إلى الخليفة.
. طوماس أرتزروني.

عاد أمراء مقاطعة سيونيك فاساك وشقيقه آشوت وآخرون من سامراء. أصبح فاساك حاكم المقاطعة وتمسّك بإيمانه المسيحي ثانيةً.
. أستيبانوس أوربليان، 172.

بعد ثورة عام 850–852م لم يكن بوسع فرع عائلة الباكراتونيين في تارون منافسة فرع شيراك الذي لعب دوراً حاسماً في حياة البلاد السياسية بقيادة آشوت بن سمبات باكراتوني. وهكذا إنتصر الباكراتونيون على جميع منافسيهم، وفي المقام الأول الأمراء العرب المحليين كالجحّافيين وسواهم، وأخضعوا كذلك أمراء أرمينيا الكبار والسيونيين.
لم يظهر الحكام العرب في أرمينيا إلا نادراً في سنوات حكم آشوت باكراتوني الذي أصبح أمير أرمينيا سنة 855م. مع ذلك أُرسل محمد بن خالد الشيباني إلى أرمينيا بصفته حاكمها في عام 857م.
. أ.نالبانديان، الحكام العرب في أرمينيا، رقم 101.

رغم صعود بأسه أخذ آشوت باكراتوني حذره من العرب. وكما شاهدنا كان آشوت مُكرهاً على تسليم أبو بيلتش لهم. خلا ذلك، وعندما هرب حاكم باكريفاند كريكور ماميكونيان من المنفى وقفل عائداً إلى الوطن، أمر بالعثور عليه إلا أن كريكوراً كان قد توفي.
بدأ العد العكسي لهيمنة الخلافة يقترب إلى نهايته وبالتالي فإن انحلال الخلافة العباسية التدريجي كذلك كفاح الشعب الأرمني العنيد من أجل الإستقلال سرّع من وتيرة إحياء إقامة المملكة الأرمنية.

الفصل السادس

التقسيم الإداري ونظام الحكم

(1) الولاية الشمالية

كانت أرمينيا التاريخية إحدى ولايات الخلافة العربية ضمن مقاطعاتها الشمالية في القرن 8 م والنصف الأول من القرن 9 م. لم يقسّم الأمويون كذلك العباسيون دولتهم إلى مقاطعات فحسب، بل إلى مجموعات مقاطعات أيضاً مثل المجموعة الشرقية ومركزها خرسان والمجموعة الغربية وتضم الشمال الإفريقي (المغرب) وإسبانيا (الأندلس) والمجموعة الشمالية التي تشمل أرمينيا.

جرى تقسيم مماثل في عهد إصلاحات الملك الفارسي خسروف الأول أنوشيرفان وجعلت من دولة الساسانيين 4 أقسام وعلى رأس كل منها حاكم.

Th.Nöldeke, Geschichte der Perser und Araber, Leiden 1879, 155.
A.Christensen, L'Iran sous les Sassanides, 371.

بناء على هذا التقسين حوى القسم الشمالي Kisti Kapkokh، آذربيجان، أرمينيا الشرقية، أرّان وتشولا وسواها من المناطق. خلا هذه التسمية كان القسم الشمالي يُدعى Garbi (البلاد الشمالية) أيضاً. لقد ذكرها المؤرخ خورداذيبة بدوره باسم "دجاربي".

. نيكولاي آدونتس، أرمينيا، 214-220، بالأرمنية.

Bibliotheca Geographicorum Araborum, VI, 118.

تشكل القسم الشمالي من الخلافة من الجزيرة، آذربيجان، أرمينيا وفي بعض الأحيان من الحدود العربية-البيزنطية (الثغور). عُين حاكم الموصل إبراهيم الأشتر حاكماً للموصل، آذربيجان وأرمينيا في القرن 7 م أثناء ثورة عبد الله بن الزبير عندما أصبح مختار حاكم العراق.

تشكل القسم الشمالي في عهد الخليفة عبد الملك نهائياً بضم الجزيرة، أرمينيا، آذربيجان بالإضافة إلى منطقة الثغور.

E.de Zambaur, Manuel de Généalogie, 35-36, 177.

بعد احتلال مناطق شمالي ما بين النهرين لم يوحد العرب قسميها البيزنطي والفارسي في بداية الأمر. وحد العرب القسم البيزنطي باسم دياربكر وOsroene تحت اسم ديار مضر بتعبير عام أي مقاطعة الجزيرة. أما أديابين الفارسية، التي عُرفت بدار ربيعة أو الموصل، فقد شكّلت وحدة منفردة. يشير جدول الضرائب في عهد معاوية إلى أن مقاطعتي الجزيرة والموصل كانتا وحدتين منفردتين في دولة الخلافة لكنهما توحدتا لاحقاً.

بعد احتلال ما بين النهرين إتّبع العرب فيها سياسة إستيطانية واسعة. ومثالنا على ذلك أن القائد عيّاض أرسل قسماً من قواته إلى سنجار وأسكن فيها بعض السكان العرب. إلا أن السوريين بدأوا يقومون بدور معين في هذه المناطق في القرن 7 م. بناء على ميخائيل السرياني كان الأشراف المسيحيون يديرون جميع المدن، القرى والنشاطات الحكومية في النصف الأول من القرن 7 م.

. ميخائيل السرياني، الجزء 2، 474.

أجرى الخليفة عبد الملك تعديلاً على سياسته وفرض جزيةً على السوريين. وفي النصف الأول من القرن 8 م عظم شأن الجزيرة وحازت الرصافة على إهمية إدارية. تشكلت الجزيرة من 3 أقسام:

(أ) ديار ربيعة ومركزها الموصل.

(ب) ديار مضر ومركزها الرقة.

(ج) دياربكر ومركزها آمد.

وكانت الموصل عاصمة هذه الأقسام الثلاثة. لكن أُعيد تقسيم الجزيرة ثانيةً في عهد العباسيين إلى مقاطعتين: الموصل والجزيرة.

بناء على شهادة المؤرخين العرب باشر العرب بنشر الإسلام بين المستوطنين الكرد في الجزيرة بعد احتلالهم للأراضي المذكورة أعلاه في عهد الخليفتين عمر وعثمان. دعا العرب الكرد الوثنيين سنة 22هـ=642–643م إلى اعتناق الإسلام أو دفع الجزية.

. ابن الأثير، الجزء 3، 25.

وافق بعض المستوطنين الكرد على اعتناق الدين الجديد وجهنةً وأصبحوا "كفّاراً ثانيةً".

. المصدر ذاته، 48.

رغم كل ذلك إنتشر الإسلام تدريجياً بين أشراف الكرد وأرستقراطييهم فارتفعت وتيرة استيطانهم في عهد العباسيين على وجه الخصوص.

O.Viltchevski, Kourdi, 115, بالروسية

خدمت طبقة المحاربين الكرد العباسيين وحصلوا بالمقابل على بعض المقاطعات ونفقات قواتهم.

كانت آذربيجان القسم الثاني المهم للمقاطعات الشمالية ومركزها ماراغا. بناء على شهادة المقدسي كان سكان آذربيجان يتكلمون بعدة عشرات اللغات الإيرانية. هذه شهادة قيمة حول آذربيجان لأن اللهجات الإيرانية كانت لا تزال حية حتى هذه السنوات في تاليش.

I.M.Oranski, Vvedenieh v iranskoi philologiyou, Mockva 1960, 28.

كانت المنطقة الحدودية (الثغور) مؤلفة بشكل رئيسي من وحدتين:

(أ) ثغور الجزيرة ومركزها ملاطيا.

(ب) الثغور الشامية (السورية) ومركزها طارسوس.

وكانت غالبية سكان الثغور من الأرمن، السريان وعناصر آخرى

E.Honigman, Thughur, Encyclopedia of Islam, IV, 738-739.

إعتبر العرب كيليكيا استمرارية سوريا ضمن الثغور الشامية. وكانت مدينتها الرئيسية طارسوس محصّنة بسورين. إنطلقت طريق منها وعبرت Tavr من خلال "بوابات كيليكيا" Pilae Ciliciae في آسيا الصغرى. ومن المدن المحصنة الأخرى في هذه المنطقة أدنة، Mopouestia (مسيس)، أنازاربا (عين زربة)، الهرونية (بناها هارون الرشيد) و Germanikiya (مرعش). وكان القسم الآخر من المناطق الحدودية مرتبطاً مع شمالي ما بين النهرين (الجزيرة) ويضم أراضي أرمينيا الصغرى الجنوبية (أرمينيا البيزنطية الثالثة) بالإضافة إلى الأراضي الغربية لأرمينيا العليا وأرمينيا الرابعة في أرمينيا الكبرى.

كانت Melitene (مالاطيا) المركز الأهم لهذه المناطق بالنسبة للعرب أثناء الحروب ضد بيزنطة. ومن المدن والقلاع المحصّنة الأخرى تاراندا، زيباترا (زابيترا)، حصن منصور، بيهيسنا وهاداس (أداتا). وكانت قلعة كاماخ على اتصال راسخ قوي مع هذه المناطق لذلك إنتقلت من يد إلى أخرى مع الوقت أثناء المنافسات بين العرب والبيزنطيين.

وكانت المناطق التالية من أرمينيا الكبرى تقع عند ثغور ما بين النهرين: أندزيت، تسوب شاهونياتس، Gavrek و Degik من أرمينيا الرابعة (تسوبك)، مزور، داراناغي، أريون (أريودز)، Yegeghiats، ديردجان وقسم من ماناناغي من أرمينيا العليا (كارين). ومن الجوانب الشيقة أن هذه المناطق المحاذية لنهر الفرات سماها العرب بتعبير خاص وتحديداً "بلاد الأرمن". ميّز ابن حوقل بجلاء تام بين أرمينيا و"بلاد الأرمن" ودليلنا على ذلك أنه، عندما ذكر حدود مملكة الباكراتونيين الأرمن، أكد على أنها تمتد من الشرق نحو بردعة ومن الغرب حتى مدينة ثيودوسيوبوليس و"بلاد الأرمن". كذلك سمّى العرب هذه الأقسام من أرمينيا الرابعة بـ "الثغور البكرية".

. ابن حوقل، الجزء 2، 343.

E.Honigmann, Die Ostgrenze, 43.

كانت منطقة العواصم ومركزها أنطاكيا تقع شمالي الثغور أسسها هارون الرشيد سنة 786م بعد ضم منطقة قنّسرين إليها. وكانت كلمة العواصم في بعض الأحيان تعني

الثغور أيضاً وتقع فيها أنطاكيا، منبج، دابق وسواها وتوحدت العواصم مع الثغور في غالبية الأحيان. وخلا ذلك كان لها حاكم واحد مع قنّسرين أو تُذكر معاً في وثائق جباية الضرائب.

M.Canard, Awasim, Enc. de l'Islam, Nouv. Ed., I, 783-784.

كانت المقاطعات الشمالية للخلافة تدار من أفراد عائلة الأمويين. وكان أحد هؤلاء محمد بن مروان، شقيق الخليفة عبد الملك، ومَسْلَمة، شقيق الخليفة الوليد. ثم عُين الجرّاح مدة قصيرة وبعد ذلك إستلم المهمة مروان الذي أصبح خليفة باسم الخليفة مروان الثاني. وكانت مهمة جميع هؤلاء ذات طابع عسكري بشكل أساسي ولا يتعاطون بالأمور الإدارية سوى عند الضرورة. وكان الحاكم يعين نائباً له في غالبية الأحيان للقيام بهذه المهام. علينا التذكير أيضاً أن وجود الحاكم بالإضافة إلى نائبه كان يخلق الفوضى والازدواجية في الشؤون المختلفة للمقاطعة كالنزاعات التي نشأت بين أمير أرمينيا آشوت باكراتوني وبقية الأمراء الأرمن.

A.Ter-Ghevondian, Severnoeh Namestitchestvo Arabskovo Khalifata, Strani Srednevo I Blizhnevo Vostoka, III, Arabskieh Strani, Erevan 1967, 166-174, بالروسية

لم تكن لمقاطعات الخلافة الشمالية حدود محددة. وكان ولي عهد الخليفة المعيّن يحددها في أغلب الأحيان. وكان أبو جعفر حاكم هذه المقاطعات في عهد الخليفة أبي العباس، هارون الرشيد والمهدي في عهد أبي جعفر وهارون الرشيد في عهد المهدي وإلى آخره الذي كان يحكم سلسلة من المقاطعات.

A.Nalbandian, Arabskiyeh Vostikani, No,35, بالروسية

أصبح عبيد الله ومن بعده فضل بن يحيى البرمكي حاكم المقاطعات الشمالية في عهد هارون الرشيد.

عندما إنفجرت ثورة بابك عيّن العباسيون حكاماً عامين لأرمينيا وآذربيجان. وبعد إخضاع هذه الثورة عُين ولاة العهد وأقرباء الخليفة في هذا المنصب ثانيةً. عُين المعتز على طبرستان في عهد الخليفة المتوكل وفي عهد الخليفة المعتمِد على الرَيّ، فارْس، آذربيجان وأرمينيا.

(2) **أرمينيا وحكامها** (vostigan بالأرمنية–المترجم)
كانت ولاية أرمينيا العربية مشكلة من بعض المناطق المجاورة لكارتلي وأرمينيا الأصلية والمقاطعات المحاذية لبحر قزوين (شيرفان) وسواها. وتعود العلاقات العامة لهذه المناطق المجاورة لأرمينيا إلى حقبات موغلة في القِدم إلا أنها تعززت أكثر من ذي قبل وأضحت أعمق في الحقبة المسيحية المبكّرة لأن الكنيسة الأرمنية لعبت دوراً إستثنائياً في نشر العقيدة المسيحية في ربوعها. لذلك سمّى الكاتب السرياني من القرن 6 م أرمينيا، جيورجيا، أرّان وغيرها من المناطق بكلمة "أرمينيا" العامة انطلاقاً من عقيدتها الدينية المشتركة كمجموعة تقطن في الشمال.
A.Nalbandian, Ibid.

وكان اعتراف معاوية بسلطة الأمير ثيودور رشتوني على أرمينيا، كارتلي، أرّان حتى دربنت أول خطوة على درب تشكيل ولاية أرمينيا العربية.
سيبيوس، 146.

إتّبع العرب التقاليد الساسانية التي كانت تعتبر هذه البلدان وحدة إدارية واحدة تحت تسمية أرمينيا. تشكلت الولاية في بداية القرن 8 م مباشرةً. ورغم بعض التشوّش في التاريخ العربي والأرمني بين "ولاية أرمينيا" وبين "أرمينيا الأصلية"، قدّم بعض المؤرخين تسميات مختلفة لهاتين الوحدتين. ومثالنا على ذلك المؤرخ الكاثوليكوس هوفهانّس

دراسخاناكيردتسي الذي أكد، عند حديثه عن أحد الحكام العرب، على "أنه أصبح حاكماً لمقاطعة أرمينيا".

. الكاثوليكوس هوفهانّس دراسخاناكيردتسي، 136.

ويعود الحديث طبعاً بدون أدنى ريب حول أرمينيا. ورغم استخدام المؤرخين الأرمن تسمية واحدة لهاتين الوحدتين، إلا أنهم كانوا على يقين على الأقل أن الحديث لا يعود حول أرمينيا فحسب، بل إلى بقية أقسام الولاية أيضاً.

عندما يروي المؤرخ الأرمني غيفوند عن تعيين الخليفة لشقيقه نائباً له في حكم المقاطعات الشمالية أسند إليه حكم أترباتاكان بالإضافة إلى أرمينيا مع إيبيريا وألبانيا.

. غيفوند، 166.

تطابقت حدود أرمينيا الشمالية مع حدود دولة الخلافة وامتدت شرقاً حتى بحر الخزر. أما غرباً فقد وصلت إلى حدود بيزنطة إلا أنها لم تتطابق مع حدود الخلافة من هذه الجهة بينما جنوباً كانت الجزيرة وآذربيجان محاذيتين لحدود أرمينيا.

كانت أرمينيا مشكلة من 18,000 قرية ويصل عدد إقطاعياتها (ممالكها) إلى 113.

Bibl. Geogr. Arab., V, 290-291.

خلا هذه المقاطعات المتصلة بأرمينيا بشكل وطيد كانت هناك مناطق أخرى مُلحقة بأرمينيا وقتياً واسمياً. وخير مثال على ذلك أبخازيا التي كانت ضمن أرمينيا في بداية القرن 8 م إلا أنها انفصلت عنها سريعاً. وعند تبئير اهتمام خاص في ضبط حدود أرمينيا لاحظ الباحث الأرمني س.شلبتشيان أن ديار بكر كانت متصلة بهذه المقاطعات الأرمنية أيضاً خلا بعض المناطق الصغيرة الواقعة بين مقاطعة فاسبوراكان وبحيرة أورميا.

S.Shleptchian, Administrativnaya Politica Khalifata v Armenii, 8.

بناء على شهادة ياقوت الحموي اعتُبرت بدليس وأرزان ضمن أرمينيا كذلك مقاطعة

دياربكر كاملةً.

. *ياقوت الحموي، الجزء 1، 205، 526.*

كانت عائلة زُرارة على علاقة راسخة مع باكراتونيي تارون، مع باكارات باكراتوني، في النصف الأول من القرن 9 م فحكمت مقاطعتي بدليس وأرزان الواقعتين ضمن أرمينيا. وبناء على المؤرخ طوماس أرتزروني كانت إقطاعيات Her، زارافاند، زاريهافان، تامبير، أرناي وأيلي تقع بين فاسبوراكان وأورميا.

. *طوماس أرتزروني، 252.*

. *اليعقوبي، الجزء 2، 329.*

Bibl. Geogr. Arab., III, 374.

منذ بداية تشكل ولاية أرمينيا العربية كانت دفين (دبيل) عاصمتها ومن مدنها الكبيرة ومركز المملكة الأرمنية الباكراتونية. إلا أن الحكام العرب تمركزوا فيها بعد احتلالها من قبل الجيوش العربية منذ النصف الثاني للقرن 8 م. وكان لحكام أرمينيا العرب مركز ثانٍ وتحديداً مدينة بارتاف (بردعة).

قسّم المؤرخون والجغرافيون العرب أرمينيا عادةً إلى 4 أقسام:

أ . أرمينيا الأولى، وتضم مقاطعة أرّان، شيرفان ودربنت المحاذيتين لبحر قزوين.

ب . أرمينيا الثانية، كارتلي.

ج . أرمينيا الثالثة والرابعة، أرمينيا الأصلية.

يبدو أن هؤلاء اقتبسوا مبدأ التقسيمات من الإمبراطور البيزنطي جستنيان الأول الذي أجرى تغييرات على حدود المقاطعات الأرمنية الإدارية التي كانت ضمن إمبراطوريته بتقسيمها إلى أرمينيا الأولى، أرمينيا الثانية، أرمينيا الثالثة وأرمينيا الرابعة. أعاد العرب طبعاً تسمية هذه الأجزاء من جديد ولم تتطابق تقسيماتهم مع تقسيمات الإمبراطور خلا أرمينيا الرابعة العربية مع أرمينيا الرابعة البيزنطية لكن بشكل غير كامل. وهذا التقسيم

التقليدي لأرمينيا إلى 4 أقسام يتطابق إلى حد معين بموقع أرمينيا مع البلدان المجاورة في الحقبة ما قبل الإحتلال العربي. ومع ذلك لم يكن له أية أهمية إدارية. ومثالنا على ذلك تتطابق أرمينيا الثالثة مع أرمينيا البيزنطية السابقة حتى عام 639م. إلا أن دراسات م.غازاريان، ج.لوران وسواهما لم تتفاعل تحليلياً مع معطيات المؤلفين العرب واعتبروا أن أرمينيا قُسّمت بالفعل إلى 4 أقسام.

J.Laurent, L'Armenie entre Byzance et l'Islam, 9, 34.

ففي الحقيقة قسّموا أرمينيا إلى الوحدات التالية في النصف الأول من القرن 9 م: أرمينيا الأصلية، كارتلي، أرّان، شيرفان ودربنت المحاذيتين لبحر الخزر.

بناء على جغرافية أرمينيا في القرن 7 م تشكّلت مقاطعة أرّان من 11 ناحية صغيرة وكانت تقع بين نهر كور والجبال القفقاسية.

. Ashkharhatsouyts *(خريطة العالم بالأرمنية)، 105.*

بعد وهن مملكة الأرشاكونيين في أرمينيا وأرّان وانهيارها تم توحيد منطقة Ytik الأرمنية ونشأت بالتالي وضعية فريدة فقام الأرمن واللغة الأرمنية بدور هام في حياة أرّان السياسي والإجتماعي. خضع بطاركة، أمراء مقاطعة الرّان إلى حكام أرمينيا أثناء الحكم العربي وكانت مدينة شاكيه (شاكي) مركز أغبانيا في القرن 9 م.

. اليعقوبي، الجزء 2، 461.

يؤكد المؤرخون العرب بجلاء على أنها كانت تحت سيادة أمير أرمينيا سهل بن سمبات. يعدد المسعودي الممالك الجبلية القفقاسية الصغيرة ويذكر "مملكة شاكي" بأن سكانها مسيحيون. ويستطرد قائلاً إن ملكها أدارنارين أبو هُمام (أو حمام)، أي حفيد سهل سمباتيان المدعو أدرنرسيه، حكم هذه العائلة منذ القرن 9 م.

. المسعودي، الجزء 1، 294.

كانت مناطق بحر قزوين المجاورة، أي شيرفان، تحوي أراضٍ تمتد بين أرّان والبحر. قامت هنا مملكة المسكوتيين الأرشاكونية في القرن 4 م وبعد إزالتها خضعت للساسانيين. يُذكر في القرن 5 م المرزبان تشولا الذي كافح ضد ألبانيا المسيحية.
. كاغانكاتفاتسي، 87.

بناء على معلومات ابن خرّداذيبة كان حاكم منطقة تشولا الشمالية يحمل لقب "شيرفانشاه".
Bibl. Geogr. Arab., VI, 17.

تسارعت وتيرة تغلغل عناصر إيرانية جديدة داخل المناطق المجاورة لبحر قزوين بهدف تحصين ممرات دربنت. وكانت لشيرفان أهمية استثنائية لحروب الخلافة ضد الخزر.
. البلاذري، 209.

يُذكر هيثم والياً لشيرفان في عهد العباسيين. وكانت مدينة شاماخي مركز شيرفان في القرن 9 م.

V.Minorski, Istoria Shirvana, 155-161, بالروسية

كذلك كانت داربنت (ديربنت، باب الأبواب) وحدة هامة ضمن ولاية أرمينيا. ورث العرب منظومة كاملة من التحصينات كان قد شادها ملوك ساسانيون بين القرنين 5–6م. نجد اليوم 5 أسواراً متوازية تنطلق من سلسلة الجبال حتى بحر قزوين.

K.B.Otcherki po Istorii I Koultoure Kavkazskoi Albanii, 267-288, بالروسية

وكانت أسوار دربنت الأهم في سلسلة التحصينات لأنها تسدّ الطريق أمام الخزر. لا تُنسب تسمية دربنت إلى المدينة فحسب، بل إلى كامل المنطقة أيضاً. شُيد سور دربنت

من الأحجار ويصل نهايته حتى بحر قزوين وتمتد النهاية الأخرى مسافة 40 كم على

السلسلة الجبلية.

. المصدر نفسه، 280–281.

كان باب الأبواب التسمية العامة لسور دربنت وبعض المقاطعات الخاضعة. وكانت أقوام إيرانية ومستوطنون قفقاسيون يعيشون حول هذه الأسوار وتقع طبرستان على الطرف الجنوبي–الغربي من السور. يذكّر المؤلفون العرب أيضاً بفيلان غير البعيدة عن طبرستان. وكان السَكوثيون أو (المسكاتيون) يعيشون على الجهة الجنوبية.

V.Minorski, Istoria Shirvana, 112-113, بالروسية

من الطبيعي لم تخضع هذه الأقوام المذكورة إلى العسكريين العرب لباب الأبواب دائماً لأنهم كانوا مرؤوسي حاكم أرمينيا. لعبت جميع هذه الأقوام دوراً بهذا الشكل أو ذاك في الكفاح العنيف المرير الذي خاضته الخلافة ضد الخزر.

تقع كارتلي (جورزان) شمالي أرمينيا. بعد زوال حكم ملوك كارتلي في القرن 6 م عيّن الفرس مرزبانيين استقروا في تيفليس. يُذكر بطريق جُورزان أثناء حملة حبيب أنه أجرى محادثات مع العرب

. البلاذري، 201.

وبعد احتلال جورزان نهائياً أصبحت جزءاً من ولاية أرمينيا ومركزها تيفليس. يذكر المؤرخون العرب مدينة سوغدابيل في مقاطعة جورزان الواقعة على الضفة الثانية لنهر كور في تيفليس.

. ياقوت الحموي، الجزء 3، 396.

حكم أمراء تيفليس منطقة كارتلي بينما تولى بطارقتها الشؤون الداخلية. كانت علاقات المستوطنين القفقاسيين راسخة مع أرمينيا أيضاً بينهم سنّاريو كاخيتيا والمستوطنون

الآلانيون–الإيرانيون المعروفون جيداً منذ قرون سحيقة في التاريخ قاموا بدور هام في القفقاس. لقد أدّى توحّد المستوطنين الألانيين إلى كفاح عنيف ضد الخلافة، بيزنطة والخزر. وكان الألانيون قد إعتنقوا المسيحية أثناء حكم العرب وكانوا وثيقي الصلة مع كارتلي من جهة وبسرير من طرف آخر. وكان ممر باب اللان (فج داريال) يحتل مكانة هامة عند العرب لأنه المنفذ عبر الجبال القفقاسية وتقع فيه قلعة شادها الفرس أيضاً ووضعت فيها قوات عربية للذود عنها.

. ياقوت، الجزء 1، 350.

Administratsionnaya Politica Arabskovo Khalifata v Armenii, 6-7.

وخلا كارتلي تحصّن العرب في أبخازيا وقتياً.

يتحدث المؤرخون العرب كثيراً حول اللغات المحلية المستخدمة في أرمينيا. ذكر الإصطخري وابن حوقل أن السكان يتكلمون باللغة الأرمنية في دفين، ناخيتشيفان والمناطق المجاورة لهما.

Bibl. Geog. Arab., I, 192.

. ابن حوقل، الجزء 2، 349.

أما المستوطنون في القفقاس فيتحدثون بلغات تفوق الـ 300 لغة من أصل إيبيري–قفقاسي وإيراني.

. المصدر ذاته، 347.

بناء على المؤلفين العرب كانت اللغة الفارسية أكثر استخداماً مقارنة بالعربية التي كانت لغة مساعدة في أرمينيا، شيرفان وآذربيجان في القرن 9–10م. وكان التجار يستخدمون اللغة العربية بشكل عام.

. المصدر نفسه، 348.

لفتت مهمة وجدول الحكام العرب، الذين توالوا على إدارة أرمينيا، انتباه المؤرخين. وكان إنجيجيان من أوائل الباحثين الذين التفتوا إلى هذه الناحية وحاول ج.بيترمان تجهيز جدول حولهم.

J.Injejian, Istoricheskaya Geographia Armenii, II, 223-225.
J.H.Petermann, De Ostikanis arabicis Armeniae gubernatoribus, Berlin 1840, 14-16.

توصل م.غازاريان، ج.لوران، ر.فاسمار وأ.نالبنديان إلى نتائج جدية في دراسة مسألة تجهيز جدول الحكام العرب في أرمينيا بناء على معطيات المؤلفين العرب في المقام الأول والنقود المعدنية المضروبة على وجه الخصوص ثانياً.

M.Ghazarian, Armenien, 193-197.
J.Laurent, L'Armenie entre Byzance et l'Islam, 337-374.
R.Vasmer, Chronologie, 27-28, 42-48, 76-77, 102-194.
A.Nalbandian, Arabskieh Ostikani, 105-106, بالروسية

وكان تعيين الحكام يجري ضمن مراسيم خاصة. ويتولى الخليفة تنصيب المعيّن لمنصب حاكم المقاطعة قبل توجهه إلى مكان عمله. كان يتربع على عرشه ويقف الأشراف على جانبيه. ثم يلج الحاكم الجديد إلى قاعة العرش ويقبّل الأرض عدة مرات ورأسه مغطى بغطاء ثمين مرصّع بأحجار كريمة ويقدم له الخليفة الراية.

إستقبل أشراف أرمينيا الحاكم الجديد باحتفال مهيب في العاصمة دفين (دبيل). هناك حالات عندما استقبله الأشراف عند الحدود الجنوبية للبلاد ورافقوه مع قواتهم المسلحة حتى العاصمة حيث كان يستقبله أمير أرمينيا وقائد الجيش برفقة كتائب الفرسان.

A.Myotch, Mouslimanski Renesance, 122-123, بالروسية

وكان الحاكم الجديد يعين بدوره جميع موظفيه في منطقته.

. الكاثوليكوس هوفهانّس، 38.

كان للحاكم العربي مركزه الدائم في العاصمة الأرمنية دفين يسمى "دار الإمارة" ومركز آخر لاحقاً في مدينة بردعة ويقيم في قلعتها. كشفت التنقيبات الأثرية عن منشآت ولقى عديدة. حوى قصر الحاكم حاجباً، كُتّاباً، سعاة، جلاّدين، موظفين شتى ومحاربين. وكان لدى حاكم أرمينيا هارون الرشيد مُنْ يُعنى برسائله.

. ابن الأثير، الجزء 5، 63.

يؤكد الطبري على وجود "بيت المال" في أرمينيا من المحتمل جداً في العاصمة دفين بالإضافة إلى دار ضرب النقود التي استمرت في عملها حتى القرن 10م.

. الطبري، المجلد 6، 2، 97.

من مهام الحاكم قيادة الجيش وجمع الضرائب. وكان الخليفة يعين حاكمين في بعض الأحيان لتحقيق هاتين المهمتين. ومثالنا على ذلك أن نائب الخليفة فضل بن يحيى البرمكي عيّن أبو صباح في نهاية القرن 8 م حاكماً على أرمينيا بالإضافة إلى جمع الخراج وسعيد بن محمد مسؤولاً للشؤون الحربية.

. اليعقوبي، المجلد 2، 426.

أما الحاكم، الذي توكل إليه هاتين المهمتين، فقد كان يُشار إليه بـ "صاحب الرياستين".

. خاتشاتور موشيغيان، ضرب النقود العباسية، بالأرمنية.

وكان الحاكم لا يستلم هاتين المسؤوليتين مباشرةً. عيّن الخليفة المتوكل يوسف المراوزي حاكماً لأرمينيا ثم أسند إليه لاحقاً مهمة جباية الجزية والخراج.

. اليعقوبي، المجلد 2، 475.

تمركزت حاميات عربية في أرمينيا في دفين، ناخيتشيفان، أرجيش، خلاط (أخلاط) وثيودوسيوبوليس. وكانت هذه القوات مسلحة جيداً لأنها تذود عن الخلافة ضد خطر عدوين كبيرين بيزنطة والخزر. إستخدم العرب أسلحة حربية معقدة في أرمينيا. فأثناء حصار مدينة كاماخ، الواقعة قرب الثغور العربية–البيزنطية أمر العباس بن محمد بوضع المنجنيقات إلا أن البيزنطيين غطوا الأسوار بألواح من الخشب ثم أدخل العرب الدبابات في العملية. كذلك كانت لدى العرب آلات تقذف أوعية تحوي نفطاً مشتعلاً.

. البلاذري، 184.

تؤكد معلومات النقود المعدنية على واجبات نائب الخليفة في أرمينيا في العهد العباسي. تُذكر أسماء نواب الخليفة على عدد كبير من النقود إلى جانب أسماء الحكام. بناء على معلومات النقود تمكنّا من تجهيز الجدول التالي لنواب الخليفة والحكام:

(1) في عهد خُزيمة بن خازم

القاسم

بِشر بن خُزيمة

الحسن بن...

إسماعيل بن إبراهيم

نعيم بن بشار

(2) في عهد أحمد بن يحيى

الحسن بن سعد

بايس بن الهلبسي

(3) في عهد خالد بن يزيد

إبراهيم بن زيد

. خاتشاتور موشيغيان، ضرب النقود العباسية، 86-101، 129-131، 153-161، بالأرمنية.

كان الجباة في ولايات الخلافة يعملون إلى جانب الحكام العرب. تشهد المصادر الأرمنية أن الحاكم العربي لأرمينيا كان الجابي الرئيسي في الوقت ذاته في غالب الأحيان.

. غيفوند، 128.

عين الحاكم في بعض الأحيان موظفين لجباية الضرائب.

M.Ghazarian, Armenien, 56-57.

كان هناك موظف آخر يُعنى بالمراسلات يُدعى "صاحب البريد" وعلى صلة وثيقة بالعاصمة ويرسل آخر المستجدات بشكل مرتب ومتواصل. ففي عهد المعتصم، عندما كان الإقطاعيون والأمراء المحليون يتحملون قسوة الحاكم خالد بن مَزْيَد، تحصنوا في قصورهم وباشروا بتحضير أنفسهم للثورة. فأعلم صاحب البريد في أرمينيا المدعو منصور بن عيسى السباعي الخليفة عن الأحوال فأُزيح خالد عن منصبه مباشرةً.

. اليعقوبي، المجلد 2، 475.

لكن، وعند ظهور خلاف بين الحاكم العربي وأمير أرمينيا، كان صاحب البريد ومعاونوه يدافعون عن مصالح الحاكم. ومثالنا على ذلك أنه عندما بعث أمير أرمينيا تاجات أندزيفاتسي رسائل شكوى إلى الخليفة ضد الحاكم راقب الحاكم العربي جميع الطرق من خلال موظفي البريد فلم يُفلح أمير أرمينبا على التواصل مع عاصمة الخلافة مدة طويلة.

. غيفوند، 160.

خضع أمير أرمينيا، كارتلي، أرّان، تيفليس ومناطق بحر قزوين المجاورة (مع شيرفان في القرن 9 م) ودربنت إلى حاكم أرمينيا الذي كان يحق له تعيين حكام هذه المناطق. خلا ذلك قدم وثائق استحقاق لهذا الأمير أو ذاك باسم الخليفة للتأكيد على حقوقه الإقطاعية الوراثية. ومن المعلوم أيضاً أن الأمويين والعباسيين، على وجه الخصوص، لجأوا إلى جميع العرقلات كي لا تكون ولاية الحاكم وراثية في أسرته. مع ذلك أفلح السُلّميون في عهد العباسيين إدارة الولاية وراثياً في بعض السنوات.

(3) أرمينيا وأمراؤها

إحتلت الخلافة العربية بشكل أساسي المقاطعات الأرمنية التي أصبحت لاحقاً ضمن المملكة الباكراتونية الأرمنية. عند تحدثه حول مملكة الأرمن يشهد الإسطخري أنها كانت تحاذي مدينة بردعة من جهة والجزيرة من طرف آخر وتقع آذربيجان ضمن أراضيها.
Bibl. Geog. Arab., I, 188.

وكانت المناطق التالية ضمن الحدود المذكورة أعلاه: كوكارك، تايْك، قسم من أرمينيا العليا، قسم من أرمينيا الرابعة، توروبيران، موكس، فاسبوراكان خلا أراضي جبلية جنوبية في أغدزنيك وكورجايك.
بناء على شهادة ابن الفقيه كانت أرمينيا تحوي 18,000 قرية. أما أرّان، وعلى ما يبدو المناطق المجاورة لبحر الخزر، فقد كانت لها 4,000 قرية.
Ibid, V, 291.

وبالتالي فمن المحتمل كانت أرمينيا الأصلية تحوي 10,000 قرية كون القرى الباقية تقع في كارتلي.
قُسّمت أرمينيا إدارياً بناء على امتيازات السلالات الإقطاعية. وكانت 4 عائلات أمراء كبيرة تتزعّم البلاد. حكم الباكراتونيون مناطق أيرارات، تاشير وسواهما. أخضع الأمراء

السيونيون المناطق الشمالية–الشرقية من البلاد في سيونيك وأرتساخ (قره باغ–المترجم). حكم الماميكونيانيون وفرع تارون للباكراتونيين مناطق أرمينيا الجنوبية والشرقية. أما الأمراء السيونيون فقد أضحوا حكام فاسبوراكان، موكس، مناطق كورجايك وبارسكاهايك الجبلية (أرمينيا الفارسية).

بناء على المصادر العربية والسريانية كانت أرمينيا مقسّمة إلى أقسام داخلية وخارجية أيضاً.

. ابن حوقل، المجلد 2، 343.

. ديونيسيوس تل محري، 80.

تشكل القسم الداخلي من أرمينيا الشمالية. حصلت أرمينيا العليا على تسمية "أرمينيا الداخلية" Armenia Interior بعد انهيار مملكة الأرشاكونيين الأرمن في أرمينيا. وبعد إصلاحات الإمبراطور جستنيان الأول أُعيد تسميتها بـ "أرمينيا الأولى" Armenia Prima.

. نيكولاي أدونتس، أرمينيا، 46–65، بالأرمنية.

سُميت مقاطعة أيرارات مع مناطق أخرى "أرمينيا الداخلية" في نهاية القرن 6 م وأثناء حكم الإمبراطور البيزنطي موريس.

جُزئت أرمينيا إلى عدة عشرات الوحدات الجغرافية الصغيرة، كانتونات. أكد ابن الفقيه على تقسيم أرمينيا إلى "113 مملكة يحكمها إقطاعيون".

Bibl. Geog. Arab., V, 291.

كانت مقاطعة أيرارات تقع في وسط أرمينيا وعلى علاقة وثيقة مع مقاطعة تاشير. وكانت دفين المدينة الرئيسية لأيرارات وعاصمة أرمينيا بالإضافة إلى أهم قلعتين داريونك وأرتاكيرس. وكانت تاشير ناحية في إحدى مناطق كوكارك الشمالية. شكلت تاشير مع

دزورابور حدود أرمينيا الشمالية في القرن 7 م والحقبة العربية بين القرنين 7–9 م. وكانت Odzoun مركز تاشير في القرون الوسطى المبكّرة.

خدمت تايك ملجأً للفارين الأرمن طوال فترة الإحتلال العربي أثناء الثورات على وجه الخصوص وبعض الأحوال السياسية. وكانت المنطقة تدخل رسمياً في أرمينيا ولكنها لم تخضع عملياً للعرب.

شكلت سيونيك وأرتساخ (قره باغ) مجموعة واحدة على الطرف الشمالي–الشرقي من أرمينيا وكانت عبارة عن مقاطعتين جبليتين ومركزين حيويين لمقاومة الخلافة. وكانت شاغات مركز الأمراء السيونيين حتى القرن 9 م. ومن قلاعها الهامة باغابرد، شاهابونك وYerenjak. وبعد تقسيم مملكة الأرشاكونيين الأرمنية وسقوطها سُلخت أرتساخ وOutik من أرمينيا عنوةً وأُلحقت إلى ألبانيا. لكن أرتساخ توحدت مع أرمينيا بسرعة وكانت كتيش قلعة مهمة فيها في هذه السنوات.

كانت منطقة فاسبوراكان تقع في مجموعة مناطق أرمينيا الجنوبية–الشرقية وعلى علاقة وثيقة مع منطقة موكس Moks وبعض مناطق كورجايك الأخرى مثل جاهوك وOrsirank. وكانت لمدينتي Ostan وفان أهمية إدارية ضمن هذه المجموعة.

كانت توروبيران (تارون) المنطقة الرئيسية في أراضي أرمينيا الجنوبية–الغربية وتحيط ببحيرة فان من طرفيها الشمالي والغربي. سُميت البحيرة باسم إحدى نواحي تارون بـ "بحر بزنونياتس". كذلك كانت لمدينتي خلاط (أخلاط) وموش أهمية إدارية. وكانت توروبيران تمتاز ببعض الإستقلال الإداري في النصف الأول من القرن 9 م لأنها كانت تُذكر في أحد جداول الضرائب لوحدها.

Bibl. Geogr. Arab., VI, 249.

ش. شيليبجيان، سياسة الخلافة الإدارية، 8.

وكانت أغدزنيك تقع جنوبي توروبيران ضمن منطقة الجزيرة إلا أن منطقتيها الجبليتين ساناسونيك وسالنو دزور أضحت ضمن أراضي أرمينيا في عهد العباسيين. خلا ذلك أكد

بعض الجغرافيين العرب على أن جميع مناطق أغدزنيك (دياربكر) تقع ضمن حدود أرمينيا.

. ابن حوقل، المجلد 2، 344.

كذلك تُنسب أرمينيا الرابعة Tsobk وأرمينيا العليا (كارين) إلى مجموعة مناطق أرمينيا الجنوبية–الغربية. سمى العرب جميع هذه المناطق "أرمينيا الرابعة" وكانت تحوز على أهمية أستراتيجية كبيرة.

ففي الحقيقة اعتبر العرب كامل مساحة أرمينيا مناطق حدودية (ثغور). ومن الشيّق أيضاً أن البلاذري يستخدم كلمة "ثغر" في غالبية الأحيان عوضاً عن "أرمينيا".

. البلاذري، 204–207.

رغم كل ذلك كانت مدينتا أرمينيا الرابعة ثيودوسيوبوليس وشميشاط الموقعين الرئيسيين الإستراتيجيين ضد بيزنطة. وكانت مقاطعة أرمينيا الرابعة العربية تحتل مساحة واسعة وتقع على الأطراف الشمالية–الغربية من بحيرة فان تقريباً. يذكر المؤرخون والجغرافيون العرب المدن التالية ضمن أرمينيا الرابعة: شميشاط، أخلاط (خلاط)، قاليقلا (ثيودوسيوبوليس)، أرجيش وباجونايس (أباهونيس).

Bibl. Geogr. Arab., VI, 122.

إلا أن البلاذري يشهد بأن شميشاط لوحدها كانت تقع ضمن أرمينيا الرابعة.

. البلاذري، 194.

شهادة البلاذري ليست بدون أساس لأنه من جميع المناطق المحيطة بأرمينيا الرابعة كانت ناحيتا بالاهوفيت وهاشتيانك، الواقعتين حول شميشاط، تدخلان في أرمينيا الرابعة العربية.

وتُعتبر هذه الشهادة الثمينة دليلاً على العلاقة المباشرة بين أرمينيا الرابعة البيزنطية وأرمينيا الرابعة العربية.

سدّت ثيودوسيوبوليس الدرب أمام اجتياح بيزنطة وادي نهر آراكس (الرسّ). يشهد ابن حوقل أن قاليقلا (ثيودوسيوبوليس) كانت ثغراً بارزاً ليس لأرمينيا فحسب، بل لآذربيجان، جَبَالا، الرَيّ وسواها من مقاطعات الخلافة.

. ابن حوقل، المجلد 2، 343.

دافعت شميشاط عن وادي أراتزاني (أرسانياس) أمام الهجمات من الغرب. وكانت مدينتا دجاباغنتشور وبالو المحصنتان تقعان في هذه المنطقة أيضاً. تمتعت المنطقة حول شميشاط ببعض الاستقلال العسكري-الإداري. فعند حديثه حول بوغا يشهد البلاذري أنه كان حاكم أرمينيا، آذربيجان وشميشاط. وكان محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عَمْر الأنصاري حاكماً قبله سنة 177هـ=793-794م فقام بحملة على كاماخ ضد البيزنطيين.

. البلاذري، 185.

وكانت أرمينيا كوحدة إدارية تتشكل من مقاطعات أرمينيا الأصلية في العهد العربي. لذلك فمن الملائم الاستشهاد بقائمة كشف مقتضبة للهجات الأرمنية في بحث الأديب الأرمني من القرن 8 م أستيبانوس سيونيتسي. فخلا اللهجات الرئيسية المركزية فقد ذكر لهجات كورجايك (جنوبي أرمينيا)، تايك، خوت (صاصون)، أرمينيا الرابعة، Spera، سيونيك، قره باغ.

Nicolay Adontz, Denys de Thrace, Lauvain 1970, 187.

ونستنتج أن قائمة هذه اللهجات تشير بجلاء إلى حدود أرمينيا الإثنية. مع ذلك عاشت قوميات أخرى في أرمينيا كالسريان، العرب، الفرس واليهود خلا السكان الأرمن المحليين.

لم تكن لدى الباحثين تصور حول واجبات أمير أرمينيا طوال قرني 8–9 م. خلط بيترمان وسان لوران بين أمير أرمينيا وحاكمها العربي.

St.Martink I, 416-418.

بينما فرّق م.غازاريان بين الواحد والآخر ولكنه بدوره لم يقدم لنا تصوراً جلياً حول دور أمير أرمينيا في منظومة الحكم. ولدى ج.لورات تصوّر واضح نسبياً رغم عدم اكتمال دراسة هذه الناحية.

M.Ghazariank Armenien, 55-60.
J.Laurent, L'Armenie rntre Byzance et l'Islam, 79-81.

لم تكن مهمة أمير أرمينيا وراثية. وكان يحق لنائب الخليفة في أرمينيا تعيين أحد الأمراء الإقطاعيين الباكراتونيين أميراً للبلاد حسب رأيه. عُين 11 أميراً لأرمينيا من عائلة الباكراتونيين طوال الاحتلال العربي لأرمينيا 701–862م خلا أميرين. وكان موشيغ ماميكونيان أحدهما الذي لم يعينه العباسيون. وكان الآخر تاجات أندزيفاتسي الذي عُين بوساطة ولي العهد هارون الرشيد الخاصة. وكان جميع الباقين من الباكراتونيين توارثوا الحكم بدءاً من الأمير آشوت مساكير حتى نهاية القرن 8 م.

جرت مراسيم خاصة أثناء تعيين الأمير الجديد. ومن المؤسف ليست هناك تفصيلات حول طبيعة جريان هذه المراسيم خلا المؤرخ طوماس أرتزروني الذي قدّم بعض الصفحات الشيقة حول تسمية الحاكم الجديد لمقاطعة فاسبوراكان. يؤكد باحثون عديدون على أن أمير أرمينيا حصل على تاج الحكم سماه ابن الأثير "تاج البطركة". وضع ممثل الخليفة على رأس الأمير تاج البطركة، ألبسه رداء الإمارة ، قدّم له زينة مرصعة بأحجار كريمة ولقب "بطريق البطارقة" (أمير الأمراء). أما المصادر العربية فتسميه "بطريق" فقط عوضاً عن "بطريق الأرمن". كذلك تستخدم تعبيراً آخر وتحديداً "صاحب الأرمن" . وكان يُدعى "ملك الأرمن" وألقاب أخرى في عهد قيام مملكة الباكراتونيين مثل "بطريق جُرزان" في كارتلي و"بطريق الرّان" في آران.

. ف.مينورسكي، تاريخ شيرفان، 5، بالعربية.

. ابن حوقل، الجزء 2، 343.

. البلاذري، 201.

سُمي أمير أرمينيا في حولية ديونيسيوس تل محري بـ "بطريق أرمينيا الكبرى".

. ديونيسيوس تل محري، 148.

أما في مدوّنات كارتلي (كارتليس تسوخفريبا) فيُستخدم تعبير "إريستافي" (أمير أرمينيا).
Histoire de la Georgie, I, 267.

رغم كون مدينة دفين (دبيل) عاصمة أرمينيا إلا أنها لم تكن المركز الدائم لأمير أرمينيا. وخير مثال على ذلك أن الباكراتونيين اختاروا مدينة داريونك المحصنة، الواقعة في مقاطعة كوغوفيت، وحولوها إلى عاصمة أرمينيا. وعندما اشترى آشوت مساكير ناحية أرشارونيك من الكامساراكانيين نقل مركزه في داريونك إلى باكاران التي أضحت مسكن حاكم أرمينيا وتحولت لاحقاً في عام 884م إلى مسكن سلالة الملوك الباكراتونيين.

خضع أمير أرمينيا لحاكم أرمينيا العربي، الذي كان في الحقيقة نائب الخليفة، في المقاطعات الشمالية للخلافة. لكن، وعندما كانت العلاقات تتأزم بينهما، كان أمير أرمينيا يشكوه للخليفة. وبدورهم كان جميع أمراء أرمينيا يخضعون لأمير البلاد لأنه كان همزة الوصل والوسيط بينهم وبين الحاكم. وكان أمير أرمينيا يشترك في حروب الخلافة مع قواده متحمّلاً في بعض الأحيان مهمة قائد الجيش. كذلك كان يراقب نشاط جباة الضرائب فحدثت خصامات عديدة مع هؤلاء الموظفين العرب لأنهم كانوا يجبونها بعيداً عن إرادته. كذلك كانت سلطته تمتد على الكنيسة والكاثوليكوس أيضاً.

. الكاثوليكوس هوفهانّس، 143-148.

صعد بأس أمير أرمينيا في النصف الأول من القرن 9 م عندما منح الخليفة باكارات باكراتوني لقب "بطريق البطارقة" بالإضافة إلى سلطة حقيقية على كامل مساحة أرمينيا.
Theophanus Continuatus, II, 127.

ومن النواحي الهامة التي تُذكر أن حاكم أرمينيا يوسف تظاهر بأنه سيبتعد عن أرمينيا عام 851م وتنازل كتابياً لباكارات عن مهمته كحاكم.

. طوماس ، 118.

M.Ghazarian, Armenien, 46, 59.

وكان لدى أمراء أرمينيا سكرتيريون–كهنة (رهبان) يلمّون جيداً باللغتين العربية واليونانية ويقومون بالترجمة إلى الأرمنية عن العربية.

. ن.أكينيان، ثيودور أبو قرّة ونانا السرياني، دراسات فلسفية، الجزء 1، 1954.

وكان لأمير أرمينيا خاتَمه باللغة العربية. ومثالنا على ذلك الأمير آشوت باكراتوني 855–862م.

V.A.Kratchkovskaya, Petchat Bagratidov Ashota, Kratkoe Soobshenieh, Inst. Mat. Kylt. Vipousk XII, Maskva-Leningrad 1946, 112-117.

كان مجلس أمراء أرمينيا ينشط في عهد الاحتلال العربي إلا أنه كان ثانوياً من حيث الأهمية. وكان الأمراء الأرمن يجتمعون أثناء الثورات بشكل خاص. إجتمع هؤلاء عام 703م عند الأمير سمبات باكراتوني ومرة ثانية سنة 747–750م في داريونْك لأخذ قرار بالثورة ضد العرب. ورغم معارضته الاشتراك في الثورة ضد الخلافة خضع أمير أرمينيا آشوت لإرادة الأمراء الإقطاعيين المجتمعين. خضع قائد القوات الأرمنية، جميع الأمراء الإقطاعيين الكبار: الباكراتونيون، الماميكونيانيون، السيونيون ومنطقة قره باغ إلى أمير

أرمينيا. وكان حكام الكانتونات الإقطاعيون الصغار يُدعون "عميل"، زعيم كانتون عند المؤرخين الأرمن. أما حكام المدن فقد كانوا يُسمَّون زعيم المدينة.

. طوماس ، 134، 203، 209، 225.

H.Thoptschian, Die Inneren Zustände, 26.

كانت الكنيسة الأرمنية تقوم بدور مهم في إدارة البلاد وحياة أرمينيا السياسية.

J.Laurent, L'Armenie rntre Byzance et l'Islam, 138.

إلى جانب الأمير كان لكاثوليكوس أرمينيا الكبرى مكانة متنفذة في البلاد ويعود إلى الخليفة شخصياً في بعض الأحيان لحل مسائل شتى كوسيط بين الأمراء الأرمن وبينه. هكذا فعل يغيا أرجيشيتسي، هوفهانّس Odznetsi وسواهما. لم يتبوأ كاثوليكوس أرمينيا مكانة سامية في أرمينيا فحسب، بل في جميع مقاطعات ولاية أرمينيا العربية أيضاً وكانت سلطته تمتد حتى على كنيسة أغفانك (أرّان). وكانت للكاثوليكوس رايته تحوي صليباً وتُحمل أمامه عند تطوافه في المدينة. ومن الأمور الشيقة أن حاكم أرمينيا عيسى بن الشيخ أهدى الكاثوليكوس زاكاريا راية مماثلة مع صليب.

. مخيتار أيريفانيتسي، 55.

خلا ذلك كان الكاثوليكوس والمطارنة يملكون أختامهم الخاصة عليها رسم صليب كُشف عن بعض منها أثناء تنقيبات العاصمة القديمة دفين (دبيل) وعلى الفرامانات.

كانت المسائل الحقوقية والقضائية محصورة بيد الكنيسة الأرمنية في الأساس ولم يكن ذلك صدفة. ومن الشيق التذكير أن "كتاب القوانين" جُهّز قبل ظهور مبادئ الشريعة الإسلامية من قبل المشرعين المسلمين مالك بن أنس، أبو حنيفة، الشافعي وابن حنبل. سمح تطوّر الحقوق القانونية للأرمن في إمكانية الحفاظ على استقلالهم في مجال الحقوق. فصعد دور الكنيسة أكثر في ظروف التشظّي الإقطاعي للمؤسسة الكنسية المدافعة عن فكرة وحدة

أرمينيا. وبناء على تعبير ج.لوران "كانت الكنيسة الأرمنية تؤمّن "الوحدة القومية" للمقاطعات الأرمنية في ظروف الأنانية الإنفصالية عند الأمراء".
J.Laurent, L'Armenie rntre Byzance et l'Islam, 129-130.

كانت مؤسسة القائد العام للقوات العسكرية أهم حلقة في حياة أرمينيا السياسية القروسطية رغم محاولات الخلفاء العرب الحد من سلطتها. عُهدت مهمة القائد العام إلى أمير أرمينيا في بعض الأحيان في عهد الاحتلال العربي رغبة من الخلفاء في رؤية حاكم مدني واحد في أرمينيا. وكان هذا المنصب وراثياً في عائلة الأمراء الماميكونيانيين في النصف الأول من القرن 8 م إلا أن الباكراتونيين أفلحوا في احتلاله وتوارثوه أثناء النصف الثاني من القرن 8 م. وكانت كتائب الفرسان تشكل جوهر القوات المسلحة الأرمنية ووصل عدد أفرادها إلى 15,000 فارس. حصلت هذه القوات على مرتيات بدءاً من السنوات الأولى للقرن 8 م لذلك دخلت في غالبية الأحيان في جدول نفقات الخلافة.
. غيفوند، 33.

وكان لدى الحكام المتنفذين 1,000 فارساً أو أكثر ولدى آخرين 500 فارساً. أما الأمراء الإقطاعيون الأصغر فقد كان عدد فرسانهم أقل. وصل المبلغ الإجمالي لمرتبات قوات الفرسان إلى 100,000 درهماً فضياً سنوياً كانت الخلافة تقدمه عادةً.
. المصدر نفسه، 133.

قدمت الخلافة لهذه القوات الأسلحة والعتاد أيضاً.
إتجه الأمير أرتافازد ماميكونيان سنة 774م إلى العاصمة دفين (دبيل) و"أمّن أسلحة وعتاداً حربياً وخوذات وسواها ثم اتجه إلى كومايري".
. المصدر ذاته، 138.

وكان الأمويون والعباسيون لا يرغبون في دفع مرتبات قوات فرسان أرمينيا في غالبية الأحيان رغم عدم رفض هذه القوات الاشتراك في حروب الخلافة العربية ضد بيزنطة والخزر. أكره العباسيون دائماً تقريباً أمراء أرمينيا على تأمين نفقات الفرسان بوسائلهم الخاصة.

. المصدر نفسه.

ففي الحقيقة قام الأمراء الأرمن بهذه المهمة دائماً لأن دعم الخلافة كان شكلياً. بناء على معلومات الباحثين العرب حصل الفرسان في أول عهد العباسيين على مبالغ كبيرة مقارنةً بالفرسان الأرمن الذين كانت مرتباتهم تعيسة قياساً للجزية والضرائب الكبيرة المفروضة على أرمينيا.

هناك بعض الشهادات الشيقة لدى المؤلفين الأرمن حول التكنولوجيا الحديثة في أرمينيا في هذا الوقت. هاجم الثوار الأرمن مدينة ثيودوسيوبوليس سنة 774–775م و"أحاطوا خندقها، شيدوا أبراجاً، سببوا شقوقاً في سور المدينة بالآت رمي الحجارة وضربوا السكان طوال الشتاء لكنهم لم يتوصلوا إلى نتائج رغم قذف أحجار عديدة بواسطة هذه الآلات".

. غيفوند، الترجمة الروسية، 99.

هناك معلومات شيقة لدى المؤرخ الأرمني طوماس عن قلعة Nikan الأرمنية المطوّقة. إستخدم العرب أوعية زجاجية خاصة مملوءة بالنفط والكبريت (على نموذج "النار اليونانية") ورموها على القلعة بمساعدة آلات خاصة. وكان المدافعون يرتدون في المقابل ثياباً صوفية خاصة لا تحترق.

. طوماس ، 131–132.

كانت لكتائب النبّالين في القوات الأرمنية أهمية خاصة. تذكر المصادر كذلك حاملي الرماح، التروس، الدروع، الهراوات والفؤوس الكبيرة. أما في المناطق الجبلية من أرمينيا

مثل صاصون وخوت فقد كان المحاربون الأرمن يستخدمون الزحّافات الخشبية بتثبيتها تحت أقدامهم ويسيرون على طبقة الجليد والثلوج نزولاً من سفح الجبل.

الفصل السابع

الأوضاع الإقتصادية، العلاقات الإجتماعية والثقافية

(1) العلاقات الزراعية

أدخلت الخلافة بعض التغييرات في العلاقات الزراعية للبلدان الشرقية. وكانت إيران، أرمينيا، مقاطعات بيزنطة الشرقية وتحديداً سوريا، مصر وسواهما في المرحلة الإقطاعية المبكرة قبل قيام الخلافة العربية. ومن المعلوم أن الفاتحين العرب كانوا متخلفين مقارنة بجميع هؤلاء. ورغم الأضرار التي ألحقتها الخلافة العربية إلى تلك البلدان لكن لم يكن ضمن استطاعتها وقف وتيرة تطور العلاقات الإقطاعية في نهاية المطاف.

تطورت العلاقات الزراعية والاجتماعية ضمن ظروفها الطبيعية في عهد الخلفاء الراشدين 632–661م وأول الخلفاء الأمويين حتى نهاية القرن 7 م. وكان المحاربون العرب مشغولين في هذه الفترة بفرض الجزية بشكل خاص. ظل قسم من الأراضي تحت حكم الإقطاعيين المحليين ورجال الدين وسواهم من أصحاب الأراضي الذين أُكرهوا على دفع الجزية لبيت المال. وبفضل هيمنة الإمبراطور البيزنطي على أراضي سوريا والشاهنشاه الساساني على بلاد ما بين النهرين وإيران وكذلك أراضي الإقطاعيين الكبار، الذين سقطوا في المعارك أو الفارين من مقاطعاتهم، أضحت من الأملاك العامة للمسلمين فحصلت خزينة الخلاقة وبيوت المال المناطقية على مبالغ هائلة ومُنحت لنواب الخليفة، القادة العسكريين وزعماء العشائر. إستولت الأرستقراطية العشائرية العربية على غنائم وأسرى محاربين ومن السكان المسالمين وحوّلتهم إلى عبيد. لم يكن دور العبيد قليلاً قي الإنتاج العام.

إستخدم أول الخلفاء الأمويين معاوية والأرستقراطية العربية العشائرية والحكام الآخرون، الذين كانوا يملكون مساحات شاسعة من الأراشي في سوريا، عشرات آلاف الأسرى العبيد في الأعمال الزراعية.

Ph.Hitti, History of the Arabs, 235-236.

عقّدت جميع هذه النواحي وتيرة التطور الإقتصادي والإجتماعي في الشرق إلى حد أخّرت وقتياً التطور الطبيعي للمجتمع الإقطاعي المبكّر. تطورت البلدان المحتلة ببطء شديد حتى نهاية عهد الأمويين بدءاً من توقف التجارة وفرملة تطور المدن. مع ذلك لم يكن باستطاعة العرب إيقاف وتيرة التطور الإقطاعي في إيران، أرمينيا، بلاد ما بين النهرين، سوريا ومصر. ويُلاحظ في القرن الأول من حكم الخلافة العباسية تطوراً في الحياة الإقطاعية وظهور علاقات اجتماعية جديدة.

Istoria Stran Zaroubezhnoi Azii v Sredniyeh Veka, 147, بالروسية

صاحبت الفتوحات العربية وحكم الأمويين وأول الخلفاء العباسيين إعادة توزيع الثروة في جميع أراضي الخلافة. إلا أن هذه الظاهرة عبّرت عن نفسها بأشكال شتى في هذه البلدان المحتلة. فرغم استيلاء العرب على أراضي واسعة في إيران إلا أن إقطاعييها وأشرافها أفلحوا في الاحتفاظ بمساحات مهمة من أراضي البلاد بين أيديهم. لم يتمتع الإقطاعيون النبلاء في بلاد ما بين النهرين، سوريا ومصر بالسيادة في الحياة الإقتصادية لهذه البلدان. ومثالنا على ذلك أن معاوية صادر جميع ممتلكات "الملوك" وحوّلها إلى أراضٍ حكومية عامة ووزعها بين أفراد أسرته بعد أن تربع على عرش الخلافة.

. اليعقوبي، الجزء 2، 233-234.

كذلك أمر بتقديم أراضٍ للمستوطنين العرب في الجزيرة الذين كانوا ينتمون إلى قبيلة قيس بشكل أساسي عندما كان حاكم سوريا قبل ذلك.

. البلاذري، 177-178.

لم يجلب المحتلون العرب إلى أرمينيا نظاماً اجتماعياً جديداً لأن وتيرة تطور النظام

الإقطاعي في البلاد، التي بدأت تظهر في عهد الملوك الأرشاكونيين الأرمن 66–428م، إستمرت في تقدمها رغم بطئها الشديد.

بعد احتلالهم لأرمينيا لم يُفلح العرب في مصادرة أملاك الإقطاعيين الأرمن في بداية الأمر. فجهّز الحاكم العربي الأول لأرمينيا في بدايات القرن 8 م مخططاً لإفناء إقطاعيي أرمينيا ومصادرة أطيانهم إلا أن ثورة عام 703م وموقع الهضبة الأرمنية الإستراتيجي حال دون تحقيق العرب لنيتهم المبيّتة فترددوا في مصادرة أراضي الثوار والفارين إلى بيزنطة. قام حاكم أرمينيا عمر بن عبد العزيز (خليفة فيما بعد–المترجم) بدعوة الأمراء الإقطاعيين الأرمن بالعودة متعهداً بإعادة أطيانهم إليهم قبل أي شيء آخر. مع ذلك إستولى العرب على أراضٍ في أرمينيا رغم مساحاتها المحدودة بينما كانت مساحاتها واسعة في آذربيجان المجاورة (في إيران–المترجم) كذلك في منطقة الجزيرة. ومثالنا على ذلك أن فاتح أرمينيا محمد بن مروان صادر بحيرة فان ومنع الصيادين الأرمن من السكان المحليين من الصيد فيها وعيّن مراقبين وكان يتوجب عليهما جمع سمك التِرّيخ وإرساله إلى دمشق. إنتقلت مُلكية البحيرة إلى ابنه مروان من بعده ثم إلى العباسيين.

. ابن الأثير، الجزء 4، 28.

Istoria Stran Zaroubezhnoi Azii v Sredniyeh Veka, 138, بالروسية

وكان العرب يصادرون أراضي االثائرين ضد الخلافة أو الفارين إلى بيزنطة في بعض الأحيان فوصلت الحال إلى حد سلب الحكام العرب لأوقاف الكنيسة الأرمنية. وخير مثال على ذلك أن حاكم أرمينيا خُزيمة بن خازم إغتصب ثلاث قرى: أرتاشات، كافاكيرت، هوروموتس–مارك ومزارعها من كاثوليكوسية دفين (دبيل). لكن، وبفضل كفاحه العنيد، أفلح الكاثوليكوس في تحرير قريتي كافاكيرت وهروموتس–مارك منه.

طبق العباسيون سياسة مصادرة الأراضي بعد ثورة عام 774–775م الأرمنية على وجه الخصوص فأفلس عدد كبير من الإقطاعيين الأرمن بعد منح العرب قسماً مهماً من هذه

الأراضي لمقاتليهم.

كانت مناجم أرمينيا في متناول يد المحتلين العرب. بناء على شهادة ديونيسيوس تل محري. وكانت مناجم الفضة والنحاس والحديد تقع في أرمينيا الرابعة حيث عمل عدد كبير من الفلاحين تحت إشراف موظف معين.

. ديونيسيوس تل محري، 172-175.

إستغل الحكام العرب كل سانحة مناسبة لسرقة أملاك بعض الإقطاعيين الأرمن. تعهد الخليفة أثناء ثورة 850-852م لمحاربيه بتقديم أراضٍ جديدة لهم في أرمينيا.

. ، 125.

خلا ذلك، وأثناء تطويق قلعة Nkan، أُكره الأمير آشوت على عرض قرىً ومزارع على بوغا كي يرفع الحصار عنها.

. المصدر ذاته، 133.

وكانت الأراضي الحكومية تشكل العمود الفقري للإقطاعية الشرقية في المقاطعات المركزية للخلافة العباسية لوجود منظومة ري واسعة جداً في العراق كما في مصر. أما مقاطعات أخرى مثل إيران، وخاصة أرمينيا، فقد كانت هناك أراضٍ مملوكة من قبل إقطاعيي البلدين إلى جانب الأراضي الحكومية سماها العرب بـ "مُلك" وكانت تدخل فيها الأراضي الموروثة التابعة للإقطاعيين الأرمن.

W.Hefening, Waqf, Shorter Encyclopedia of Islam, 624-628.
J.Laurent, L'Armenie, 40-41.

كان هناك صنف من الوقف أيضاً تابع للهيئات الإسلامية الدينية والخيرية لا يُسمح ببيعه أو إهدائه. وكان هذا الصنف من الأراضي في أرمينيا تحت إشراف الكنيسة.

. أبو يوسف، 32.

إنتشر نوع من المُلك الإقطاعي المشروط على نطاق واسع أثناء حكم العباسيين يُدعى "العِقْدَة". مُنحت الأراضي المشروطة الحكومية في القرنين 8–9 م لموظفي الدولة أثناء الخدمة أو لقاء خراج طوال العمر أو ضرائب أخرى.
حوّل العباسيون الأراضي، التي اغتصبوها من الإقطاعيين الأرمن الثائرين ضدهم، إلى المستوطنين العرب. مثالنا على ذلك تقديم أراضي الأمراء الأرمن الكنونيين لمستوطنين من بني عثمان وأراضي الأمراء الأباهونيين للمستوطنين القيسيين وإلخ. إلا أن هذه الأراضي أصبحت مع الوقت من صنف المشروطة وسُميت بـ "القطيعة". قدّمت الدولة قطعاً غير كبيرة من الأراضي للمقاتلين مع فلاحيها الذين يعملون عليها للاستفادة منها طوال استمرارهم في خدمة الجيش.

Istoria Stran Zaroubezhnoy Azii v Srednieh Vaka, 141-142, بالروسية.

كذلك حصل المستوطنون العرب على إقطاعات واسعة في منطقة كارين حول مدينة ثيودوسيوبوليس (قاليقلا بالعربية–المترجم). بناء على شهادة البلاذري وطّن حبيب باكراً في القرن 7 م 2,000 مقاتلاً عربياً في قاليقلا.

. البلاذري، 197–198، 219.

V.Minorsky, Istoria Shirvana, 3-4, بالروسية

هكذا كانت أراضي القيسيين بشكل عام في نهايات القرن 8 م وبدايات القرن 9 م التي تحولت مع ذلك إلى أراضٍ وراثية في النصف الأول من القرن 9 م.
كانت في أرمينيا أراضٍ طائفية أيضاً تدخل ضمن الأراضي الحكومية حسب تصنيف الخلافة.
جرت تغييرات جذرية في الحياة الإقتصادية والعلاقات الإجتماعية في القرن 8 م والنصف الأول من القرن 9 م في أرمينيا والشرق بشكل عام كذلك في آسيا الصغرى في المقاطعات الأرمنية ضمن الإمبراطورية البيزنطية. إلا أن الاجتياحات العربية المستمرة

أضحت مدمّرة لوتيرة هذه التغييرات. وتكمن المسألة أنه ظهرت صعوبات جدية في إعادة بناء أساسات الإقتصاد الإنتاجي بسبب فرار العبيد وأصحاب الأراضي غير المستقلين أثناء هذه السنوات المظلمة ولم يكن بوسع الحكومة البيزنطية عرقلة ذلك. كذلك جرت تغييرات في طبقة الحكام فتركت بصماتها المباشرة على المنتجين في الأرياف ولم تُزال العبودية.

Istoria Vizantii, II, 17-23, بالروسية

وكان الفلاحون يشكلون غالبية السكان ويخضعون للدولة مباشرةً ويدفعون لها الضرائب. ونتيجة ضعف أجهزة الدولة في القرن 7 م خفت وطأة نير الضرائب. ومع ذلك فإن انكماش مبلغ الضرائب لم يأتِ بفائدة مذكورة لطبقة الفلاحين في آسيا الصغرى لأن الأوضاع السياسية غير المستقرة والاجتياحات العربية المستمرة هدمت اقتصاد الريف. إرتفعت مبالغ الضرائب في القرن 8 م إلى حد أصبح الفلاحون في حال صعبة جداً فأدّت هذه التغييرات إلى تعميق العلاقات الإقطاعية التي أضحت جليةً أثناء النصف الثاني من القرن 9 م والقرن 10 م على وجه الخصوص.

. المصدر نفسه، 115–172.

(2) السلالات الإقطاعية في أرمينيا وحكمها الوراثي

درس ج.لوران حكم الأمراء الإقطاعيين في أرمينيا في عهد الخلافة.

J.Laurent, L'Armenie rntre Byzance et l'Islam, 83-128.

لكن من الضرورة بمكان ليس تحديد الحكم الإقطاعي فحسب، بل أيضاً الإشارة إلى التغييرات التي تعرض له مقارنة بالفترات السالفة وتقرير تشكيلة السلالات الإقطاعية. تبدلت صورة الحكم الإقطاعي في أرمينيا جذرياً في النصف الثاني من القرن 8 م. ورغم

عدم وجود جداول كاملة تحت تصرفنا للعائلات الإقطاعية في أرمينيا أثناء الحكم الأموي لكن هناك بعض المعطيات تسمح لنا بالاستنتاج أن السلالات الكبيرة، والوسطى على وجه الخصوص في القرن 7 م، حافظت على وجودها بدون أي تغيير يُذكر تقريباً في منتصف القرن 8 م. ذكر المؤرخ الأرمني غيفوند السلالات الإقطاعية التالية: الماميكونيانيين، الباكراتونيين، السيونيين، الكامساراكانيين، الأماتونيين، الرشتونيين، الأندزيفاتسيين، والترونيين. كذلك اشترك في اجتماع بردعة الكنسي عام 768م الإقطاعيون الآتية أسماؤهم: ساهاك باكراتوني، أترنيرسيه سيوني، سمبات باكراتوني، ميروجان، فاهرام خورخوروني، أرتافازد حاكم آشوتس، فاهان حاكم فاناند وساهاك حاكم كوغتن.

. كانوناكيرك (كتاب قوانين الأرمن-المترجم)، الجزء 2، 5-6.

هناك سلالات عديدة أخرى من الأمراء الأرمن في هذين الجدولين. جاء ذكرها حتى في جداول القرن 9 م. ومن الملائم في هذا السياق جلب جداول مقارنة لجميع سلالات الأمراء الذين جاء ذكرهم في مؤلَّف سيبيوس التاريخي في القرن 7 م.

الماميكونيانيون	الديماكسيانيون	الشيراكاتسيون
الباكراتونيون	الباسيناتسيون	الكاييتسيون
السيونيون	البينونيون	السباندونيون
السيونيون	الكنتونيون	السباراتسيون
الرشتونيون	الداراناغيون	الفاراجنونيون
الأماتونيون	الساهارونيون	الكوغتانتسيون
الخورخورونيون	الترباتونيون	الموكاتسيون
الكنونيون	الكارناتسيون	الفاناندانسيون
الأباهونيون	المانانغيون	الداشتاكارانتسيون
الأريفيليانيون	الأبراهاميانيون	أمراء أرمينيا الرابعة

لكننا نجد صورة مغايرة في المؤلفات التاريخية التي تعود إلى أوائل القرن 10م أثناء سرد أحداث القرن 9 م لسلالات الإقطاعيين. نجد في تاريخ الكاثوليكوس هوفهانّس العائلات التالية:

. في أرمينيا الشمالية الباكراتونيون في شيراك، أرشارونيك وتارون. السيونيون في سيساكان، الهايكازونيون في سيونيك. الماميكونيانيون، الأماتونيون، الأندزيفاتسيون، الكنونيون، أمراء خاتشين، الموكاتسيون، الفانانديون، الأباهونيون، الكوكاريون وسواهم.

يُكمل المؤرخ طوماس هذه الأدلة ويذكر بشكل رئيسي إقطاعيي أرمينيا الجنوبية في فاسبوراكان على وجه الخصوص. فخلا الباكراتونيين، السيونيين، الماميكونيانيين يذكر السلالات التالية:

السيونيون	الكازريكيانيون	الأبيغيانيون
الكنونيون	الفاهيفونيون	الفارازخيون
الأماتونيون	الأندزيفاتسيون	الهافنونيون
الفاراجنونيون	الكونداساغاريون	الأباهونيون

وسواهم العديدون.

.كوماس أرتزروني، 109.

عند مقارنة جداول القرنين 7 م و9 م يظهر جلياً أن الأمراء الإقطاعيين الأرمن تغيروا. وكان الماميكونيانيون الإقطاعيين الأكبر في أرمينيا الذين فقدوا حتى النصف الأول من القرن 8 م القسم الأعظم من إقطاعاتهم واستحالوا إقطاعيين من الدرجة الثانية ولم تبقَ في حوزتهم من تلك الأراضي الشاسعة في القرن 9 م سوى منطقة باكريفاند في وسط أرمينيا. من جهة أخرى توسعت أراضي الباكراتونيين بسرعة. فخلا أطيانهم الوراثية في Sper، التي ظلت في القسم البيزنطي من أرمينيا، حكم الباكراتونيون في القسم العربي على مقاطعة كوغوفيت فقط في النصف الأول من القرن 8 م. وخلال مدة لا تتعدى قرناً واحداً إكتسبوا مناطق تارون، صاصون، موكس وشيمشاط في الشمال كذلك أرشارونيك، شيراك،

أراكادزوتن، آشوتسك، تاشير، وادي الستيف حتى Ostan بالإضافة إلى مدينة دفين (دبيل) في الشمال. وكانت هذه الأراضي تابعة للماميكونيانيين والكامساراكانيين اشتراها الباكراتونيون أو انتزعوها منهم ثم حصلوا على موافقة الخلافة العربية في حق توريثها بين أفراد العائلة. واستناداً إلى بأسهم الإقتصادي المتصاعد بوسع الباكراتونيين تركيز مهام أمير أرمينيا ومنصب قائد الجيش بين أيديهم. لذلك ادّعوا بالاستقلال. كذلك أخضع باكراتونيو تارون قسماً من أراضي دياربكر وتحديداً بدليس وأرزان.

قُسمت المناطق الوسطى من أيرارات بين الإقطاعيين إلا أن الباكراتونيين إحتلوا مواقع مهيمنة. حافظت سلالة كنوني القديمة، التي كانت تخضع للباكراتونيين، على وجودها في منطقة Nig. كذلك كانت عائلتا تاشير وفاناند تحت هيمنة الباكراتونيين. وبعد ثورة 774-775م تمركز فرع مستقل من السيونيين حول أندزيفادزيك في القرن 9 م بعد زوال عائلة الأندزيفادزيين تدريجياً. أما بقايا السلالات الزائلة أو التي دبّ فيها الوهن فقد خضعت للأمراء السيونيين. كذلك خضعت المناطق القريبة من بحيرة أورميا خوي، زاريهافان، تامبير وإيلي إلى السيونيين في النصف الأول من القرن 9 م.

. المصدر ذاته، 252.

إحتلت عائلة الأمراء السيونيين الموقع الثالث من حيث الأهمية. صادرت أراضي سلالة الكوغتانيين، التي كانت قد وصلت إلى حافة الزوال، ووسعت مساحة أراضيها شمالاً ونحو الغرب حتى نهر أراكس (الرسّ) في أواسط القرن 9 م بالهيمنة ليس على كوغتن فحسب، بل أيضاً على ناخيتشيفان. وكان إقطاعيو قره باغ (خاتشين، باروسوس) مرتبطين مع الأمراء السيونيين بوثاقة. يعتقد المؤرخ الأرمني نيكولاي أدنتس أن إقطاعيي هذه المناطق كانوا فرعاً من الباكراتونيين في القرن 9 م.

Nikolay Adontz, Istoritcheskieh Isledovaniya, 125-134, بالروسية

ظهرت سلالة إقطاعيين جديدة في Utik في النصف الأول من القرن 9 م من أصل غير

معلوم ينسبهم بعض الباحثين مثل ي.ماركفارت وف.مينورسكي إلى المستوطنين الفينّيين- الأوكورسكيين ويفترضون أنهم غرباء جاؤوا من القفقاس الشمالي ويبنون هذا الافتراض على شهادات قسطنطين باكريانورودني.
V.Minorsky, Studies in Caucasian History, 38.
إلا أن هذه المسألة لم تتقرر في الحقيقة بعدُ.
Const. Porph. De Administrando Imperio, 38.

كانت هناك حالات فقدان الهوية القومية لبعض الأمراء الأرمن. مثالنا على ذلك حاكم أرمينيا الشهير في القرن 9 م علي بن يحيى الأرمني الذي كان من الأرمن المستعربين ويحكم أغدزنيك (دياربكر). (كان يحيى قائد الثغور الشامية، حكم مصر مرتين واستشهد أمام البيزنطيين-المترجم).
. المسعودي، الجزء 4، 213.
C.Shlepjian, Administratsionnaya Politica Khalifata, 19-20, يالروسية

وهكذا تغيرت صورة الإقطاعية الأرمنية فصعد نجم سلالات جديدة عوضاً عن سلسلة عائلات إقطاعية قديمة وحكمت 3 عائلات أمراء أرمن أرمينيا وتحديداً الباكراتونيون، السيونيون والسيونيون.
خلا ذلك إحتل المستوطنون العرب أراضي في أرمينيا وتوافقوا مع الحيط الإقطاعي للأمراء الأرمن مثل شيبانيو أغدزنيك، سلالة زُرارة في بدليس، قيسيّو منازكرت، بنو عثمان في بيركري، كذلك الجحافيون الذين أصبحوا إقطاعيين بالوراثة كالآخرين في أرمينيا. ومن هذه العائلة اقترن الجحّاف من ابنة الأمير موشيغ ماميكونيان وسوّادة من أروسياك باكراتوني وموسى بن زُرارة من أميرة من عائلة الين. أما ابنه أبو المغرة فلم يقترن من إحدى أميرات هذه العائلة فحسب، بل إرتد إلى المسيحية أيضاً.
من الظواهر الشيقة في هذه الفترة صعود شأن الإقطاعيين الذين كانوا يحكمون المناطق الجبلية. ومثالنا على ذلك أن مناطق مثل موكس وصاصون، الواقعتين على الهضبة

الأرمنية، سيونيك وأرتساخ في القفقاس الصغرى، تاشير، تايك وSper على الطرف الشمالي من سلسلة الجبال البونتية. ويُفسَّر ذلك بضعف سياسة الخلافة الضريبية القاسية لهذه المناطق الجبلية فأدى إلى بعض الاستقلالية.
نظر الخلفاء إلى حقوق الأمراء الأرمن الوراثية بعدم رضا رغم وجود اتفاقيات حول الاعتراف بها. أقنعت تجربة ثورة عام 703م الأمويين خطورة سياسة إزالة أمراء أرمينيا الإقطاعيين. أما العباسيون فقد سببوا أضراراً جسيمة للسلالات الإقطاعية القديمة.
جذبت مسألة حقوق الإقطاعيين الأمراء الأرمن وطبيعة حكمهم للأراضي انتباه مؤرخين عديدين. بناء على ج.لوران حافظ الأمراء الأرمن دائماً على حقوقهم الوراثية.
J.Laurent, L'Armenie rntre Byzance et l'Islam, 51-52.

بينما يؤكد هـ صموئيليان على أن "الخلافة فكّكت نظام الأمراء كاملاً أي حق الإقطاعيين الأرمن الوراثي لحكم الأرض. في الوقت ذاته منحت أهمية كبيرة للسيطرة الحكومية على الأراضي.
H.Samvelian, Istoria Drevnevo Armiyanskovo Prava, 125-128, 175-176, بالروسية.

عند حديثه حول فترة حكم العرب لأرمينيا أشار س.يريميان إلى أن الخلافة اعتبرت جميع أراضي أرمينيا حكومية عامة وحرمت الأمراء الأرمن من حقهم الإقطاعي الوراثي.
Otcherki Istorii CCCP III-IX vv., 485, بالروسية

لكن لا يمكن لأحوال أرمينيا كذلك كارتلي مطابقتها مع أحوال سوريا، العراق ومصر لأنه لا يمكن اعتبار أراضي الإقطاعيين الأرمن أملاكاً شرطية لأن الأمراء الأرمن كانوا من أهل الذمة وحصلوا على حق حكم أراضيهم بناء على الاتفاقيات المعقودة بين الطرفين شريطة دفع الخراج. سمى العرب تلك المساحات بـ "أرض الخراج".
Istoria Irana, 109, بالروسية

كانت حقوق الإقطاعيين الوراثية في النصف الثاني من القرن 8 م في خطر الإلغاء لكنهم استمروا في الاحتفاظ بها في القرن 9 م أيضاً على أسس جديدة بتغيير سياسة تدمير عائلات الأمراء الأرمن. وبفضل هذه السياسة الجديدة لم ينتشر نظام الأراضي الحكومية ولا الأراضي المشروطة (نظام العِقْدَة) كثيراً في أرمينيا. ظهرت في أرمينيا في القرنين 8–9 م في العهد العباسي، إلى جانب الإقطاعات الوراثية، أراضٍ شرطية (مِلك، مُلك) تم شراؤها بالنقود كشراء الباكراتونيين لأرشارونيك من أمراء الين.

. أصوغيك، 106.

صادر العباسيون أراضي الأمراء الكامساراكانيين بسبب ثورتهم ضد الخلافة. فأفلح الباكراتونيون، الذين صعد نجمهم في هذه الأثناء، في شراء هذه الأراضي. حاول الحاكم العربي خُزيمة إسكان مستوطنين عرب في أراضي كاثوليكوسية دفين مكرهاً الكاثوليكوس على بيع هذه الأراضي.

. الكاثوليكوس هوفهانّس، 143.

ولترسيخ حقوقهم الوراثية حصل الأمراء الأرمن على كتاب تعهد ممهور من الحكام العرب. خلا ذلك جرى تعيين الحاكم الجديد للمناطق الواسعة عن طريق مراسيم رسمية. لدى المؤرخ طوماس معلومة ثمينة حول المناداة بأحد الأمراء السيونيون حاكماً لمقاطعة فاسبوراكان. وكان هذا الأمير يظهر مع رايته الخاصة وشعاره ويضع الحاكم تاجاً مرصعاً بالأحجار الكريمة على رأسه ويرتدي ثياباً ملكية ويهديه بعد ذلك خيولاً جيدة مزدانة بحلي ومزودة بأسلحة في جو من نفخ الأبواق وقرع الطبول والقوات المسلحة مصطفة بانتظام ويلتف حولهم جمهور كبير.

.طوماس أرتزروني

مُنح التعهد الكتابي الأول في القرن 7 م. لكن التعهد الأهم هو الذي قدمه نائب الخليفة

دمحمد بن مروان في بداية القرن 8 م والحاكم عمر بن عبد العزيز اللذان اعترفا بحقوق الأرمن الكنسية وحقوق الأمراء الإقطاعيين. وبناء على هذا التعهد تم التشريع حول وجود قوات الفرسان الأرمن ومبلغ من الجزية عن كل رأس في أرمينيا.

. غيفوند، 113.

بناء على المؤرخ الأرمني صموئيل آنيتسي اتفق محمد مع الأرمن على حرية الإيمان المسيحي وجباية 4 دراهم فضية سنوياً عن كل نفس بالإضافة إلى منتجات طبيعية وإعفاء رجال الدين، أهل القصر والفرسان من الجزية والضرائب.

كانت حقوق الأمراء مرتبطة مع الوضعية الحقوقية للذميين (غير المسلمين). أكد الشرع الإسلامي على أن يكون هناك اتفاق معين بين المسلمين وأهل الذمة. وكان عهد الأمان، الذي يُبرم بين الطرفين، يحدّد الوضعية الحقوقية لجميع طبقات السكان الخاضعين لحكم المسلمين كذلك حقوق الإقطاعيين في المُلك. وكلمة "الأمان" تعبير عام يعني أن "المؤتمن" ينال الأمان تجاه حق معين. كذلك لكلمة "العهد" معنىً مشابه ويُذكر في القرآن. ويقرر العهد حقوق غير المسلمين ويُدعى أيضاً "عهد العهد".

J.Shacht, Ahd, Enc., de l'Islam, nouv. Ed., 1960, I, 263.

قدّم ممثلو الخلافة كتب أمان ملائمة في القرن 7 م إلى إقطاعيي أرمينيا معترفين بحقوقهم الإقطاعية. قدم عيّاض بن غنم للأمير ماميكونيان بطريق خلاط الأمان لسلامته الشخصية، ماله، أراضيه ومُلكه. أكد حبيب بن مَسْلَمة بدوره على هذا الأمان وبدوره قدم له عهداً "كتاب صلح وأمان" لحاكم موكس شمالي أرمينيا كذلك لبطريق باسفرجان من أجل جميع أطيانه ومناطقه ولحاكم باكريفانت الباكراتوني وإقطاعيين آخرين في أرمينيا.

. البلاذري، 199-200.

يتحدث الفقه الإسلامي عن حق استملاك الأرض ويذكّر أيضاً بحقوق الإقطاعيين

المسلمين مؤكداً أيضاً على جباية العشر من صاحبه. تترك هذه الناحية انطباعاً أن الإقطاعيين الذميين في عهد الخلافة كانوا محرومين من حق استملاك الأرض. وانطلاقاً من هذه الفكرة كانت للإقطاعيين الذميين حق إدارة الأرض لا استملاكها.

L.W.Van den Berg, Principes de Droits Musulman, 232.
U.P. Petroushevski, Islam v Iraneh VII-XV vv. Leningrad 1966, 184.

خلا ذلك، وبما أن الشرع الإسلامي لا يتطابق دائماً مع الواقع، فإن المشرعين أنفسهم وأبو يوسف على وجه الخصوص، يتكلمون في غالبية الأحيان حول حقوق الإقطاعيين الوراثية من أهل الذمة كذلك في مجال شراء الأراضي وبيعها.

. أبو يوسف، 36، 69.

أكد أبو يوسف على أنه يتوجب على الذمي، الذي يشتري أرضاً من شخص غير مسلم، دفع ضريبة الأرض (الخراج) لا العُشر. وفي حال بيع الذمي لأرضه إلى مسلم فعلى هذا الأخير دفع العُشر. لذلك فإن مُلكية أرض الإقطاعي الذمي، حتى وإنْ لم تكن أرض عُشرية، إلا أنها تُعتبر في الواقع مُلكاً ويحق له بيعها.

ذكر ابن حوقل بدوره كُتب العهد التي قدمها الأمويون والعباسيون للأرمن. فعند حديثه عن الأرمن كتب قائلاً: "كانت لديهم كتب عهد منذ البداية تقرر وضعيتهم بالنسبة لدفع الجزية".

استفاد الإقطاعيون الأرمن من وضعيتهم كذميين وحصلوا على كتب أمان من الخلافة فأداروا مناطقهم بأنفسهم.

. ابن حوقل، الجزء 2، 343.

. الطبري، الجزء 9، 533.

حضّ آشوت باكراتوني إقطاعييه على الإمساك عن فكرة الثورة أثناء ثورة عام 747–750

م ضد الخلافة قائلا: "لنترك هذه الفكرة جانباً لنحكم أملاكنا في جو هادئ: حقولنا، غاباتنا وسهولنا".

. غيفوند، 143–144.

ميّز المؤرخون الأرمن والعرب إقطاعيي أرمينيا الكبار عن الصغار. إستخدم البلاذري تعبير"بطاركة" للإقطاعيين الكبار وتعبير "الأحرار" للإقطاعيين الصغار متطابقاً مع التعبيرين الأرمنيين "ناخارار" (أمير) و"أزات" (حُرّ).

. البلاذري، 211.

. هاكوب ماناندیان، الإقطاعية في أرمينيا القديمة، 126–127.

جرت تبدلات جذرية في وضعية الإقطاعيين الوراثية في القرنين 8–9 م. وكانت العادة حتى القرن 7 م في عهد الملوك الأرشاكونيين الأرمن تحويل الأراضي الوراثية إلى الابن الأكبر فقط في حال وفاة الأمير. أما بقية أولاده فإنهم كانوا يخدمون في قوة الفرسان بشكل أساسي.

. أ.أوتمازيان، سيونيك في قرني 9–10م، يريفان 1958، 147–156، بالأرمنية.

بدأ تقسيم أراضي الإقطاعي المتوفي بين أولاده منذ القرن 9 م. ومثالنا على ذلك أن الجحاف رغب في الاستناد على حقوق زوجته الوراثية التي كانت ابنة الأمير موشيغ ماميكونيان. سببت هذه الظاهرة تسريع التشظّي الإقطاعي في أرمينيا لاحقاً.
كانت حقوق الإقطاعيين الأرمن الوراثية عربوناً وضمانة للحفاظ على الحكم الذاتي واستقلال أرمينيا الإقطاعية. قام الإقطاعيون الأرمن بأدوار هامة في حياة البلاد السياسية بالاعتماد على هذه الحقوق. وكانت كل عائلة إقطاعية تملك بعض الأراضي التي لها حدود أساسية. اعتُبر كل إقطاعي "مالكاً" وسُميت مقاطعته "مملكة".

. طوماس أرتزروني، 209.

Bibl. Geogr. Arab. V, 290-291.

لم تكن للإقطاعيين الأرمن علاقات مع الإقطاعيين العرب والمسلمين في مقاطعات الخلافة الأخرى فقد عاشوا في قصورهم بعيداً عن العاصمة دفين (دبيل).
J.Laurent, L'Armenie rntre Byzance et l'Islam, 52.

إجتمعوا في مناسبات احتفالية رسمية وكانت زياراتهم إلى دمشق، بغداد والسامراء نادرة.
أُرسلت مجموعة كبيرة من الأمراء الأرمن الإقطاعيين الثائرين أثناء ثورة القرن 9 م إلى سامراء حيث أُكره بعضهم على الارتداد عن دينه المسيحي إلى الإسلام قسراً. ورغم رجوعهم إلى دينهم بعد عودتهم إلى الوطن إلا أن المؤرخ الأرمني طوماس تكلم عنهم بسخط كبير أن هؤلاء جلبوا معهم "خُلقاً منحطة" من عاصمة الخلافة.
. طوماس أرتزروني، 216.

(3) السلطة الكنسية وأراضيها

تطورت الكنيسة كتنظيم إقطاعي في محيط الأمراء الإقطاعيين واكتسبت نفوذاً عظيماً. صعد نفوذ الكنيسة الأرمنية في القرون الوسطى المبكرة على كامل مساحة أرمينيا التاريخية. وكانت كل مطرانية تملك قطعة معينة من الأرض يديرها كهنة قرويون أبقوها بين أيديهم وأداروها وراثياً. من جهة أخرى زاد عدد المطرانيات في أرمينيا تدريجياً بين القرنين 4–7م ووصل عددها إلى 20 حتى القرن 6 م.
. طوماس ، 216.

ولمعرفة عدد مطرانيات أرمينيا في القرن 8 م علينا جرد عدد الأساقفة الذين اشتركوا في مَجْمَع مانازكيرت الذي انعقد سنة 726م. ونجد القائمة الكاملة لهؤلاء الأساقفة لدى البطريرك اليعقوبي ميخائيل السرياني:

Iwanes Catholicos de la Grand Armenie
Halphai évêque de Arkiws
Theodorus de Armn.
Sahak évêque Mamikonean
(Rsqw évêque de) Basean
Sargis évêque de Ditpis
Theodorios de Beznounis
Theodoros d'Asamounis
Grigorios d'Asarounis
Nwzwn de Asibw
Habel d'Amatounis
David d'Erestounis
Iowsep d'Arsrounis
Grigor de Wanand
Narkisos de Khorkhorounis
Esai de Goghtn
Iwanes de Gnounis
Georgi de Rotakai
Iowsep de Bakratounis
Mikael de Bakrewand
Eremia d'Apahounis
Salomon de Mrina
Gabriel d'Arzon
Khosrow Prêtre et docteur des Armeniens
David de Souprin
Salomon Archimandrite de Makenis
Raphael Archimandrite
Simeon docteur
Iwanes Choreveque
Grigor de Taron
Sahak Choreveque de Matnis
Sergis évêque des sanasnaye

. ميخائيل السرياني، الجزء 2، 497-498.

. نيكولاي أدونتس، أرمينيا في عهد جستنيان، 336-340، بالأرمنية.

هناك صلة وثيقة بين هذه القائمة لمطارين أرمينيا ومؤلّف أوختانيس من القرن 10م:

Hark	Basen	Ake
Octan	Mamikoniank	Bazhounik
Tayk	Bakrevand	Erytak
Mardaghi	Khorkhorounik	Asorik (Syria)
Arsharounik	Vanand	Andzevatsik
Ardzrounik	Apahounik	Mehnounik
Siounik	Arsharounik	Mehnounik
Rshtounik	Gnounik	Eli
Moks (Mokk)	Goghtn	Zarehavan
Amatounik	Gardman	Mious
Asorik		

كما رأينا وصل عدد المطرانيات الأرمنية في القرن 8 م إلى 30 تقريباً وبمساحات متباينة. كانت في أرمينيا مطرانيات كبيرة. وكان لمطران سيونيك نفوذ كبير ويُدعى ميتروبوليت. وإلى الشمال من سيونيك في القرن 8 م كانت مطرانية كوغتن، مطرانية أيرارات (أو Ostan) حيث يقطن كاثوليكوس أرمينيا. كانت هناك مطرانيات أخرى في شمالي البلاد: مطرانية فاناند، أرشارونيك، تايك، باسين ماردالي ومطرانية ناخيتشيفان وماردبيتاكان في المناطق المركزية لأرمينيا.

. طوماس أرتزروني، 216.

كانت الغالبية العظمى من مطرانيات كنيسة الأرمن تقع ضمن حدود أرمينيا خلا بعضها في آذربيجان والجزيرة. وكانت مطرانية صاناصونيك، أرزن، وتيموريك تقع في منطقة الجزيرة في سوريا الأولى في منطقة أغدزنيك حول مدينة ميّافارقين (نبركيرت الأرمنية). وتضم الثانية على ما يبدو، خلا أرزن، بدليس (باغيش). أما الثالثة فقد كانت تقع شرقي جبل جودي (أرارات). كانت مقاطعة آذربيجان تحوي مطرانية Potak (Her و Salmas) وتقع غربي بحيرة أورميا.

حصلت الكنيسة الأرمنية باكراً على أراضٍ منذ بدايات القرن 4 م أثناء حكم الملوك الأرشاكونيين الأرمن. ومثالنا على ذلك أن الملك ترداتِ الثالث منح الكنيسة 4 قطعاً من الأراضي الزراعية وقرىً مع كل منها أرض مؤلفة من 7 قطع.

. طوماس أرتزروني، 128.

من ميزات رجال الدين الأرمن في القرون الوسطى المبكرة أن تسمياتهم ومناصبهم تماثل الأمراء ولهم أملاك وأطيان وراثية. وكان الاستياء واضحاً أثناء المَجْمَع الكنسي سنة 692م لأن التعامل مع رجال الدين في بلاد أرمينيا أو معاقبتهم كان يتم عن طريق رجال الدين فقط مقلدين العادات اليهودية.

. أكاتانكيغوس، تاريخ أرمينيا، 1909، 436، بالأرمنية.

. نيكولاي أدونتس، أرمينيا، 68.

ومن الظواهر الشيقة أيضاً أن منصب الكاثوليكوس كان وراثياً أيضاً في أرمينيا في القرن 4 م ومحصوراً في عائلة كريكور المنوّر. وكان أقرباء رجال الدين القريبين يستفيدون من هذا الحق أيضاً. اتُخذ قرار أثناء مَجْمَع دفين المنعقد سنة 645م أنه، في حال عدم إنجاب رجل الدين أولاداً، فبوسعه تعيين أحد أقربائه القريبين خلفاً له.

. "كانوناكيرك"، (كتاب قوانين الأرمن)، الجزء 2، 206–208.

ساهمت وراثة المناصب الكهنوتية أثناء القرون الوسطى المبكّرة في ترسيخ مواقع الكنيسة الأرمنية بحيث، عند ترك رجل الدين الخدمة الكنسية والانتقال إلى السلك العسكري (سلاح الفرسان)، ففي هذه الحال بوسع مطران أحد المناطق إهداء أرضه لأحد أصدقائه من رجال الدين. ومن الأمور الشيقة أيضاً كانت تدور خلافات بين رجال الدين والأمراء في القرن 7 م. سعى الإقطاعيون إلى عدم الاعتراف بوضعية رجال الدين المكتسبة وإعادتهم

إلى مواقع التبعية مع الفلاحين فعُقد مَجْمَع كنسي سنة 645م ضد هذه التطلعات. كذلك حاول الأمراء في غالبية الأحيان تعيين رؤساء الأديرة.

المصدر ذاته، 209.

جرت تغييرات جذرية على طبيعة الأملاك الكنسية في القرنين 8-9 م. لا تتحدث المصادر في هذه الفترة حول الأملاك الكنسية التي كان رجال الدين القرويون يديرونها وراثياً. ومن المرجّح جداً أن أراضٍ مماثلة حوِّلَت إلى أديرة صعد نفوذها تدريجياً. وفي نهاية الهيمنة العربية، وعلى وجه الخصوص في عهد الباكراتونيين، بدأت أراضي الأديرة بالتوسع. بالإضافة إلى الأديرة الكائنة شُيدت أخرى جديدة في القرن 8 م. قدم المؤرخ غيفوند مشهداً شيقاً حول جياة الأديرة في هذه الفترة وأوضاعها العامة عند حديثه حول هجوم قوات محمد بن مروان على دير القديس كريكور في باكريفاند قائلاً: "رأى هؤلاء غنى الأواني الكنسية الرائعة المهداة إلى الدير من قبل ملوكنا، أمرائنا وأشرافنا. شاهدوا أيضاً الكورالات المنظمة الملائكية وصفوف جماعات كبيرة من رجال الدين...".

. غيفوند، 13.

كذلك أكد المؤرخ الأرمني الآخر:"سرق لعدو هذا الدير. لكن، ورغم الهجوم عليه، استمر وجوده وازداد عدد الأديرة في البلاد وعلى وجه الخصوص في المواقع الجبلية التي يُصعب الوصول إليها وأهداها الأمراء مزارع عديدة".

. طوماس أرتزروني، 216.

ذكر البلاذري دير الأكداغ في سيونيك المشهور جداً في تلك المناطق.

. البلاذري، 211.

إحتل دير ماكوينتس، في بحيرة سيفان ودير ماراك والصليب المقدس وسواهما من الأديرة مكانةً مميزة حيث تقع مقبرة سلالة الأمراء الين في فاسبوراكان.

. *طوماس أرتزروني*، 200–228.

إهتمت الأديرة في إنشاء شبكة أقنية ري على أراضيها. هناك كتابة على عمود كنيسة طالين تعود إلى سنة 783م يحذّر فيها شخص مجهول أن أي أميرسيحاول الاستيلاء على القناة سيمثل أمام ربه".

. *أطلس الكتابات الجدارية الأرمنية، شوغاكات، 176.*

أزعج صعود بأس الكنيسة الأرمنية حكام أرمينيا فحاولوا حرمانها من الغنى. مبدئياً لم يدفع رجال الدين الضرائب بل على النقيض من ذلك جبوها من القلاحين. من جهة أخرى جبى الموظفون العرب ضرائب من رجال الدين في بعض المناسبات مثل الثورات وغيرها. يشهد طوماس أرتزروني أن القوات العربية احتلت دير فاراك في فاسبوراكان أثناء حملة بوغا في خمسينيات القرن 9 م وفرضت جزية على الرهبان.

. طوماس أرتزروني ، 214.

فكّر الحاكم العربي سليمان 788–790م تحضير جدول حول أملاك الكنيسة الأرمنية وآنيتها فقدم له رجال الدين ما لديهم في الخزانة من آنية كنسية ذهبية وفضية رائعة، أحجار حُلي، ثياب فاخرة من إهداء الملوك. إنتشل سليمان ما راق له منها وأعاد الباقي إلى أمين خزينة الكنيسة. أنفق الكاثوليكوس الجديد أستيبانوس من أمواله مبلغ كبيرة لتحرير القرية التي اغتصبها هذا الحاكم العربي.

. *غيفوند، 169–170.*

كانت مناطق المطرانيات تتطابق في غالبية الأحيان مع مناطق حكم الأمراء الإقطاعيين. وكانت الكاثوليكوسية في العاصمة دفين (دبيل) تملك أوسع الأطيان في مقاطعة أيرارات وبعض القرى الكبيرة مثل آرامونس، أرتاشات، كافاكيرت، هروموتس–مارك وسواها.

. الكاثوليكوس هوفهانّس، 133–142.

تشكلت الهيئة الإكليركية الأرمنية بين القرنين 8–9 م ولم تترك الشخصيات الكنسية خدمة الكنيسة بعد هذه التغييرات للالتحاق في صفوف الجيش.

(4) الفلاحون والضرائب

شكّلت أحوال فلاحي أرمينيا الحقوقية في حقبة القرون الوسطى المبكّرة إحدى أهم المسائل في تاريخ أرمينيا. فبناء على الأكاديمي هاكوب ماناندبان كان الفلاحون الأرمن في هذه الفترة يخضعون إلى حد ما للإقطاعيين لكنهم لم يكونوا أقناناً.

. هاكوب ماناندبان، الإقطاعية في أرمينيا القديمة.

بينما يؤكد خ. صموئيليان على أنهم كانوا في وضعية أقنان في عصور القرون الوسطى المبكّرة.

. خ.صموئيليان، تاريخ القوانين الحقوقية الأرمنية، 261–284.

لكن فكرة س.هاكوبيان أكثر إقناعاً وتشير إلى إن الفلاحين كانوا يخضعون بقوة إلى الإقطاعيين.

. س.هاكوبيان، تاريخ الطبقة الفلاحية الأرمنية، الجزء 1، 300.

كان الفلاحون الأرمن، الجالسون في الحقيقة على الأراضي الخاصة للكنيسة والحكومة في عهد الخلافة، أحراراً حقوقياً إلا أنهم كانوا يخضعون إلى الإقطاعيين وكان ذلك مرتبطاً

بدفع الضرائب.
. خ.صموئيليان، تاريخ القوانين الحقوقية الأرمنية، 289.

أما القسم غير الكبير من الفلاحين، الذين كانوا يعيشون في المزارع، فقد ظلوا تحت تأثير الإقطاعيين الكبير وكانوا في وضعية الفلاحين–الأقنان.
. أبو يوسف، كتاب الخراج، 14.

كانت هذه المزارع تقع في سهول خصيبة بينما لم تكن هناك مثل هذا الاستيطان في المناطق الجبلية.
. كارل ماركس، رأس المال، الجزء 3، القسم 2، 803.

كانت العبودية موجودة أيضاً لكن بنسبة محددة. من المعلوم أيضاً أن الأمير آشوت باكراتوني حصل على أعداد كبيرة من العبيد بعد عودته من الحملة الموفقة ضد الخزر بقيادة الحاكم العربي مروان.
هناك شهادة لدى ديونيسيوس تل محري مبالغ فيها بعض الشيء على ما يبدو تقول كان لدى الأمير ساهاك باكراتوني 100,000 عبداً. وبعد اغتياله صودرت جميع أملاكه ومن المحتمل عبيده أيضاً وحوِّلت إلى "الملك" أي الخليفة.
. ديونيسيوس تل محري، 148.

كانت الجزيرة المجاورة حافلة بالعبيد. تجمّع 500 عبداً بينهم هنود، خزر وسواهم وتسلحوا وقرروا الهجوم على خزينة حَرّان وقتلوا جميع المعارضين وحاولوا سلب الخزينة إلا أن حاكم الجزيرة أخضع العصيان فتقهقر العبيد وقُتل عدد كبير منهم وفرّ الباقون.
. المصدر ذاته، 99.

لم يسُقْ الأمويون والعباسيون الأرمن عبيداً إلى بغداد لبيعهم في أسواق النخاسة فقد كانت هناك اتفاقية مسبقة بين الطرفين حول هذه الناحية ويشهد عليها ابن حوقل.

. ابن حوقل، الجزء 2، 343.

إلا أن العرب، وبعد إخضاع كل ثورة أو عصيان أرمني ضد حكمهم، ساقوا مجموعة من الفلاحين أسرى وحولوهم إلى عبيد.

رغم عدم التصاق الكتلة الأساسية للفلاحين الأرمن بالأرض إلا أنهم كانوا في أحوال قاسية جداً بسبب الضرائب والجزية التي لا يمكن تحمل وزرها. وكان الحمل الرئيسي للضرائب يقع على أفراد هذه الطبقة وكانت مستويات الضرائب في عهد الإحتلال العربي عالية جداً مقارنةً بتلك المُجباة في القرن 7 م فتراجعت بالتالي أحوالهم. خلا ذلك أكره العرب سكان الأرياف على مختلف أعمال السخرة كتشييد الأسوار وشق الطرق وسواها. تراجعت أحوال الفلاحين أكثر في عهد الخلفاء العباسيين بسبب زيادة الجباة العرب لمبالغ الضرائب ولم يسمحوا لهم بحصد محاصيلهم وجمعها إلا بعد تأدية التزاماتهم الضريبية. خلا ذلك كان على الفلاحين دفع الرشاوى لهم كي لا يتلف المحصول الزراعي.

. أبو يوسف، 178-180.

لم يكن بوسع الفلاحين الأرمن دفع ضرائب براءة الذمة فتعرضوا إلى شتى أشكال التعذيب مثل الجلد بأحزمة من جلد. عذبوا آخرين بالمَلازم، على المشنقة ورموا آخرين عُراةً في بحيرة مجمدة.

. غبفوند، 137.

. أبو يوسف، 180.

نهاية أكرهت هذه الضرائب الثقيلة القاسية الفلاحين على هجر دورهم والفرار والتجأ بعضهم إلى شِعَب وآخرون إلى أغوار.

. غيفوند 135–137.

أما الباقون فقد تعرضوا إلى شتى صور التعذيب. أمر الحكام العرب الفلاحين بحمل خاتَم رصاصي على رقابهم وحصلوا عن كل خاتَم دراهم عديدة.

. المصدر نفسه، 167.

وكانت لدى الحكام العرب وسائط عديدة لقهر الشعوب للحصول على مكاسب مادية.

Istoria Irana, 90, بالروسية

راقب الخلفاء أعمال الجباة وطلبوا منهم جباية مبالغ كبيرة جداً من الجزية في الأراضي المحتلّة.

. ياقوت الحموي، الجزء 2، 861.

عندما عجز الفلاحون عن دفع الضرائب في النصف الثاني من القرن 8 م سقطوا بيد السماسرة. وبناء على شهادة ديونيسيوس تل محري لجأ فلاحو الجزيرة إلى سماسرة المدن لإقراضهم النقود. إستغل الجباة أحوال الفلاحين فجبوا ضرائب مباشرةً فرفع السماسرة نسبة الفوائد.

. ديونيسيوس تل محري، 151–153.

بحث م.غازاريان، أ.زوريان، وأ.نالبنديان مسألة كمية الضرائب وطبيعتها في أرمينيا انطلاقاً من سياسة الخلافة الضريبية.

M.Ghazarian, Armenien, 63-64, بالألمانية

. أ.زوريان، سياسة العرب الضريبية، 319–349، بالأرمنية.

. أ.نالبانديان، سياسة العرب الضريبية، 73–84، بالأرمنية.

لم يُفلح أ.نالبانديان في تحديد كمية الضرائب فحسب، بل بيّن أيضاً طبيعتها.
دخلت أرمينيا في تركيبة الخلافة العربية في وقت عندما كانت الجزية (Gezit بالفارسية) والخراج (Kharaj بالفارسية) تتباينان عن بعضهما في طبيعتيهما.

V.Girgas, Prava Khristian Na Vastoke, 1865, 26-31, بالروسية

وكانت الجزية تعني عن كل شخص وتُجبى من غير المسلمين فقط. أما الخراج ، ضريبة الأرض، فقد كانت تُجبى من فلاحي جميع الديانات.
ذكر المؤرخ الأرمني صموئيل آنيتسي أن الأمويين كانوا يجبون مبلغ 4 دراهم جزيةً عن كل بيت في أرمينيا سنوياً.

. صموئيل آنيتسي، 82.

وكانت الجزية النقدية في عهد الأمويين لا تشكل سوى الجزء الأصغر لأن المنتجات الطبيعية كانت تحتل القسم الأعظم. ورغم إعفاء الخلفاء رجال الدين الأرمن من الضرائب، إلا أن الحكام العرب في أرمينيا لجأوا إلى جميع الوسائط لنهب الكنائس والأديرة من أوانيها الذهبية والفضية النفيسة وغيرها. وكان هناك نزاع بين الحكام العرب والسكان المحليين منذ بداية هيمنة الخلافة العربية على البلاد حول مبلغ الجزية النسبي عن كل فرد. ونقرأ في الاتفاقية المعقودة بين الحاكم العربي حبيب وسكان مدينة تيفليس أنه يتوجب على كل ذمي دفع دينار ذهبي واحد شريطة عدم توحّد العائلات الذمية لإنقاص مبلغ الضريبة. ومن طرف آخر اشتُرِط أيضاً ألا يزيد العرب عدد الضرائب لرفع مبلغ الضريبة.

. البلاذري، 201.

. الطبري، الجزء 4، 53.

هناك شهادة شيقة جداً لدى ديونيسيوس تل محري وهي عبارة عن أول إحصاء حول

سكان ما بين النهرين وتحديد الضرائب من قبل الخليفة الأموي عبد الملك. وكان على كل فلاح العودة إلى مكان ولادته وتسجيل اسمه، اسم والده، أولاده، عدد أشجار الكرمة، الزيتون، وجميع ما يملك. بناء على هذا المؤرخ أيضاً كان كل ذلك البداية فقط لجباية الضرائب لاحقاً عن كل نفس من السكان القرويين لبلاد ما بين النهرين وكانت تُدفع عينياً فقط أي بالمحاصيل الزراعية.

. ديونيسيوس تل محري، 10.

زادت الضرائب، التي شرّعها عبد الملك، في عهد هشام واتخذت مزاجيات حكام العرب في أرمينيا أشكالاً شتى أثناء جبايتها. تقول المصادر الأرمنية أن حاكم أرمينيا الحارث رفع نسبة الضرائب وفرضها على الأراضي والمواشي.

. المؤرخ الأرمني كاغانكاتفاتسي، 258.

نستنتج من هذه المعلومات أن الجزية عن كل نفس في عهد الخلفاء الأمويين المتأخرين كانت قد تغيّرت بالنسبة لكل فلاح. كذلك يبدو أن هذه الممارسات كانت وقتية وبعد عدة سنوات فقط لم يجبِ العرب ضرائب قاسية عن كل نفس.

إلا أن نسبة الضرائب وصلت إلى مستويات كبيرة في عهد العباسيين بدءاً من أول الخلفاء أبو العباس تحديداً عندما فرض شقيقه ونائبه في أرمينيا أبو جعفر ضرائب "حتى على المتوفين" وغيّر قانون الجزية الفردية ونظام الخاتَم الرصاصي على رقاب الفلاحين الأرمن.

. غيفوند، 127، 135.

. أ.نالبانديان، سياسة العرب الضريبية، 77-78، بالأرمنية.

بناء على شهادة المؤرخ الأرمني أصوغيك أرسل الخليفة شقيقه إلى جميع البلدان المحتلة لجباية الجزية والضرائب حتى عن المتوفين انطلاقاً من عدد السكان.

. أصوغيك، 131.

دفع الجزية جميع الرجال خلا رجال الدين، الأطفال، كبار السن، المعوقين، المصابين بأمراض نفسية والعبيد. وكان مبلغ الجزية يتراوح بين 1–4 دنانير ذهبية. وكان الحقوقيون العرب، أبو يوسف على سبيل المثال لا الحصر، يقسّمون المجتمع إلى 3 شرائح:

أ. الأغنياء الذين يدفعون 48 درهماً.

ب. الشريحة المتوسطة من السكان ويدفع الفرد 24 درهماً.

ج. الفقراء الذين يدفعون 12 درهماً.

. أبو يوسف، 69.

لم يُطبّق هذا المبدأ بحذافيره دائماً ونعتقد أن ذلك كان مرتبطاً أيضاً بمزاجية الحاكم العربي تجاه رعيته. وكانوا يرفعون نسبة الجزية في هذه الفترة سنوياً وتُدفع نقداً فقط.

A.S.Tritton, The Caliphs and their Non-Muslim Subjects, 209-211.

أما بالنسبة لنوعية الضرائب في أرمينيا فليست لدينا معلومات سوى عن حقبة العباسيين. فبناء على الجهشياري وابن خلدون دفعت أرمينيا أثناء حكم هارون الرشيد سنوياً مبلغ 13,000,000 درهماً خلا المنتوجات الطبيعية العينية.

Bibl. Arab. Hist. und Geogr., I, 182a.

. ابن خلدون، الجزء 1، 151، مطبعة البولاق 1284هـ=1867.

لم يكن هذا الرقم الكبير نتيجة رفع الضرائب في أرمينيا في عهد العباسيين بل فرض الخلفاء العباسيون دفع نسبة كبيرة من الخراج نقداً لا بالمنتوجات الطبيعية الزراعية. لكن جرت تبدلات في منظومة الضرائب إلى حد ما بعد سياسة المنصور القاسية. ففي عهد المهدي 775–785م استُعيض عن "خراج المساحة" القاسي بالنسبة للفلاحين إلى شكل جباية يمكن تحملها سُمّي بـ "المقسَّم" عندما بدأوا يجبون الخراج بنسبة معينة من المحاصيل انطلاقاً من كمياتها الإجمالية. كذلك ألغى المهدي جباية مبالغ إضافية من

الفلاحين. ورغم رفع هارون الرشيد الضرائب بحدة في عهده إلا أن المأمون 813–833م خفض النسبة العالية للخراج المقسَّم حتى الخُمسين. بالإضافة إلى ذلك أُلغيت عملية ختم رقاب الفلاحين بالرصاص بدءاً من الربع الأول للقرن 9 م أثناء جباية الخراج.

Istoria Stran Zaeoubezhnoi Azii v Srednieh Veka, 144-146, بالروسية

Max Van Berchem, La Proprieté et l'Impot Foncier, 45-59.

إنخفضت كمية الضرائب في أرمينيا في النصف الأول من القرن 9 م بناء على شهادة ابن خُرّداذيبة كذلك قُدامة.

Bibl. Geog. Arab. VI, 124, 249.
M.Ghazarian, Armenien, 67.

بناء على شهادة خُرّداذيبة دفعت أرمينيا 4,000,000 درهماً. أما قدامة فيزيد قليلاً على هذا المبلغ.

نقدم جدول الضرائب التي كانت تدفعها أرمينيا والبلدان المجاورة لها للخلافة العربية:

أرمينيا، 4,000,000 درهماً.

آذربيجان، 4,500,000 درهماً.

أرزان وميّافارقين، 4,200,000 درهماً.

منطقة تارون، 100,000 درهماً.

آمد 2,000 درهماً.

. أديب السيد، أرمينيا، حلب، 1971.

كانت نسبة الخراج تتراوح في عهد مختلف الحكام. بناء على شهادة البلاذري استخدم هؤلاء الحكام العرب في أرمينيا الشدة أثناء جباية الخراج "كما كان متّبعاً" بينما جبى الحكام الضعفاء ضرائب أقل.

. البلاذري، 210.

حاول الحكام العرب جباية أكبر مبلغ ممكن من الضرائب بشتى الذرائع. ومثالنا على ذلك أنه في عام 850م، بينما كانت الضرائب قد سُددت في ذلك الوقت، باشر الجباة العرب في جمع مبالغ إضافية بحجة احتياجات سلاح الفرسان.

. توماس أرتزروني، III.

دفع الفلاحون الأرمن في عهد العباسيين "الخراج المقسّم" بنسبة الخُمس ونصف الخُمس من المحصول الإجمالي الزراعي. كذلك أُلغي نظام "خراج المساحة"، الذي كان يُجبى على هيئة محاصيل، وبُديء بجبايته نقداً بالإضافة إلى المحاصيل الزراعية عن كل جُريب (يعادل 2,500 متراً مربعاً). ولم تتغير نسبة هذا الشكل من الخراج انطلاقاً من كمية المحصول الإجمالي. أما ما يتعلق بكمية الجزية مع الخراج فبناء على الباحث ج.لوران فمن 13,000,000 من مبلغ ضرائب ولاية أرمينيا العربية تشكل الجزية 9,000,000 درهماً سنوياً والباقي كخراج.

J.Laurent, L'Armenie entre Byzance et l'Islam, 101.

إلى جانب الخراج وجِدَت ضريبة غبر ثقيلة في الخلافة وتحديداً "العُشر" التي تغيرت قليلاً في أرمينيا. هناك شهادات أن شميشاط كانت تدفع "الخراجية" قبلاً في عهد المتوكّل فبدأت تدفع "العُشر" كمنطقة واقعة على الثغور.

. البلاذري، 184.

. أبو يوسف، 39.

. ديونيسيوس تل محري، 93.

أدّت جباية العباسيين للضرائب بالدراهم الفضية ورفع نسبتها كثيراً إلى تناقص كميات معدن الفضة في أرمينيا ولم يكن ممكناً إيجاد هذا المعدن في البلاد في عهد المنصور فاحتار الفلاحون الأرمن في كيفية دفع ضرائبهم. ويذكر المؤرخون أن كميات الفضة زادت في أرمينيا في عهد الخليفة المهدي من المناجم الجديدة فخفّت بالتالي أحوال

الفلاحين الأرمن.
. غيفوند، 139.

كانت النقود الذهبية تُضرب في بيزنطة والفضية في فارس الساسانية حتى تشكّل الخلافة العربية. لذلك دفعت كل من مصر وسوريا ضرائبهما بالدنانير الذهبية والمناطق الإيرانية بالدراهم الفضية للعرب المحتلين بينما كانت أرمينيا تدفع بالعملتين الذهبية والفضية.
. المصدر نفسه، 155.
. ابن حوقل، الجزء 2، 348.

شكلت ضريبة المنتجات الطبيعية القسم الأهم من الضرائب في عهد الأمويين. وعلينا أن نذكر بالتالي أن الجزية كانت تُجبى في إيران وجميع مقاطعات الخلافة في هذه الحقبة بشكل مختلف لكن بتغلب المنتجات الطبيعية جبوها على شكل القمح، الصوف، الأقمشة، الماشية، الخيول وسواها.

Istoria Irana, 96, بالروسية

يذكر المؤرخ الأرمني صموئيل آنيتسي في جدوله للضرائب في عهد الأمويين "3 موديا (قياس قديم يعادل 29 كغ و376غ لوحدة الموديا) من القمح المنخول لكل فارس، كيس واحد من القمح، حبل غليظ وقفاز لكل فارس".
. صموئيل آنيتسي، 82.
. هاكوب ماناندیان، تجارة مدن أرمينيا القديمة، 191.
(ترجمه الدكتور ألكسندر كشيشيان إلى العربية–المترجم).

وكانت جميعها مخصصة لحاجات القوات العربية المسلحة.
. ابن الأثير، الجزء 5، 242.

تغيرت طبيعة الجزية مع الوقت. لم يجبِ العباسيون القمح وسواه من المنتجات العينية بل الأقمشة، الحلي وسواها لترف بلاط الخلافة. هناك جدول ضرائب حهزه ابن خلدون. وبناء عليه كانت أرمينيا تدفع الجزية للعرب على الشكل التالي: 13,000,000 درهماً، 20 سجادة، 580 رطلاً من الأقمشة، 10,000 رطلاً من سمك السورماهي المملّح، 10,000 رطلاً من سمك التِرّيخ المملّح، 200 بغلاً و30 صقراً.

. ابن خلدون، كتاب العبر، بولاق، 1284 هـ=1867م، الجزء 1، 151.

. البلاذري، 173.

إستخدم أ.كريمر، م.غازاريان وأ.نالبانديان هذه الوثيقة، المصدر المهم.

هناك جدول آخر لدى جاخشياري لا تتعارض مع جدول ابن خلدون خلا بعض التصويبات: "تدفع أرمينيا 13,000,000 درهماً، 20 قطعة من السجاد المخفور، 570 قطعة قماش، 10,000 رطلاً سمك مجفف مملّح، 10,000 رطلاً من سمك التِرّيخ المملّح، 30 صقراً و200 بغلاً".

Bibl.Arab. Hist. und Geogr. 5, 182a.

كذلك يمكن إضافة الهدايا التي حصل عليها الحكام العرب من أمراء أرمينيا. ومثالنا على ذلك أن أمير أمراء أرمينيا باكارات باكراتوني أرسل إلى الحاكم العربي أبو سعيد الذهب، الفضة والثياب الثمينة.

A.V.Kremer, Über das Budget der Einnamen verh des VII Inter. Or. Cong. Wien 1888, 1-118.

R.Levy, The Social Structure of Islam, Cambridge 1957, 319.

. آرام تير غيفونديان، جزية أرمينيا من المنتجات الطبيعية في الحقبة العربية، "لرابير" 1969، رقم 2، 52-60، بالأرمنية.

. توماس أرتزروني، 107.

عدا الجزية والخراج فرض الخلفاء العرب على سكان مدن وقرى أرمينيا إطعام القوات العربية وإسكانهم في المكان. ومثالنا على ذلك طلب الحاكم العربي في مدينة ثيودوسيوبوليس من السكان تأمين القوات العربية بالمأكل.

. غيفوند، 130.

كذلك فرضت الخلافة العربية على سكان أرمينيا بعض أعمال السخرة. ومثالنا على ذلك أن الحاكم ساق جمهرة من السكان الأرمن في عام 756م لتعزيز أسوار مدينة ثيودوسيوبوليس تحت إشراف موظفين. ويستخدم المؤرخ الأرمني غيفوند تعبير "ضريبة حربية" على هذه السخرة.

. المكان ذاته.

خلا الضرائب الحكومية كان الإقكاعيون الأرمن والكنيسة الأرمنية يجبون ضرائب من الفلاحين ويتوجب عليهم دفعها على شكل منتجات طبيعية بالإضافة إلى أعمال السخرة. يذكر "كتاب القوانين الأرمنية" على سبيل المثال ضريبة العُشر وضريبة الكنيسة Pytgh.

. كانوناكيرك (كتاب القوانين)، الجزء 2، 16، المادة 21.

وكان مشايخ القرى يجبون عادة الضريبة العينية من الفلاحين تحت إشراف الإقطاعيين. ومثالنا على ذلك حظر "مَجْمَع بردعة الكنسي" هؤلاء المشايخ التعامل مع "ضرائب الملك" والضغط على الفلاحين.

. المكان ذاته.

أما ما يخص تعبير السياسة الضريبية للخلافة في أرمينيا ودفعها على مراحل يُلاحظ الباحث الأرمني أ.زوريان 3 مراحل أساسية:

أ. الفترة الأموية.

ب. الفترة العباسية.

ج. الفترة الأولى للأمراء الباكراتونيين.

. أ.زوريان، السياسة الضريبية، 327–342.

انطلاقاً من شهادات جميع المصادر بوسعنا أن نقدم المرحلتين التاليتين:

(1) مرحلة 701–750م صعود الوزر الضريبي تدريجياً خلا أعوام 724–732م عندما ارتفعت نسب الضرائب بحدة أثناء الحاكم العربي الحارث.

(2) مرحلة 750–862م الضرائب العباسية باستثناء 813–847م عندما خفّت الضرائب وأضحت أكثر تحملاً.

(5) أوضاع المدن: المهن والتجارة

درس أ.زوريان وهاكوب ماناندیان أحوال المدن والتجارة في أرمينيا أثناء حكم الخلافة للبلاد. إنطلاقاً من دليل الإقتصاد الريفي وتفضيل الأرباح الكبيرة في بلدان الخلافة قدّر أ.زوريان وجود تطور إقتصاد تجاري–نقدي لجمع رأس مال ربوي بفوائد عالية وازدهار المدن في أرمينيا. كذلك نبّه خ.صموئيليان إلى تغلّب الإقتصاد النقدي في الخلافة. وبناء على رأيه شرّع الرأسمال الربوي في أرمينيا في هذه السنوات الطريق إلى التغوّل النقدي. تطرق باحثون آخرون إلى تفاقم هذه الظاهرة..

. خ.صموئيليان، تاريخ الحقوق الأرمنية القديمة، 127–128.

بدوره يعتبر الأكاديمي هاكوب ماناندیان حكم الخلافة فترة توقف التجارة وتراجع أحوال المدن.

. هاكوب ماناندیان، مدن أرمينيا القديمة وتجارتها، 189–200.

لا تسمح لنا المواد الجديدة المكتشفة نتيجة التنقيبات الأثرية بشكل خاص اعتبار القرن 8 م والنصف الأول من القرن 9 م سنوات تطور المدن والحرف أو التجارة.

ساقت الهزة السياسية ووزر ضرائب الخلافة الثقيل أرمينيا إلى التراجع الإقتصادي في القرن 8 م. كذلك عانت البلاد من الدمار بسبب تجاوزات القوات العربية التأديبية بعد كل ثورة أو احتجاج. بدورها آست مقاطعات أرمينيا الغربية من الحروب مع بيزنطة. هذا الدمار والتفقير في أرمينيا أثناء هذه الحملات العسكرية مذكوران لدى المؤرخ الكرونولوجي ديونيسيوس تل محري الذي كتب حول الصدامات العسكرية في أرمينيا الرابعة قائلاً: "كانت هذه البلاد معروفة بعدد سكانها الكبير، بكرومها العديدة، زراعة القمح وغاباتها الرائعة من جميع الأصناف لكن أصابها فقر مدقع ولم يبقَ فيها سكان منذ ذلك الحين".

. ديونيسيوس تل محري، 12.

يُفسَّر تراجع الإقتصاد بانكماش تجارة أرمينيا البرية الدولية مع موانئ بحر الأسود أيضاً.

. هاكوب ماناندیان، التجارة والمهن في أرمينيا، 194، بالأرمنية.

فقدت أرمينيا مكانتها في التجارة الدولية في عهد الهيمنة العربية بغض الطرف عن إقامة صلات واسعة مع مختلف مناطق الخلافة. توقفت العلاقات التجارية للبلدان الشرقية مع آسيا الصغرى أثناء الحروب المستمرة مع بيزنطة وعلى وجه الخصوص مع طرابزون التي كانت مرفأ أرمينيا ولم تعد البلاد إلى سابق عهدها سوى في النصف الثاني من القرن 9 م. وكان انكماش العلاقات التجارية مع آسيا الصغرى وتجارة الترانزيت عبر أرمينيا السببين الرئيسيين لتراجع أحوال المدن، التي حوِّلَت إلى قواعد عسكرية–إدارية للخلافة فجلبت بعض القبائل العربية وقامت بتوطينها في هذه المدن. تذكر المصادر مدينة خلاط (أخلاط)، Ostan وغيرهما.

. المصدر نفسه، 196.

ظلت عاصمة أرمينيا دفين على حالها السابقة. وتعود المستجدات واللقى المكتشفة أثناء التنقيبات المنهجية إلى القرون الوسطى المبكرة حتى النصف الثاني من القرن 8 م. إلا أن المدينة شرعت في الازدهار البطيء منذ أواسط القرن 8 م طوال قرن كامل وتم الكشف عن أسلحة متنوعة عديدة تعود إلى هذه الفترة التاريخية. من الحقائق المعلومة أيضاً ترميم أسوار العاصمة في بدايات القرن 8 م. أعاد الحاكم العربي عمر بن عبد العزيز (الذي أصبح خليفة لاحقاً–المترجم) بناء المدينة ووسع رقعتها، حصّن بواباتها، أمّنها بالماء وأحاط أسوارها بخندق لحماية قلعتها.

. غيفوند، 36.

طبعاً حافظت دفين في القرنين 8–9 م على بعض مجدها التليد السابق. يقول الإصطخري في هذا الصدد: "دبيل أكبر من أردبيل. خدمت هذه المدينة عاصمةً لأرمينيا وتقع فيها دار الإمارة. المدينة محاطة بسور ويقطنها مسيحيون عديدون. يقع المسجد الجامع إلى جوار الكنيسة. يصنعون في هذه المدينة ثياباً وسجاداً من صوف، وسادات مقاعد، خيوط وأصناف أرمنية أخرى. كذلك يُنتجون صباغاً أحمر يُدعى القرمز يصبغون به الأقمشة. علمت أن هذه الدودة، التي تفتل حول نفسها (تغزل) تشبه دودة القز. خلا ذلك علمت أنها تفرز مواد حريرية كثيرة".

Bibl. Geog. Arab. I, 188.

منح العرب اهتماماً خاصاً لمدينة ثيودوسيوبوليس (قاليقلا) التي كانت لها أهمية استراتيجية استثنائية كقلعة حدودية ضد بيزنطة. شيد الإمبراطور قسطنطين الأول أسوارها وتحصيناتها في القرن 6 م التي تعرضت للهجوم مرات عديدة من قبل البيزنطيين أنفسهم الذين هدموها باستمرار فأعاد العرب ترميمها وتحصينها دائماً. ومثالنا على ذلك أن الحاكم يزيد أعاد بناء أسوارها في عهد الخليفة المنصور.

. غيفوند، 130.

أنفق الخليفة المعتصم مبلغ 500,000 درهماً فضياً لإعادة بناء تحصينات المدينة.
. البلاذري، 199.

عندما احتل حبيب المدينة في القرن 7 م قام بتوطين 2,000 عربياً للدفاع عنها. نهايةً، حاول العرب تهجير السكان المحليين واستبدالهم بمستوطنين عرب بعد احتلالهم لأرمينيا. أما بقية مدن أرمينيا كموش، خلاط، بالو، منازكيرت، أرجيش، بيركري، فان، ناخيتشيقان، باكاران وسواها فقد كانت مراكز عسكرية–إدارية ذات أهمية محلية. ويمكن القول إن تطور مدينة موش بدأ في النصف الأول من القرن 9 م فقد كانت موطن الأمراء الباكراتونيين التارونيين وباكاران موطن الباكراتونيين الشيراكيين. شيد الأمير باكارات باكراتوني كنيسة "المخلّص المقدس" في موش وأنفق عليها 300,000 درهماً فضياً.
. طوماس أرتزروني ، 120.

رغم ركود اقتصادها وانكماش منتجاتها الحرفية لم تتحول أرمينيا إلى الإقتصاد الريفي بل حافظت على الإرث القروسطي الذي يعود إلى القرن 7 م على وجه الخصوص.
ساهم إنتاج النماذج السيراميكية في تطوّر مهن أخرى أيضاً في أرمينيا في القرون الوسطى المبكرة. يعود نوع من السيراميك المزجّج في دفين إلى القرن 9 م لأن نماذج منها تم كشفها في تلك الأبنية فقط التي إنهدمت بسبب هزة أرضية شديدة ضربت المدينة سنة 893م.
. غارو غافاداريان، مدينة دفين، 209.

تؤكد نتائج التنقيبات الآثارية المنهجية في مدينة دفين عن استمرار مهنة صناعة الزجاج في القرن 8 م وخاصة في القرن 9 م لأن هناك بعض المواد تعود إلى تلك الفترة. تم الكشف عن عدد كبير من الأواني الزجاجية أثناء تنقيبات الحي المركزي للمدينة التي

تتوازى مع نقود العباسيين المضروبة خلال القرنين 8–9 م. تشير دراسة هذه المواد أن الصنّاع جهزوا مختلف أشكال الزجاجيات وأنواعها.

. ر.جانبولاتيان، زجاج القرون الوسطى، 31–32.

يمكن الاستنتاج من جدول ضرائب أرمينيا لجاهشياري أن مهنة النسيج، الحياكة وصناعة السجاد استمرات طوال القرنين المذكورين. حاكوا مختلف أنواع الأقمشة والديباج على وجه الخصوص. ذكر اليعقوبي أقمشة صوفية أرمنية بناء على طلب الخليفة الأموي هشام.

. اليعقوبي، الجزء 2، 328.

كانت مدينة ثيودوسيوبوليس في أرمينيا مشهورة بصناعة السجاد التي طارت شهرتها في جميع مناطق الشرق. بناء على ياقوت الحموي تأتي كلمة "خالي" (السجاد) من اسم مدينة قاليقلا (ثيودوسيوبوليس) بالتسمية اليونانية.

. ياقوت الحموي، الجزء 4، 19.

ويبدو أن كلمة مخفور في الجدول المذكور أعلاه يعود على ما يبدو إلى هذه المدينة.

Bibl.Arab. Hist. und Geogr., I, 182a.

يشرح معجم "المحيط" لفيروزابادي كلمة "مخفور" أنها كانت قرية على ساحل البحر الأسود قرب مدينة طرابزون ولم تكن مشهورة كمركز لصناعة السجاد. تذكر المعاجم العربية الأخرى تجهيز السجاد في موقع مخفور. وبالتالي، وبناء على التعبير العربي "البساط المخفور" فإنه سجاد مصنوع في مدينة ثيودوسيوبوليس. صنع المهنيون الأرمن سجاجيد رائعة بين القرنين 7–9 م. يذكر سيميون ماكيستروس في حوليته أن البلغار حصلوا على غنيمة كبيرة أثناء غارة عام 819م من البيزنطيين كانت تحوي سجاجيد بوبر (أزغب).

. ب.أراكيليان، مدن وحِرَف، 291.

هناك كتابة شيقة لدى الكاتب العربي القفطي (عاش في القرن 13م) حول السجاد الأرمني المحلّى. يتحدث في كتابه "تاريخ الفلاسفة" حول الطبيب السوري النسطوري ابن بختيشوع (توفي عام 771م) مستشهداً بحديث له مع أحد شخصيات البلاط العباسي. وعندما كان الحديث يدور حول الروم عرض أحدهم سجادة أرمنية من أفضل منتجات أرمينيا عليها صور عبيد يلعبون في الحديقة "بطرق تسلية رومانية" وجاء عليها أسماء ملوك روم".

Al Qifti, Hrsg. J.Lippert, Leipzig 1903, 135-136.

رغم إعاقة الحروب مع بيزنطة كذلك الخزر تطورت تجارة أرمينيا مع البلدان الأخرى. لكن يجب ألا نفهم من ذلك أن هذه النزاعات المسلحة أغلقت طرق التجارة كاملةً. وكانت لأرمينيا وشيرفان صلات تجارية مع الخزر وحتى مع أوروبا الشرقية. وخير دليل على ذلك الكميات الكبيرة من نقود أرمينيا التي اكتُشفت في الكنوز النقدية لهذه المناطق.

. هاكوب مانانديان، التجارة والمدن، 199.

. خاتشاتور موشيغيان، تداول النقود، الخريطة.

(ترجم الدكتور ألكسندر كشيشيان الكتابين إلى العربية –المترجم).

تحققت تجارة أرمينيا الخارجية مع مقاطعات الخلافة العربية الرئيسية والعراق وإيران على وجه الخصوص. مع ذلك حدّ الخلفاء هذه الوتيرة مراراً. من المحتمل أن المؤرخ الأرمني كان يلمّح إلى هذا الحد عندما توفي الخليفة المنصور فهدم ولي عهده المهدي المخافر الأمامية على حدود المقاطعات كي يمنح التجار حريات كبيرة.

. غيفوند، 154–155.

تحوز الكنوز النقدية المكتشفة على أهمية قصوى لإظهار علاقات أرمينيا التجارية مع البلدان الأخرى. عندما رسخت الخلافة هيمنتها كاملةً على أرمينيا قام الخليفة الأموي عبد الملك بإصلاحات نقدية بإصدار نقود إسلامية جديدة: دنانير ذهبية، دراهم فضية وفلوس

نحاسية. ضربوا الدنانير الذهبية بعيارات عالية من معدن الذهب وتزن القطعة الواحدة 4,25 غراماً. لكن، وبناء على المكتشفات النقدية، لم تكن الدنانير الأموية والعباسية واسعة الانتشار في أرمينيا، بينما كانت الوحدة الرئيسية وتحديداً الدراهم الفضية (درام بالأرمنية) في الأساس في مقاطعات الخلافة العديدة كذلك أرمينيا الذي يزن 2,97 غراماً من معدن الفضة بناء على قانون الإصلاح النقدي لعام 696–697م.

. خاتشاتور موشيغيان، التداول النقدي، 21.

عملت دار ضرب نقود في العاصمة دفين منذ بدايات القرن 8 م وكانت الأولى في أرمينيا. أصدروا نقوداً وذكروا مكان ضربها بتعبير "ضُرب بدبيل" كذلك باسم جميع المناطق بتعبير "ضُرب بأرمينيا". أصدروا فلوساً نحاسية أيضاً باسم دبيل وأرمينيا. علاوة على ذلك تُعتبر دار ضرب نقود دبيل من أقدم الدور العاملة على مساحة الخلافة العربية. ضربت هذه الدار نقوداً من أجل مدن أخرى أيضاً مثل Partev (بردعة)، باجونايس (معدن باجونايس)، الهارونية (هاروناباث)، تيفليس، باب الأبواب واليزيدية (قرب شاماخي). ضربوا دراهم فضية باسم أرمينيا في وقت لاحق أثناء حكم العباسيين ليس في دفين فقط بل في مدينة بردعة أيضاً.

Pakhomov, Maneti Kladi Azarbaidjana I Zakavkazia, Baku 1926, 22-23, بالروسية

. خاتشاتور موشيغيان، إصدار النقود العباسية، 144.

ضُربت فلوس نحاسية في دفين في عهد العباسيين تذكر اسم المدينة فقط. وكانت هذه الفلوس النحاسية تستخدم في العادة في مجال التجارة الداخلية (فراطة–المترجم) بينما خُصصت الدراهم الفضية للتجارة الخارجية كنقود دولية. لم تكن العلاقة بين الدراهم والدنانير والفلوس ثابتة دائماً من حيث القيمة بل جرت عليها تغييرات بين القرنين 8–9 م. وكانت نسبة الدينار تجاه الدرهم 10:1 في بادئ الأمر حتى وصلت إلى نسبة 15:1

لاحقاً. من المؤكد جداً أنهم لم يتعاملوا مع الدنانير والدراهم عن طريق عددها بل انطلاقاً من أوزانها أثناء المعاملات التجارية الكبيرة.

. خاتشاتور موشيغيان، إصدار النقود العباسية، 152.

لم تتطرق النقود المضروبة في دفين ومدن أرمينيا الأخرى إلى الأسماء المحلية فقط، بل إلى مناطق مجاورة أيضاً. وخلا النقود المحلية كانت تتداول في أرمينيا نقود صدرت عن جميع دور الضرب في الخلاقة. ودليلنا على ذلك الكنز النقدي المكتشف في كارني الذي يحوي دراهم ضُربت في 17 موقع في مناطق الخلافة بدءاً من البَلْخ والشاش (في آسيا الوسطى) في الشرق حتى إفريقيا غرباً.

. خاتشاتور موشيغيان، التداول النقدي، 22.

لا شك ليس الكشف عن دراهم فريدة كافياً كي نشكل تصوراً كاملاً حول صلات أرمينيا الإقتصادية مع مقاطعات الخلافة. تشير دراسة تركيبة الكنوز المكتشفة على مساحة أرمينيا أو كارتلي أو شيرفان إلى الوجهة السياسية للعلاقات التجارية–النقدية. وبناء على المعلومات النقدية تُلاحَظ الوجهات التالية:

(أ) إنطلقت الطريق الجنوبية–الغربية عبر أرمينيا وآذربيجان نحو الكوفة، الوسيط، البصرة في العراق، دمشق، العباسية ثم الأندلس في إسبانيا.

(ب) إنطلقت الطريق الجنوبية–الشرقية إلى طبرستان، خرسان وما وراء النهر.

. المصدر ذاته، 48–49.

لم تحُزْ مدن أرمينيا على أهمية عسكرية فحسب، بل كانت لطرقها القيمة ذاتها. نقول بشكل عام إن الخلافة العربية لم تشق طرقاً لغايات تجارية بل لأهداف عسكرية–حربية. تشير المصادر التاريخية إلى مرور "الطريق الملكية" من خلال أرمينيا وكانت تمتد بين دفين وثيودوسيوبوليس.

. غيفوند، *140*.

إنطلقت طريق رئيسية أخرى هامة من دفين (دبيل) إلى خلاط (أخلاط) ومن هناك إلى سوريا والعراق عبر باغيش (بدليس). خرجت طريق من دفين إلى بردعة طولها 7 محطات (سكّة) ومن هناك إلى دربنت طولها 15 سكة ومن دفين إلى ناخيتشيفان 20 فرسخاً ومن هناك إلى وادي آراكس (الرسّ) حتى آذربيجان.

Bibl.Geogr. Arab., I, 122.

كانت الطرق تحت رعاية "ديوان البريد". كانت هناك محطتان لكل 6 أميال (أو كل فرسخين) لتبديل الخيول أو البغال.

A.Mets, Mousoulmanski Renesans, 384, بالروسية

استُخدمت الأحجار الميلية في أرمينيا كمقاطعات الخلافة العربية بين المدن الكبيرة للإشارة إلى البعد عن المدينة التالية. اكتُشف بعضها في تيفليس تحوي كتابة مقتضبة: "باسم الله ثلاثة أميال عن تيفليس".

B.A.Kratchkovskaya, Pamyatniki arabskovo pisma v Sredney Azii I v Zakavkazyeh, Epigraphia Vostoka, VI, 1952, 89.

جاءت الكتابة التالية على الأحجار الميلية المكتشفة في سوريا: "أمر عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين بشق هذه الطريق ونصب الأحجار الميلية. أجَل سيكون فضل الله عليه. من دمشق حتى هذا الميل سبعة أميال ومئة ميل".

. المصدر نفسه، 89–90.

كانت الغاية من إقامة الأحجار الميلية تنظيم بريد الخلافة مع تزويد المحطات بالأعتدة، الفرسان والموظفين الضروريين. لم يستخدم البريد العربي الخيول والبغال فقط بل الجمال

أيضاً. ومثالنا على ذلك أنه، بعد ثورة أرمينيا في عام 851م، نقل العرب أمراء فاسبوراكان الثوار أسرى إلى سامراء على ظهر الجمال في الهوادج.
. *طوماس أرتزروني، 139.*

أعاق غياب أمن الطرق التطور الطبيعي للتجارة. ومثالنا على ذلك معلومة ميخائيل السرياني أنه في ثلاثينيات القرن 9 م كان مانكشور، ابن شقيق أفشين حاكم آذربيجان وأرمينيا، يتعاطى بأعمال السلب والنهب وسرق أحد التجار الأرمن. وعندما شكا التاجر قدم له أفشين رسالة موجهة إلى قريبه يأمره فيها بإعادة المسروقات. أمره في الوقت نفسه بقتل التاجر بقطع الرأس وأرسل رأسه إلى الخليفة قائلاً إن الرأس لصهر بابك.
. *ميخائيل السرياني، الجزء 3، 101–102.*

حاول العرب إدخال أوزانهم ومكاييلهم إلى أرمينيا. علم حاكم أرمينيا الجرّاح في عهد الخليفة يزيد الثاني 720–724م حول سوء استخدامها فبدّل المنظومة القديمة بالمنظومة الجديدة الدقيقة المعروفة باسمه فاستخدمها السكان حتى القرن 9 م.
. *البلاذري، 206.*

إستخدم التجار الأرمن اللغة العربية في علاقاتهم التجارية مع بلدان الخلافة. تعود الأختام العربية من القرن 9 م المكتشفة أثناء تنقيبات مدينة دبيل لا للحكام العرب بل من المحتمل إلى التجار الأرمن.

(6) الحركات الإجتماعية–الهرطقية

سبب نير ظلم الخلافة العربية كذلك استغلال الإقطاعيين المحليين سخطاً في جميع البلدان التي قامت بالهيمنة عليها. مرّت سنوات النصف الثاني من القرن 8 م وطوال القرن 9 م باندلاع ثورات شعبية ضد حكم الخلافة العربية. قامت ثورة فلاحية سنة 755م

بقيادة شُنْبات وانتشرت نيرانها من خرسان إلى آذربيجان. صعقت ثورة "المرتدين البيض" بقيادة هاشم بن حكيم بلاد وراء النهرين 776–783م. وكان الغطاء الأيديولوجي لهذه الحركات عقيدة طائفة الخُرّاميين. كانت ثورة "الخُرّاميين الحُمْر" الكبرى حرباً فلاحية بقيادة بابك 816–837م انطلقت من آذربيجان وانتشرت حتى أصفهان وكيرمان. كذلك سددت ثورة الزنوج 869–883م، التي انضم إليها الفلاحون والبدو، ضربة قوية للخلافة.

جرى تمازج بين الحرب الشعبية–التحررية والإجتماعية–الطبقية في ظروف حكم الخلافة في أرمينيا. وكانت جميع ثورات الأرمن تتطلّع إلى تخفيف نير الضرائب بالإضافة إلى استقلال الإقطاعيين.

S.Akobian, Istoria Armianskovo Krestyanstva, 515-524, بالروسية.
Nina Garsoyan, The Paulicien Heracy, 120-130.

ومثالنا على ذلك أن الثوار الأرمن قتلوا جباة الضرائب العرب سنة 774م وقام الفلاحون الأرمن، بينهم بعض البافليكيانيين الهراطقة على ما يبدو والإقطاعيين المحليين ضد الخلافة 747–750م. وبناء على شهادة المؤرخ الأرمني غيفوند: "إشترك أبناء الخطيئة مع قوات العصاة، الذين لا يعرفون مخافة الله ولا مخافة الأمراء أو احترام كبار السن. قاموا بحملات كالغرباء، أسروا الأشقاء، نهبوا البلاد وفرّقوا الإخوة بمضايقاتهم وتعذيبهم".

. غيفوزند، الترجمة الروسية، 86–87.

جرت اضطرابات فلاحية جدية أثناء ثورة 774–775م في أرمينيا الرابعة ضد الإستغلال الإقطاعي والنير الضريبي.

كانت شيعة الهراطقة البافليكيانيين في أرمينيا الحركة الأكثر تشويقاً. نشأت وتطورت في مناطق أرمينيا الغربية البيزنطية وتوسّع مداها في بقية مقاطعات البلاد الواقعة تحت هيمنة الخلافة. هناك أساطير عديدة حول نشوء تعبير "بافليكيانيون" مرتبطة باسم شخصية

تدعى Pavel. ليس هناك أدنى ريب أنهم يكرّمون المبشّر بولس ويعتبرون أنفسهم نصراء له ويشهد البطريرك فوتيوس على ذلك.

E.Lipshitz, Otcherki Istorii, 141.

نشأت الحركة رداً على الاستغلال الإقطاعي الكنسي ونير بيزنطة الضريبي والمذهبي والسياسي في مناطق أرمينيا. توسعت رقعة البافليكيانية، التي نشأت في المناطق الغربية من أرمينيا الكبرى في مناغي على وجه الخصوص، ثم في مناطق أرمينيا الصغرى تدريجياً. ذهبت جميع جهود الدولة أدراج الرياح لإرغام الهراطقة على العودة إلى الإيمان الرسمي للكنيسة البيزنطية.

. ك.م.بارتيكيان، المصادر، 37-138.

لم تُفلح هذه الوسائل في الحد من نشاط هذه الحركة فانتقل أفرادها إلى مقاطعات أرمينيا الواقعة تحت سيادة العرب وحتى إلى أبعد منها حتى أرّان في النصف الأول من القرن 8 م. إنتشرت الحركة في أرمينيا إلى حد كتب الكاثوليكوس هوفهانَس Odznetsi رسالة خاصة ضدها. إنعقد اجتماع كنسي في عهد الكاثوليكوس ميكائيل 702-705م لمحاربة الهراطقة حيث ذُكر البافليكيانيون في القرارات التي تبناها المجتمعون.

. المصدر نفسه، 31-33.

أُعيد توطين الهراطقة البافليكيانيين في أرمينيا في عهد الكاثوليكوس. لاحق الإمبراطور فيليبيك 711-713م الأرمن في آسيا الصغرى وأرغمهم على التوطين في ميليتينيه (ملاطيا) وأرمينيا الرابعة وأضحى المستوطنون حلفاء العرب في حربهم ضد بيزنطة حسب المؤرخ ميخائيل السرياني.

. ميخائيل السرياني، 31-33.

كان وجود الهراطقة على المناطق الحدودية العربية–البيزنطية (الثغور) مفيداً للعرب لأن هؤلاء كانوا عناصر معادية للبيزنطيين. ففي كلمته الشهيرة ضد البافليكيانيين أكد الكاثوليكوس هوفهانّس أودزنيتسي أنهم كانوا موجودين في إحدى مقاطعات أرمينيا يصفها بـ "جحر" لكن بدون تسميتها. ومن المحتمل أن منطقة ماناناغي، التي ذكرها بطرس الصقلّي قرب الحدود العربية–البيزنطية، كانت ذلك المعقل.

. ر.م.بارتيكيان، مصادر، 37–38.

إنتقد الهراطقة كنيسة أرمينيا وسمّوا رجال دينها "عبادي الأصنام بسبب عبادة صليب الرب الأغرّ".

المصدر ذاته، 38.

دعا الكاثوليكوي المؤمنين إلى اليقظة وعدّ عقد صلات مع الهراطقة إثماً وبدوره نعتهم "محاربي الأيقونات". فسُن قانون خاص (رقم 32) في مَجْمَع دفين الكنسي المنعقد سنة 719م ينص: "يجب عدم السكن في مناطق الهراطقة البافليكيانيين في ميساليان أو التحدث إليهم أو الاقتراب منهم. أما إذا دنا أحدهم منهم فيجب إنزال عقاب شديد عليه. فإنْ كرّر ذلك فإنه سيُبعد من حضن الكنيسة".

. كتاب القوانين، الجزء 1، 534–535.

مع ذلك لم يكن بوسع الكاثوليكوس هوفهانّس أودزنيتسي اتخاذ وسائط قاسية ضد البافليكيانيين أو استئصالهم. وكان يحق له إنذارهم فقط ومعاقبة الذين يقطنون قرب حدود مقاطعات أرمينيا. أما ما يتعلق بالبافليكيانيين على الحدود العربية–البيزنطية فيبدو أن الكاثوليكوس كان عاجزاً في محاربتهم أو تبني وسائط صارمة ضدهم. خلا ذلك أكد الكاثوليكوس شخصياً أن البافليكيانيين اتحدوا مع العرب.

حاول البافليكيانيون الفرار من طغيان المناطق الحدودية القريبة من المناطق البيزنطية فاتجهوا نحو بونتوس بقيادة بافل. أصبح كيكنيس ابن بافل الأرمني زعيم البافليكيانيين في عهد الإمبراطور ليو الثالث الإزاوري 717–741م (الأرمني الأصل–المترجم) وتوفي سنة 747م بسبب إصابته بمرض الطاعون وتقلّد المنصب من بعده ربيبه يوسف وابن زاخار واتخذت الحركة في عهده طبيعة شعبية–تحررية انطلاقاً من مواقعها الطبقية. إشترك البافليكيانيون في أرمينيا في ثورة 747–750م.

نجد فتحاً جديداً لدى المؤرخ غيفوند حول الاضطرابات الشعبية أثناء هذه الثورة قائلاً: "هؤلاء أولاد الزنا والخطيئة الذين لا يعرفون مخافة الله ولا مخافة الأمراء قاموا بحملات، أسروا، نهبوا البلاد ومزقوا إخوانهم عن طريق التعذيب والإضطهاد". ويبدو أن ضحايا هذه الحملات وعمليات النهب كانوا من الإقطاعيين.

. *غيفوند، الترجمة الروسية، 86–87.*

. *ر.م.بارتيكيان، مصادر، 41–51.*

كما يظهر في نص المؤرخ غيفوند فإنه يقصد الأرمن. إتجه هؤلاء الثوار إلى بونتوس وتحولوا إلى معارضين للكنيسة الأرمنية الرسمية والإقطاعيين. هناك فتح شيق لدى المؤرخ بطرس الصقلّي يمنحنا أساساً للاعتقاد أن "أبناء الخطيئة" هم البافليكيانون تحديداً. كذلك تعقّب العرب البافليكيانيين في منطقة ماناناغي منذ البدايات الأولى للثورة في أرمينيا. وبعد وفاة كيكنيس البافليكياني الهرطقي إنقسمت عقيدته إلى قسمين: إنضم القسم الأول إلى زاخار والباقي إلى يوسف و"ترأس كل منهما أتباعه بعد مدة ورغب بالفرار من هذه المناطق إلى تايك. وهكذا تحوّل البافليكيانيين، الذين كانوا حلفاء العرب سابقاً، إلى أعداء بسبب سياسة العرب الضريبية القاسية التي خلقت ظروفاً لم يتحملها المسيحيون وعارضها البافليكيانيون لأنهم كانوا بدورهم يملكون أراضٍ زراعية ومواشٍ.

. *المصدر نفسه، 44–48.*

إنتقل الفارون من ماناناغي، مركز البافليكيانيين على أراضي أرمينيا المحتلة من قبل العرب، إلى إيبيسباريس في بونتوس المركز الآخر لهذه الحركة في بيزنطة: "إستغل يوسف–أفرونيت الأحوال السانحة فهرب برفقة جميع أفراد جماعته من هذا المكان وذهب إلى قرية إيبسيباريس المذكورة حيث التقى مع سكانها بحبور. أشعل الجميع الفوانيس وعبّروا عن فخارهم لملاقاته كأنه من تلاميذ المسيح. وعندما علم بذلك أحد التقاة من الأرخوند المحليين يُدعى كريكوراخيس حاصر الدار مع محاربين عديدين وأفلح في اعتقال مساعدي يوسف الذي أفلح في الفرار إلى فريجيا ومن هناك إلى أنطاكيا".

. المصدر ذاته، 140.

من المحتمل كريكوراخيس هذا كان الأمير كريكور ماميكونيان الذي كان موجوداً في ثيودوسيوبوليس في هذا الوقت وكان على علاقة جيدة مع جبليي مناطق بونتوس. فأثناء ملاحقة زعيم البافليكيانيين إنعكس موقف كريكور أثناء ثورة الأمراء الأرمن بكره هؤلاء ضد هراطقة أرمينيا. طبعاً وحّد الأمراء الثوار والبافليكيانيون كفاحهم ضد الخلافة رغم صعود جدالات جدية بين هذين الطرفين.

. غيفوند، 129.

لم يكن غيفوند يشير إلى البافليكيانيين فقط على أنهم "أبناء الخطيئة" بل إلى جميع الأعداء والعناصر السلبية والثوار ضد الخلافة العربية كـ "أبناء زنا". بناء على تعبير بطرس الصقلّي كان البافليكيانيون حذرين إلى الحد الأقصى ويرغبون في الابتعاد بدون ضجة بينما أكد غيفوند على أن "أبناء الزنا" على عكس تلك الصورة كانوا شجعاناً وجريئين جداً ولم يرتعدوا أو يقتلوا أو يبيدوا.

. المصدر نفسه، 18.

من المحتمل أن الفلاحين المحليين حول مناطق ماناناغي ثاروا بدورهم مع الهراطقة.

حاولت بيزنطة التخلص من البافليكيانيين. وعندما احتلت مالاطيا (ميليتينيه) وقاليقلا (ثيودوسيوبوليس) في منتصف القرن 8 م إستوطن السكان المحليون، بينهم بافليكيانيون، في ثراقيا حيث نشروا عقيدة البافليكيانيين فصعدت سطوة الحركة بدءاً من عام 801م عندما قاد سيرغي البافليكيانيين طوال 34 سنة. وصلت سطوة الهراطقة في أرمينيا في الأعوام 813–820م في عهد الإمبراطور ميخائيل الأول وليو الخامس إلى حد أمرا بإبادتهم بدون رحمة. ورداً على هذه الملاحقات الشديدة اشترك البافليكيانيون بكل سرور في ثورة فوما في آسيا الصغرى ضد الإمبراطورية. فقُتل عدد كبير منهم في عهد الإمبراطور ثيوفيلوس 829–842م فيما بعد. أرغمتهم هذه الملاحقات القاسية على تخطي الحدود بقيادة سيرغي في ثلاثينيات القرن 9 م لإيجاد ملجأ عند عرب مالاطيا واستقبلهم أميرها عمر بن عبد الله الأكتع وقدّم لهم مدينة أركاوس. وبعد تحصّنهم فيها قرر البافليكيانيون برئاسة سيرغي ثم القائد العسكري كاربياس القيام بحملة على الأراضي البيزنطية. قُتل سيرغي سنة 835م. لم ينتخب البافليكيانيون زعماء دينيين لهم بعد وفاته. وكان سيل الفارين البافليكيانيين من بيزنطة كبيراً جداً بحيث لم يكن ممكناً توطينهم في مدينة أركاوس فشيد كاربياس مدينة تفريكيه الجديدة المحصنة (الأبريك حسب تسمية العرب) من أجل أبناء شيعته ومن هناك اشتركوا بحملات ضد بيزنطة ضمن القوات العربية مسببين لها أضراراً جسيمة طوال 40 سنة.

هناك رسالة شيقة لدى المؤرخ بطرس الصقلّي حول نشاطات كاربياس: "كان من جانب واحد من المبعدين لعند حاكم مالاطيا غير البعيدة ومن جهة أخرى لم يحتك بالناس وتشبّه بالشيطان والروح الشريرة كاملاً. شاء بالاقتراب من أرمينيا ومانيا. وهؤلاء الذين خضعوا له جعلهم حلفاء له واستخدمهم في مسألة الأسر. أما الذين لم يستكينوا إلى أوامره فقد سلّمهم إلى الساراسينيين (العرب المسلمين–المترجم).

. ر.م.بارتيكيان، مصادر، 149.

إعتبر البافليكيانيون أنفسهم قوة سياسية مستقلة على بعض الأراضي شريطة الخضوع

للخلافة العربية بدءاً من ثلاثينيات القرن 9 م وظهور كاربياس على وجه الخصوص الذي هرب من البيزنطيين في عام 843–844م تقريباً.
Nina Garsoyan, The Paulicien Herecy, 126-127.

بعد وفاة كاربياس سنة 863م أصبح صهره خريسوخير القائد العسكري للبافليكيانيين وقرروا القيام بحملة ضد آسيا الصغرى تحت إمرته. دمّر باسيل الأول (أرمني أسس العائلة الإمبراطورية البيزنطية المقدونية–المترجم) قوة البافليكيانيين. ورغم تعرضه إلى اندحار قاس سنة 871م لم يقع خريستوخير في الأسر لكنه سقط في شرك بعد عام واحد 872م على طريق عودته من حملة موفقة على أنقرة واعتُقل ثم أُعدم. هُدّت مدينة تفريكيه وتشتت شمل البافليكيانيين وظل بعض أفراد هذه الحركة في أرمينيا واتحدوا مع شيعة أرمنية أخرى تُدعى التوندراكيين. وكان البافليكيانيون قد استوطنوا باستمرار في منطقة ثراقيا البيزنطية طوال القرنين 8–9 م وقاموا بأدوار غير قليلة. كان للبافليكيانيين تنظيمهم الداخلي الخاص. وكانت هذه الطائفة تشكل وحدة سياسية مستقلة. وكان زعيم الطائفة صاحب الأمر والنهي كاملاً. وخلا الزعماء الدينيين كانت للطائفة قادتها العسكريين (أرخوند القوات المسلحة) إشتهر منهم اثنان: كاربياس وخريستوخير. تأثرت فلسفتهم الدينية بالمانية والمزدكية واحتلت الثنائية Dualism مكانة بارزة في عقيدتهم. وكان هناك إلهان في عقيدتهم: إله الخير وإله الشر. وهذا الأخير كان يُعتبر الخالق ويُدعى "ساتانا". لم يكن بوسع إله الخير أن يكون مصدراً لعدم المساواة والظلم والعدالة. وكانوا يحاربون الأوضاع غير العادلة أي ضد إله الشر كي ينعكس نور إله الخير عليهم.
إعتبر البافليكيانيون أنفسهم فقط مصدر العقيدة المسيحية والمسيح ابن رب السماوات الحليم العادل وملاك رب السماوات الذي يمكن أن يمنحه مظهراً بشرياً. لذلك استثنوا العذراء مريم كونها والدة الإله واعتمدوا على العهد الجديد فقط من الكتاب المقدس خلا رسائل التلميذ بطرس. عدا العهد الجديد قرأ البافليكيانيون رسائل سيرغي رئيس هذه الشيعة المشهور. رفضوا فكرة الكنيسة وأنظمتها ووضعية رجال الدين وطقوس العماد والمناولة. لم

يعترفوا كذلك بالقديسين والأيقونات واعتبروا مبجّلي الأيقونات مشركين وعباد أصنام.
E.Lipshits, Otcherki I Istorii, 160-170, بالروسية

سمح تحليل المصادر لتحديد تمدد حركة البافليكيانيين الإقليمي الواسع جداً. ومن "المناطق الملوثة" بهذه الزندقة قسم مهم من آسيا الصغرى ومقاطعاتها الداخلية على وجه الخصوص مثل مقاطعة أرمينياك والمناطق القريبة منها، مقاطعة كولونيا، أنطاكيا، أموريا ومناطق أخرى في فريجيا وليكونيا، ميليتينيه (مالاطيا) التي يذكرها ثيوفانيس مع ثيودوسيوبوليس كمركز لإعادة توطين السريان والأرمن في فريجيا، تفريكيه، أركاوس، أمارا التي بناها البافليكيانيون وهُدمت أثناء حملة القوات البيزنطية على تفريكيه. صاموصات (سميساط) على الفرات حيث كانت بداية هذه الحركة بناء على شهادة بعض المؤرخين. موبسويستيا في كيليكيا. ثراقيا.

علينا التذكير أيضاً أن البافليكيانيين لجأوا دائماً إلى الحدود العربية–البيزنطية (الثغور–المترجم) وحافظوا على وجودهم هناك بفضل ضعف بيزنطة والخلافة العربية. لكن، وبعد صعود بأس بيزنطة في هذه المقاطعات الحدودية في القرن 9 م، دحرت البافليكيانيين.

ظهرت في هذا الوقت حركة هراطقة جديدة وتحديداً التوندراكيون التي انتشرت في أرمينيا فقط. هناك نقاش حول تاريخ بداية هذه الشيعة في المصادر التاريخية المختلفة. ويُعدّ المؤرخان الأرمنيان القروسطيان أستيبانوس أصوغيك وكريكور ماكيستروس المصدرين الرئيسيين اللذين يشهدان حول نشوئها. كتب أصوغيك قائلاً حول ذلك: "ظهر في عهد الكاثوليكوس هوفهانّس دراسخاناكيردتسي في نهاية القرن 9 م الهرطيق سمبات من شيعة التوندراكيين المعارض لجميع القوانين المسيحية في قرية زاريهافان التابعة لناحية تسالكوتن".

أصوغيك، 160.

إلا أن كريكور ماكيستروس، الذي عاش بعد أصوغيك بعدة عقود في القرن 11م، طابق

في رسالته ظهور سمبات "في عهد الكاثوليكوس هوفهانّس والأمير سمبات باكراتوني.
. كريكور ماكيستروس، 153.

تطرق كريكور إلى زعماء التوندراكيين المعاصرين وكتب قائلاً: "كافح 13 بطريركاً وجميع رجال الدين في أرمينيا الكبرى ضد حركة الهرطقة هذه طوال 170 عاماً".
. المصدر نفسه، 154.

كتب ماكيستروس في رسالة أخرى قائلاً: "لبّد التوندراكيون الأجواء السلمية طوال ما ينوف على 200 سنة وتفانوا في ضلالهم وابتعدوا عن جالية المسيح بدون لفت الاهتمام بها، بالأساقفة، الملوك، الأمراء وجميع الأشخاص الثابتين على إيمانهم".
. المصدر ذاته، 65.
. أ.ك.هوفهانّسيان، حركة التوندراكيين، 102.

تطرق المؤرخ الأرمني الأب المخيتاري م.تشاميتشيان إلى شهادات كريكور ماكيستروس في النصف الثاني من القرن 18 قائلاً إن المؤرخ كان يومئ إلى الكاثوليكوس هوفهانّس Ovayetsi 833–855م وأمير أرمينيا وقائد جيشها سمبات باكراتوني 826–855م عند ذكر الكاثوليكويس هوفهانّس والأمير سمبات باكراتوني.
. م.تشاميتشيان، تاريخ أرمينيا، الجزء 2، 894.

عند تحدثه حول قِدَم حركة الهرطقة هذه، التي جاوزت السنوات الـ 200، يعتقد كريكور أن بداية الكفاح ضد الحركة كانت قبل 170 عاماً أثناء بداية مطاردتهم بفاعلية تحديداً.
. أ.هوفهانّسيان، حركة التوندراكيين، 102.

باشر الباحثون في تاريخ حركة التوندراكيين في نهاية القرن 19 وبدايات القرن 20 مثل ب.سركيسيان ، ك.تير مكرديتشيان، مؤرخ الكنيسة الأرمنية وبطريرك الأرمن في القسطنطينية في عهد السلطان عبد الحميد ماغاكيا Ormanian بتحديد تاريخ نشوء هؤلاء منذ عهد ملك أرمينيا سمبات الأول 890–913م والكاثوليكوس هوفهانّس دراسخاناكيردتسي 898–929م بناء على شهادات المؤرخ المعاصر أستيبانوس أصوغيك.
K.Ter Mkrtitschian, Die Paulikianer im Byzantinischen Kaiserreiche, Leipzig 1893, 82.
. ب.سركيسيان، دراسة شيعتي البافليكيانيين والتوندراكيين، البندقية 1898، 62، بالأرمنية.
. ماغاكيا أورمانيان، أزكاباتوم، الجزء 1، 1068–1070، بالأرمنية.

تم التأكيد على رأي م.تشاميتشيان في السنوات الأخيرة في دراسات أ.هوفهانّسيان الجديدة مشيراً إلى أن ظهور سمبات زاريهافانتسي، مؤسس الحركة، على الساحة التاريخية يعود إلى النصف الأول من القرن 9 م وتحديداً في السنوات العشر الأخيرة لهيمنة الخلافة العربية على أرمينيا. إستخلصت الحركة اسمها من "توندراك" وهو موقع في شمالي بحيرة فان. باشر الهرطيق سمبات في تقديم وعوظه ونشط في هذا المكان. مع ذلك لا نعلم عنه سوى القليل جداً ويبدو أنه نشط في أرمينيا في القرن 9 م في وقت عندما بدأت بيزنطة بحملات اضطهاد عنيفة ضد الهراطقة البافليكيانيين على مناطق الثغور العربية–البيزنطية الذين لجأوا إلى مساعدة أمير مالاطيا(ميليتينيه). وكانت الحركة استمراراً عملياً لحركة البافليكيانيين لذلك تعقدت أحوالهم في المقاطعات البيزنطية فهرب الباقون شرقاً نحو أرمينيا. هُزم البافليكيانيون سنة 872م فصعد نشاط التوندراكيين في أرمينيا نتيجة توطّن البافليكيانيين الباقين في الشرق وكانت النتيجة صعود شأن حركة الهراطقة الجديدة في أرمينيا ذاتها. إضطُهِد التوندراكيون بدورهم وقُتل زعيمهم سمبات زاريهافانتسي. إستمرت حركة التوندراكيين في التطور والانتشار في أرمينيا في عهد جميع الملوك الباكراتونيين في القرنين 9–10م وعلى وجه الخصوص في النصف الأول من القرن 9 م. قام التوندراكيون

ضد الكنيسة الرسمية التي كانت قد استأثرت بسلطة هائلة بين يديها. بناء على وصف كريكور ماكيستروس رفض التوندراكيون طبيعة الكنيسة ورجال دينها الكبار ووافقوا فقط على هؤلاء المعترف بهم من قبل جموع المؤمنين.

. كريكور ماكيستروس، 154.

لم يرفضوا إطاعة رجال الدين الكبار فحسب، بل السلطة المدنية أيضاً. وبكلمة أخرى خالفوا جميع الأنظمة الإقطاعية السائدة.

. المصدر نفسه، 160.

كتب كريكور ناريكاتسي في رسائله أن الهراطقة التوندراكيين رفضوا "أسرار الكنيسة" مثل العماد، المناولة، الرسومة، مراسيم الزواج وغيرها. إنتشر التوندراكيون بشكل أساسي بين الفلاحين التابعين.

. آرام تير غيفونديان، الإمارات العربية في أرمينيا، 234-238، بالأرمنية.

(ترجم الكتاب إلى العربية الدكتور ألكسندر كشيشيان-المترجم).

طبعاً يتعلق تاريخ حركة التوندراكيين بشكل أساسي بمملكة الباكراتونيين في أرمينيا. ولأن الحركة نشأت في عهد الهيمنة العربية فإنها تُعتبر استمراراً لحركة البافليكيانيين وتثير اهتماماً خاصاً في دراسة الحركة الاجتماعية في أرمينيا بين القرنين 7-9 م.

تستحق حركة الخُرّاميين في آذربيجان ومناطق الخلافة الأخرى في هذا السياق إلى اهتمام خاص. ظهرت شيع شتى في مناطق إيران المختلفة بين القرنين 8-9 م وكانت استمراراً لحركة المازداكيين وبوسعنا وصفهم بشكل عام بـ "المازداكيين الخورّاميين". إنتشرت هذه الشيع في مختلف الأوقات في مناطق خرسان، ما وراء النهر (آسيا الوسطى)، الرَيّ، أصفهان، جَبَال (العراق الفارسية)، خوزستان، لوريستان وآذربيجان. يعود تعبير "حركة المازداكيين الخورّاميين" إلى الكلمة العربية "حركة المحمّرين" (المرتدين الثياب الحمراء)

التي رفعت راية الثورة في بدايات صعود العباسيين على سدة الحكم في سبعينيات القرن 8 م في آسيا الصغرى بالإضافة إلى ثورة بابك في آذربيجان 816–837م.
I.P.Petroushevski, k Istorii Mazdakitov, 71-81.

توصف جميع الحركات المازداكية–الخورّامية أنها ثورات شرائح الدِرْك الأسفل من المجتمع وذات طبيعة فلاحية. تحدث مؤرخون عرب حول الخورّاميين كحركة دينية لها أتباع في القرى فقط. ويُعتقد أن تركيبة الشيعة المازداكية–الخورّامية كانت فلاحية صافية ويقطن أفرادها في مناطق جبلية متأخرة.
. المصدر ذاته، 74.

تحمّلت عقيدة شيعة المازداكيين الدينية–السلوكية تغييرات أكبر في فترة سيطرة الإسلام مقارنة مع الحقبة الساسانية. ففي الفترة الأولى من حكم العباسيين وقبل ذلك جرى تقارب أفكار بين المازداكيين–الخُرّاميين وشيعة المتطرفين. ومن دون ريب إشترك المازداكيون في ثورة أبي مسلم 747–750م إلى جانب العباسيين حيث رفعت جموع الفلاحين شعاراتهم الاجتماعية.
. المصدر نفسه، 75.

تأسست عقيدة المازداكيين–الخُرّاميين الاجتماعية على إمكانية إقامة مجتمع عادل منصف. من الشيق أن نعلم كان للخُرّاميين بعض الأصداء في أرمينيا أيضاً. وللبرهان على وجود صلات بين التوندراكيين الأرمن والخورّاميين إستند أ.هوفهانّسيان على شهادات بعض المؤلفين الأرمن من القرون الوسطى. ففي رسالة بعث بها إلى كاثوليكوس السريان يشهد كريكور ماكيستروس أن سمبات زاريهافانتسي إقتبس "عقيدته الحية" من طبيب وعالم فلك مجوسي فارسي.
. كريكور ماكيستروس، 153.

. أ.ك.هوفهانّسيان، سمبات زاريهافانتسي، عصره ومعاصروه، "مجلة دار المخطوطات"، يريفان 1956، المجلد 3، 20-25، بالأرمنية.

رغم ذلك نعتبر أن هذه النقاشات غير وافية لإظهار علاقة التوندراكيين الأرمن بالخُرّاميين.

غابت العدالة الاجتماعية بالنسبة لحقوق الشعوب المسيحية في الخلافة العربية. لدى المؤرخين العرب شهادات عديدة هامة حول علاقات الخلافة مع رعاياها المسيحيين وغير المسلمين بشكل عام في بلاد ما بين النهرين، أرمينيا، سوريا ومصر. وبما أن غالبية هذه الشهادات تعود نسبياً إلى ما بين النهرين، سوريا ومصر من المناسب إجراء مقارنة بين البلدان المذكورة وأرمينيا.

سُمّي المسيحيون واليهود كذلك غير مسلمين آخرين بـ "أهل الذمة". بناء على الاتفاقيات المعقودة بين الطرفين ضمنت الخلافة العربية حُرمة هذه الشعوب، حصافتها، ممتلكاتها وعقائدها الدينية. وحسب المؤلفين العرب كان عمر بن الخطاب أول خليفة عربي وضع الأسس الأولية للعلاقات بين السلطات وأهل الذمة. ففي "العهدة العمرية" وعد الخليفة رعاياه المسيحيين بالأمان على حياتهم وممتلكاتهم شريطة دفع الجزية، احترام المسلمين، مساعدتهم واستضافتهم، عدم مساعدة أعداء المسلمين، عدم رن أجراس الكنائس، عدم الإنشاد في الكنائس بصوت عال، عدم بناء كنائس جديدة، عدم إشراك الصليب والأيقونات في المراسيم الكنسية، عدم منع المسيحيين من اعتناق الإسلام، تمييز ثيابهم عن ثياب المسلمين، عدم حمل السيوف، عدم امتطاء الخيول، عدم تقديم النبيذ للمسلم وسواها من القوانين.

A.S.Tritton, The Caliphs and Their Non-Muslim Subjects, 5-8.

كانت "للعهدة العمرية" طبيعة عامة لأن العرب عقدوا اتفاقيات عديدة مع المدن التي حاربوها في سوريا، ما بين النهرين، (الرقة، الرها)، أرمينيا (دفين)، كارتلي (تيفليس).

وتُعتبر كتب العهد هذه وثائق هامة لدراسة الوضعية الحقوقية لشعوب هذه البلدان. مع ذلك لم يلتزم الطرفان دائماً بجميع بنود هذه الاتفاقيات. خلا ذلك لم يكن هناك مبدأ موحّد تجاه المسيحيين في جدول الحقوق الإسلامية. ويمكن دراسة الحقوق، التي منحتها الخلافة للمسيحيين، من خلال 3 زوايا: سياسية، كنسية ومدنية.

ظهر ظلم الخلافة العربية وغياب العدالة تجاه المسيحيين في الحياة السياسية في المقام الأول. فقد كان بوسع المسلمين فقط أن يصبحوا حكام أرمينيا، الجزيرة، سوريا ومصر رغم كون غالبية سكان هذه البلدان من المسيحيين الأرمن، السريان، الأقباط وسواهم.

من الطبيعي علينا التمييز بين أوضاع هذه البلدان في القرن 7 م مقارنة بالأوضاع التي سادت بعد إعادة تنظيم الخلافة عبر إصلاحات عبد الملك. ففي القرن 7 م، عندما كانت الخلافة تتمزّق إرباً عن طريق العنف بسبب التشظّي، إستغلت أرمينيا الأوضاع السائدة فأعلنت عن استقلالها واشترك السريان في سوريا في احتلال مناصب إدارية في بلادهم. تبدلت الأوضاع جذرياً في عهد عبد الملك. بادرت الخلافة إلى اتخاذ معايير جديدة تدريجياً منذ ذلك الوقت وضمها إلى الحقوق الإسلامية لتحديد وضع هذه الشعوب الذمية في المجتمع الجديد.

أبو يوسف، 68-69.

وبدءاً من هذه السنوات قلّص الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز عدد الموظفين الأقباط والسريان على وجه الخصوص في أجهزة الدولة في مختلف مقاطعات البلاد وأضحت أحوال المسيحيين بالتالي قاسية جداً أثناء حكم العباسيين بشكل خاص بسبب سياسة هؤلاء الدينية المتعصّبة. لكن الأحوال في أرمينيا كانت متباينة إلى حد معين مقارنة بسوريا، مناطق ما بين النهرين ومصر. ورغم عدم استطاعة الأرمن حكم ولاية أرمينيا العربية لكنهم تبوأوا منصب أمير أرمينيا الأصلية التاريخية رغم محاولات الخلافة المتكررة إزالة هذا المنصب.

A.Fattal, Le Statut legal des Non-Musulman en Pays d'Islam, Beyrouth 1958, 297-298.

يمكن القول الشيء ذاته حول منصب قائد القوات الأرمنية الذي كان موجوداً دائماً رغم محاولات بعض الخلفاء العرب إزالته عن طريق صرف سلاح الفرسان الأرمن. ومع كل ذلك كان أمير أرمينيا والقائد العام للجيش خاضعين طبعاً للحكام العرب المعينين في ولاية أرمينيا التي كانت مشكلة من أرمينيا التاريخية الأصلية، كارتلي وأرّان.

ساد شكل من العلاقات بين الخلفاء الأمويين والعباسيين من جهة والكنائس المسيحية الشرقية: الكنيسة الأرمنية، كنيسة النساطرة، اليعاقبة، كنيسة أنطاكيا الملكية، الإسكندرية القبطية وسواها. بعد انتخاب رأس هذه الكنائس من كاثوليكوسيين وبطاركة من مجالس كنسية صدّق الحاكم العربي المعين على انتخابهم. وكان الخلفاء يشتركون شخصياً في انتخاب كاثوليكوس النساطرة بشكل خاص. وكان لتدخل الحاكم في مصر دور حاسم في انتخاب البطريرك الجديد. وكان الحكام كالعادة يفضلون المرشحين المونوفيزيتيين ومع ذلك سمحوا في بعض الأحيان في تعيين مرشحين ملكيين.

A.S.Tritton, The Caliphs and Their Non-Muslim Subjects, 79.

قام الكاثوليكوسيون والبطاركة في حياة السريان والأقباط بأدوار مهمة لأن هذين الشعبين حُرما من الاستقلال الذاتي السياسي.

نادراً ما كان حاكم أرمينيا، نائب الخليفة في المقاطعات الشمالية للخلافة، أثناء انتخاب كاثوليكوس أرمينيا لأن أمير أرمينيا كان وسيطاً بين الشعب الأرمني والخلافة وكان الشخص الوحيد الذي يتخذ القرار في هذا الشأن.

M.Ghazarian, Armenien, 59-62.

من المعلوم مع ذلك أن حاكم أرمينيا سليمان إقترح في عام 767م انتخاب Sion Bavonatsi كاثوليكوساً فقد كان صديقه عندما كان لا يزال أسقفاً لأغدزنيك (دياربكر).

مع ذلك طبّق الحكام العرب المسلمون في أغلب الأحيان العسف في مسألة انتخاب كاثوليكوس أرمينيا.

بناء على الشريعة الحقوقية الإسلامية مُنع المسيحيون من حق تشييد الكنائس الجديدة أو ترميم المتداعية. فسّر 4 من رجال الحقوق السنّيون هذه المبادئ بشكل متباين. أقرّ ثلاثة منهم بعدم السماح ببناء كنائس جديدة ليس في وسط المدينة فحسب، بل في ضواحيها وجوارها أيضاً. إلا أن الحنفيين، المعروفين باعتدالهم، فيقولون بإمكانية بناء كنائس في ضواحي المدن لكن على بعد ميل واحد. وهناك جدالات حول ترميم الكنائس القديمة أيضاً.

A.S.Tritton, The Caliphs and Their Non-Muslim Subjects, 37-38.

فسّر الحكام العرب هذه المبادئ بأشكال شتى حسب مزاجهم. هناك بعض الحكام الأمويين والعباسيين أمروا بهدم الكنائس بينما أمر آخرون ببناء كنائس جديدة.

. أبو يوسف، 80-88.

لم تُبنَ أية كنيسة جديدة في القرن 8 م وأثناء النصف الأول من القرن 9 م في أرمينيا بسبب الحظر. كذلك لا علم لنا حول أوامر هدم الكنائس القديمة. حدّ العرب أيضاً من الشعائر والطقوس الدينية.

. غيفوند، 162.

قُيّدت حقوق المسيحيين نتيجة الاستعباد السياسي والقومي–الديني. لم تكن للمسيحي حقوق متنساوية مع المسلم أمام القانون بل كان يتوجب عليه دفع ضريبة الرأس، الجزية الثقيلة. كذلك لم تعترف المحاكم بشهادته ضد المسلم إلا في أحوال استثنائية.

A.S.Tritton, The Caliphs and Their Non-Muslim Subjects, 186-187.

إذا قبل أحد الوالدين المسيحيين الإسلام اعتُبر أولادهما مسلمين. كذلك كان يُحكم على المسيحي القاتل لمسلم بالإعدام بينما لم يُنفذ هذا الحكم بتاتاً في قتل المسلم لمسيحي. أما في حال التعويض عن القتل كان المسيحي يدفع ديّة أكبر بكثير مما كان المسلم يدفعه. كان هناك تمييز آخر ضد المسيحيين وغير المسلمين في عهد العباسيين بشكل رئيسي فقد فُرض على المسيحي ارتداء ثوب يميزه عن المسلم.

. أبو يوسف، 72-73.

لم تكن هناك أية حاجة لتطبيق هذا التمييز لأن البدو العرب المحتلين إختلفوا جذرياً من جهة ثيابهم عن سكان البلدان التي قاموا بالهيمنة عليها. بالإضافة إلى ذلك حُظر على المسيحيين لبس العمامة وركوب الخيل. ومن الغرابة بمكان أن الخليفة المتوكّل أمر جميع المسيحيين بارتداء ثياب باللون الأصفر.

. اليعقوبي، الجزء 2، 487.

وقع وزر جميع هذه السياسات والعلاقات غير العادلة ليس على المسيحيين فحسب، بل على غير المسلمين الآخرين أيضاً وخاصة على عامة الشعب البسيط مما أدى إلى معارضة شديدة، العصيان والثورة ضد العرب في غالبية الأحيان.

(7) الثقافة

تُعتبر القرون الوسطى في الغرب مرحلة تراجع في جميع أوجه الحياة وهيمنة اللاهوت بشكل مطلق في مجال الثقافة بينما تُعتبر تلك السنوات في البلدان الشرقية بشكل عام مرحلة تطور ثقافي واقتصادي ملموس. مع ذلك كانت هناك مراحل مظلمة بعد فرملة تطور الثقافة والاقتصاد. ومن الأمثلة على ذلك أرمينيا أثناء القرن 8 م.

(أ) تقوية عقيدة الكنيسة الأرمنية

كانت سنوات الهيمنة العربية مرحلة حاسمة وخطيرة بالنسبة للكنيسة الأرمنية. وكانت

أرمينيا وكارتلي البلدين الوحيدين في الدولة الإسلامية الواسعة تسود فيهما الديانة المسيحية. وكان الإسلام قد توصل إلى بعض النجاحات في ولاية أرمينيا في شيرفان، أي المناطق القريبة من بحر قزوين، فقط. ورغم عدم تبني الخلفاء سياسة الأسلمة إكراهاً دائماً إلا أنهم كانوا يهدفون إلى جعل الإسلام الدين الوحيد في جميع مقاطعات الخلافة. ومقابل هذه السياسة كان يتوجب على الكنيسة الأرمنية أن تستجمع جميع قواها الكامنة للحفاظ على حقوقها وعقيدتها لترسيخ أساساتها. حقيقةً أضحى القرن 8 م والنصف الأول من القرن 9 م مرحلة انعطاف في تاريخ الكنيسة الأرمنية وجرت أثناء هذه الفترة إصلاحات ليس في طبيعة سلطة الكنيسة الإقطاعية فحسب، بل أيضاً في مبادئها وعقيدتها. وكان على الكنيسة الأرمنية الانعتاق من هجوم الإسلام والدفاع عن نفسها. طبعاً لم يصل الإسلام إلى نجاحات في أرمينيا سوى في حالات نادرة لبعض الشخصيات الأرمنية التي إرتدت إلى الإسلام إكراهاً تحت تهديد هدر الدم.

أصاب القلق الكنيسة الأرمنية بسبب استيطان العرب المسلمين القسري في أرمينيا ومن صعود شأن العناصر الإسلامية في بلاد ما بين النهرين والمقاطعات المجاورة لهما فاستعدت للكفاح ضد هذه العقيدة الجديدة. ويمكن اعتبار شهادة المؤرخ غيفوند المعاصر حول رسالة الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى الإمبراطور البيزنطي ليو الثالث الإزاوري (أرمني الأصل–المترجم) من الأمثلة النيّرة لهذا الكفاح. ففي هذه الرسالة الفضولية بمحتواها الديني–الجدالي دحّض الإمبراطور المسيحي حجج الخليفة المسلم وبراهينه من خلال نصوص إنجيلية عديدة محاولة منه إظهار حقيقة الإيمان المسيحي.

أما كفاح الكنيسة الأرمنية ضد العقيدة البيزنطية الخلقيدونية فقد كان ذو طبيعة متباينة كلياً. كما رأينا في صفحات سابقة لاقى المؤمنون بعض النجاح في العقيدة الثنائية في أرمينيا في القرن 7 م. ويبدو كانت هناك لحظات مصيرية عندما لم يكن واضحاً مُنْ كان المنتصر الأرمن الخلقيدونيون أم المناهضين لهذه العقيدة. تبدلت هذه الحال قليلاً في بداية القرن 8 م وكان على الكنيسة الأرمنية المعادية للخلقيدونية رسمياً اتخاذ جميع الوسائط المتاحة لتأمين سلطتها وساعدها في ذلك طبعاً طرد العرب للبيزنطيين من

الهضبة الأرمنية. وكانت لعلاقة الأرمن السلبية تجاه قرارات مَجْمَع خلقيدونيا، التي كانت تبشّر بها بيزنطة اليونانية، جذور عميقة في الحياة الثقافية للكنيسة وأرمينيا. وكانت استقلالية الكنيسة في أرمينيا عربون تطورها سياسياً من جهة وتطور الحياة الثقافية في البلاد من طرف آخر. وكانت فكرة الكنيسة القومية المستقلة معممة كثيراً وتكمن في وجدان الشعب فسهّل القرار الناجح لكفاح الكنيسة ضد الخلقيدونيين عقائدياً.

J.Laurent, L'Armenie entre Byzance et l'Islam, 129-151.
Nicol;ay Marr, Arkaoun, 6.
Khosrovik, 6, (Text).

بعد تعرضهم إلى الانكسار إنعزل خلقيدونيو أرمينيا عن الحياة العامة للبلاد وتغرّبوا واتجهوا إلى تايك مناطق أرمينيا الغربية والشمالية–الغربية الأخرى. وكان الهراطقة البافليكيانيون وسواهم القوة الثالثة التي كافحت الكنيسة الأرمنية ضدها بعد الإسلام والخلقيدونيين. سبب الهراطقة اضطراب رجال الدين الأرمن وكتب مثقفو الكنيسة ضدهم دائماً. وتُعتبر كلمة الكاثوليكوس هوفهانّس Odznetsi ضد البافليكيانيين أثراً هاماً في هذا المجال.

كانت العقيدة الكنسية سائدة في مرحلة احتلال العرب لأرمينيا بينما كانت الآداب الفلسفية والفنون منتعشة فيها بين القرنين 5–7 م إلى جانب ترجمات كتب الفلاسفة اليونانيين وتطور العلوم الأساسية الدقيقة لكننا لا نجد مفكرين مثل الفيلسوف دافيت أنهاغت أو عالم الرياضيات والفلكي أنانيا شيراكاتسي الأرمنيين في القرنين 8–9 م طوال احتلال العرب لأرمينيا بسبب تراجع الحياة في القرون الوسطى.

لم يكن جميع الكتّاب خدم الكنيسة في هذه المرحلة فحسب، وكانت هذه الناحية مميزة في جميع مراحل تاريخ أرمينيا القروسطي، بل كانت جميع مؤلفاتهم تحمل طابعاً دينياً ساهمت في ترسيخ عقيدة الكنيسة. ومن هؤلاء المؤلفين نذكر ساهاك دزوروبوريتسي، هوفهانّس أودزنيتسي، زاكاريا دزاكيتسي ، كريكوريس أرشارونتسي، أستيبانوس سيونيتسي، خوسروفيك طاركمانيتش وسواهم. وكان أثر الناشط الكنسي الكبير هوفهانّس أودزنيتسي

يحتل موقعاً مميزاً. لم يكن مؤلف أناشيد دينية وتسابيح فحسب، بل أقام أنصاباً عظيمة مثل "كانوناكيرك" (كتاب القوانين) و"كتاب الرسائل" أيضاً. تشكل "كتاب القوانين" ضمن ظروف سياسية فريدة.

. كتاب القوانين، الجزء 1، تمهيد XI، بالأرمنية.

بعد كفاح عنيد ضد الخلقيدونيين كان يتوجب على الكنيسة الأرمنية إظهار استقلالها في الحقوق القانونية. كان عليها صد ضغط الإسلام أيضاً. لم تملك الخلافة مجموعة قوانين في العهد الأموي أي شريعتها بشكل أساسي. ومع ذلك، وكونها دولة قوية، كانت لها مبادئ حقوقية خاصة تطبق النظام.

يهتم كتاب القوانين بشكل أساسي بمسائل العقيدة، الطقوس، الشعائر الدينية–الكنسية، الشؤون العائلية، وآداب سلوك رجال الدين. إلى جانب القوانين الكنسية هناك قوانين مدنية وقوانين جزائية إلى حد ما. وخلا قوانين مَجْمَع شاهابافان للكنيسة الأرمنية المنعقد سنة 447م لا تحدد القوانين الأخرى عقوبات جسدية وتعويضاً نقدياً. كذلك أضاف هوفهانّس أودزنيتسي على كتاب القوانين رسائل أو وثائق تُعتبر مواد أرشيفية لكراسي الكاثوليكوسية. وصلت إلينا هذه القوانين من القرن 8 م لكن الدراسات تؤكد على أن القسم الأول من الكتاب، الذي يحوي مواداً من القرنين 5–7 م تختلف عن القسم الثاني. بالمناسبة جُمعت المواد حتى نهاية القرن 7 م بشكل منهجي ومرتّب.

. الأكاديمي مانوك آبيغيان، تاريخ الأدب الأرمني القديم، 529–531، بالأرمنية.

كذلك سُنّ قانون الأناشيد الدينية في عهد الكاثوليكوس هوفهانّس أودزنيتسي بفضل سعي استيبانوس سيونيتسي الذي عاش في النصف الأول من القرن 8 م. وكان استيبانوس سيونيتسي مؤلف أناشيد روحانية أيضاً.

. المصدر نفسه، 535–537.

(ب) تاريخ وجدول الشهداء وسيرتهم

تراجعت العلوم التاريخية الأرمنية في عهد الهيمنة العربية لذلك لا يسعنا أن نذكّر سوى بالمؤرخ غيفوند. كذلك يعود "تاريخ تارون" لهوفهانّس ماميكونيان إلى النصف الأول من القرن 8 م. ففي هذا البحث، وخاصة في القسم الثاني منه، الذي يسرد فيه حرب تارون الأرمنية ضد إيران في نهاية القرن 6 م ويغلب عليه جو أسطوري، هناك عنصر ديني قوي أيضاً.

إستمر المؤرخ غيفوند على تقاليد العلوم التاريخية الأرمنية للقرنين 5–7 م. وخلا موثوقيته فإن لمؤلَّفه قيمة فنية عند وصفه لثورة عام 774–775م. ومن النواحي المميزة لهذه الحقبة تطور دراسة سيرة الشهداء. قدّم إضطهاد الشعب، معاملة الحكام القاسية تجاه الثوار، رفض الارتداد عن دين الأجداد إكراهاً وسقوط هؤلاء بيد المحتلين، مواداً غنية لتطور فرع أدب كتابة سيّر الشهداء. لحادثة إضطهاد دافيت دفنبتسي في القرون الوسطى شهرة خاصة. بناء على تاريخ السيَر كان من سلالة أمراء فرس في خرسان سُمي بسورفان. إشترك ضمن حملة العرب على أرمينيا في القرن 7 م في عهد بطريق أرمينيا كريكور ماميكونيان والكاثوليكوس أناستاس. عمّده الكاثوليكوس دافيت بعد اعتناقه المسيحية في أرمينيا وسماه دافيت. عاش في عاصمة أرمينيا دفين لذلك نُعت بـ "دفنيتسي" (أي الدبيلي–المترجم) وعندما كان في سن 60 أخضع العرب أرمينيا نهائياً وباشر الحاكم العربي عبد الله باضطهاد المسيحيين. وعندما علم أن دافيت دفنيتسي مسلم مرتد إعتقله ورماه في غياهب السجن ثم أعدمه صلباً بتثبيت يديه ورجليه على خشبة الصليب. توفي دافيت في 31 آذار سنة 693م وثُبّت هذا اليوم في التقويم الأرمني يوماً لشهادته.

Zhitiya Cvyatikh, VI, izd. M.Avgerian, Venetsia 18, 224-229, بالروسية.

من الشيّق أن الغرباء المضطهدين للمسيحيين كانت لهم موازين في آداب الشهداء الجيورجية ويحوز اضطهاد أبو تبيليلي الجيورجي على شهرة خاصة. كتب يوحنا سابانيسدزيه هذه الرواية في تسعينيات القرن 8 م. إضطهد رجال الخلافة سكان كارتلي

بإكراههم على الارتداد عن المسيحية وقبول الإسلام ديناً. إرتد أبو العربي المسلم إلى المسيحية لكن العرب لم يغفروا له ذلك فقضى بين يدي الأمير بتعريضه إلى عذابات فظيعة. وبناء على رأي المؤلف "إن ثبات أبو العربي الروحي يجب أن تعيد المسيحيين المترددين إلى رشدهم وتقوية ضعفاء الإيمان".

Pamyatniki Drevnegrouzinskoy Agiographitveskoi Litteratouri, per. K.C.Kekelidzeh, Tbilisi 1956, 42-60, بالروسية

تُعتبر رواية الأمير الأرمني فاهان كوغتنيتسي ابن خوسروف، حاكم مقاطعة كوغتن، وإعدامه من الصفحات الرائعة في الأدب الأرمني. أُسر الأمير مع بعض رجال الدين في أرمينيا في بدايات القرن 8 م في عهد الخليفة الأموي عبد الملك وأرسل الجميع إلى دمشق وكان فاهان في الرابعة من عمره فربّوه كمسلم في قصر الخلافة وسمّوه وهّاب وأصبح رئيس ديوان قصر الخليفة بعد أن شبّ. سمح الخليفة عمر بن عبد العزيز بعودة الأسرى الأرمن إلى أرمينيا وبعد تدقيق كبير سمح لوهّاب أيضاً بالذهاب إلى الوطن لتصفية أموره الوراثية. (فعاد فاهان إلى دين أجداده المسيحي واقترن من أميرة أرمنية إلا أن الأمراء الأرمن ورجال الدين الكبار رفضوا التعامل معه خوفاً بسبب ارتداده عن الإسلام فأُكره على التوجه إلى مدينة الرصافية المسيحية في بادية الشام حيث يقيم الخليفة هشام في أحد قصورها خارج أسوار المدينة. إمتثل أمام الخليفة، الذي كان يحبه كثيراً، وروى له كل شيء مفصلاً. أمهله هشام ومنحه ثلاثة فرص للارتداد ثانية إلى الإسلام بعد تعذيبه في السجن إلا أن فاهان ظل صامداً فأمر الخليفة بإعدامه بقع الرأس ونُفذ الحكم. دُفن فاهان في رصافة سوريا وصلى عليه رجال الدين العرب المسيحيون من مختلف الطوائف لعدم وجود جالية أرمنية فيها–المترجم).

Pamyatniki Armiyanskoi Agiographii, per.K.C.Ter Davtyan, Yerevan 1973, 216-239, بالروسية

أما اضطهاد الشقيقين الأميرين الأرمنيين هامازاسب وساهاك فيعود إلى الحقبة العباسية.

Soperk, XII, Venetsia 1815, 61-80, بالروسية

كان الشقيقان ضحيتي تهمة باطلة وسقطا بيد خُزيمة الذي عرض عليهما الارتداد إلا أنهما رفضا. أما الشقيق الثالث ميروجان فقد كان ضعيف النفس فقبل الإسلام ديناً فقتله الأمير دافيت باميكونيان. إنتهت قصة اضطهاد الشقيقين بإعدمهما المأساوي فيُذكران كشهيدين في الروزنامة الأرمنية في يوم مكرّس لهما وتحديداً يوم 8 نيسان من كل سنة.

بوشر باستخدام التقويم الأرمني في التاريخ الأرمني منذ القرن 7–8 م. وكان التاريخ الأرمني قبل ذلد منذ القرن 5 م يؤرّخ الأحداث التاريخية بأعوام حكم الملوك الأرمن والفرس أو الأباطرة البيزنطيين. وهناك سلسلة أنظمة كرونولوجية طويلة لدى أبي التأريخ الأرمني موفسيس خوريناتسي والمؤرخ المجهول اسمه (في كتاب المؤرخ الأرمني سيبيوس من القرن 7 م) لكن بدون تحديد تاريخ تلك الأحداث. ففي العصور الوثنية للأرمن كانوا يستخدمون روزنامة قديمة خاصة معتبرين عام 2492 قبل الميلاد السنة الأولى للتأريخ الأرمني.

C.C.Bagalian, Istoria Kalendaria, Yerevan 1970, 49-54, بالروسية

بناء على هذا التقويم القديم كانت السنة الواحدة تحوي 365 يوماً، 12 شهراً، 30 يوماً لكل شهر أسماؤها الأرمنية هي كالتالي: Navasard, Hori, Sahmi, Tré, Kaghots, Arats, Mehegan, Arek, Ahegan, Mareri, Margats, Hrotits وشهراً إضافياً يُدعى Haveliats.

بوشر العمل بالروزنامة الأرمنية عام 551م في العاصمة الأرمنية دفين بمبادرة من الكاثوليكوس موفسيس يغيفارديتسي.

أصوغيك، 30.

استُخدمت الروزنامة الأرمنية أقل من ذي قبل في القرن 7 م في الأعمال التاريخية والتواقيع. ظهر التقويم الهجري الإسلامي في هذا الوقت بالذات الذي دخل في التاريخ الأرمني أيضاً. ومن الغرابة بمكان أن المؤرخ الأرمني سيبيوس، الذي أنهى سرده التاريخي عند ستينيات القرن 7 م، إستخدم تقويم "الإسماعيليين" (العرب المسلمين–المترجم).

. سيبيوس، 139.

خلا ذلك إستخدم سيبيوس في تاريخه الأشهر الإسلامية إلى جانب الأشهر الأرمنية.

. كاغانكاتفاتسي، 233.

أشار المؤرخ الأرمني غيفوند إلى أحد اجتياحات العرب على أرمينيا أنها "جرت في السنة 26 لحكمهم وتحديداً في عام 646–647م. فأزعجت هذه الأحوال المستجدة الكنيسة الأرمنية والمفكرين المعاصرين وخاصة أنه كان هناك تأريخ أرمني غني بتقاليده عمره 300 سنة. ورغم ثبات تحرّك الروزنامة الأرمنية بشكل نهائي في القرن 11 م بفضل الفيلسوف الشمّاس هوفهانّس مع ذلك قام عالم الرياضيات الأرمني الشهير في القرن 7 م أنانيا شيراكاتسي بدور معين في إصلاح الروزنامة فتوقف تغلغل التقويم الهجري الإسلامي في التأريخ الأرمني نسبياً بمبادرة الناشطين الأرمن الحاسمة في جميع أوجه الحياة الثقافية.

. أنانيا شيراكاتسي، يريفان 1944، 399.

. كتاب الرسائل، 223.

. غيفوند، 165.

الفصل الثامن

علاقات مملكة أرمينيا السياسية والاقتصادية مع الخلافة العربية

(1) آشوت باكراتوني بطريق–بطارقة أرمينيا الكبرى

وتّر انحطاط الخلافة العربية بشكل كبير العلاقات المتبادلة بين الشعوب وعمّقها في أواسط القرن 9 م. لم يكن ذلك محض صدفة لأنهم، بعد اغتيال الخليفة المتوكّل مباشرة في عام 861م، ظهرت سلسلة دول مستقلة في شتى مقاطعات الخلافة التي، رغم ذلك، ظلت مرتبطة رسمياً بالعباسيين لمدة معينة وخضعت بهذا الشكل أو ذاك لسلطة الخليفة العليا. وكانت وحدة أراضي الخلافة ممكنة طالما ظل بأسها العسكري غير مهتزٍّ. ومع ذلك ظهرت أملاك إقطاعية خاصة كبيرة غير شرطية (مُلك) وشرطية (عِقدَة) في القرن 9 م على حساب أملاك الدولة. فعاشت الخلافة أوقاتاً صعبة بين عامي 861–870م. تتابع على العرش 4 خلفاء اغتيل 3 منهم عن طريق الحرس الخاص (كانوا من الأتراك عامة–المترجم) فنشبت "ثورة الزنج" في جنوبي العراق عام 869م واستمرت طوال 14 سنة. وخلا الدول المستقلة الموجودة أصلاً كالأدارسة والأغالبة في الشمال الإفريقي والطاهريين في خرسان ظهرت دول مستقلة جديدة مثل دولة العلويين جنوبي بحر قزوين 864–928م، السفّاريين في خرسان 861–900م، السامانيين في ما وراء النهر 819–999م، الطولونيين في مصر 868–906م والباكراتونيين في أرمينيا 884–1045م. كذلك كان نشوء المملكة الأرمنية في النصف الثاني من القرن 9 م ظاهرة طبيعية ونتيجة مباشرة للأوضاع السياسية السائدة في الشرق الأدنى.

A.Daghbaschian, Gründung des Bagratidenreiches, Berlin 1893, 66-76.

ومن العوامل المهمة لقيام المملكة الأرمنية نصر البيزنطيين على الخلافة العربية في مناطق الثغور.

J.Laurent, L'Armenie entre Byzance et l'Islam, 240-262.

قام القادة البيزنطيون ببعض الحملات العسكرية الموفقة ضد العرب في مواقع سميساط في خمسينيات هذا القرن. تحركت القوات البيزنطية في ستينيات القرن ضد الخلافة بقيادة بيترونيوس الذي حاز على انتصارات حاسمة. تحول الحكم في الإمبراطورية البيزنطية عام 867م إلى أيدي سلالة مقدونية يسمونها في بعض الأحيان بـ "السلالة الأرمنية". قاد الإمبراطور باسيل الأول (أرمني ومؤسس عائلة الأباطرة البيزنطيين المقدونيين الأرمن–المترجم) كفاحاً عنيداً ضد الهراطقة البافليكيانيين وأفلحت قواته في احتلال جميع قلاعهم.
A.Vasiliev, Byzance et les Arabes, II, 1, 32-42.

ساعدت هذه المعارك الحاسمة ضد هؤلاء الهراطقة باسيل الأول على توجيه عملياته العسكرية ضد العرب أنفسهم. قاد الإمبراطور بذاته سنة 879م حملة عسكرية ضد ميليتينيه (مالاطيا) القلعة المحصّنة جيداً واحتلت قواته زاباترا، سميساط وصولاً حتى نهر الفرات إلا أنه لم يتمكن من احتلال مالاطيا بل تعرض للانكسار عند بواباتها.
ظهرت أوضاع جديدة في الشرق في هذا الوقت. جرى توازن معين في القوى مما ساهم في قيام الدولة الأرمنية المستقلة. بناء على كلمات ج.لوران كانت الظروف ملائمة جداً لإقامة جبهة عامة من بيزنطة وأرمينيا ضد الخلافة. إلا أن أرمينيا ظلت على الحياد. فشعر العباسيون بجميع هذه المخاطر في الشرق وحاولوا جذب أمير أرمينيا آشوت باكراتوني إليهم فأسرعوا ومنحوه لقب "بطريق بطارقة أرمينيا" (أمير أمراء أرمينيا) سنة 862م عن طريق القائد الشهير علي بن يحيى الأرمني (كان قائد الثغور العربية–البيزنطية وحكم مصر لمرحلتين واستشهد أثناء محاربة الروم–المترجم).

A.Nalbandian, Arabskiyeh Ostikani, No.102 بالروسية

عبّر المؤرخ الأرمني هوفهانّس دراسخاناكيردتسي عن هذا الحدث بالكلمات التالية: "أُرسل علي الأرمني حاكماً لأرمينيا الذي عيّن آشوت أمير أمراء أرمينيا بأمر الخليفة وزيّنه بثياب ثمينة وعبّر عن احترام الخليفة له وأسند إليه مهمة جباية جزية أرمينيا وقدم له هدايا

الخليفة وأصبح آشوت عندئذ الشخصية الأكثر احتراماً والأعلى مقاماً بين جميع أمراء أرمينيا فتوحد معه الجميع كأنه ملك".

. *الكاثوليكوس هوفهانّس، 168.*

وهذا يعني أن آشوت باكراتوني حصل على جميع حقوق الحاكم العربي. إهتم آشوت بجمع الجزية والضرائب ولم يخضع له الإقطاعيون المسيحيون فحسب، بل أيضاً الإقطاعيون العرب المحليون. وبالفعل كان حلول الحكام العرب في أرمينيا نادراً بعد ذلك لأنهم كانوا منشغلين بالمعارك ضد بيزنطة في منطقة الثغور.

إستشهد علي بن يحيى الأرمني سنة 863م. هناك ذكر لحاكم عربي واحد في أرمينيا بعده وهو علي بن أحمد الأزدي في عام 865م تقريباً.

إستلفت استقلال أرمينيا انتباه بيزنطة. دعا بطريرك القسطنطينية فوتيوس في رسائله كاثوليكوس الأرمن زاكاريا للموافقة على قرارات مَجْمَع خلقيدونيا. إلا أن مجمع شيراكافان في أرمينيا رفض هذا الاقتراح. كتب البطريرك رسالة أخرى إلى الأمير آشوت باكراتوني فرد عليها العالم–الراهب ساهاك بأمر الأمير مدافعاً عن العقيدة المونوفيزيتية.

Der Brief des Photius on Aschot und dessen Antwort, Zeit für Arm. Phil. 1903, B II, H.1.

كان الحذر الشديد الميزة الرئيسية لسياسة آشوت في علاقاته مع العباسيين فلفتت استغراب الباحثين.

. *ليو، تاريخ أرمينيا، الجزء 2، 512، بالأرمنية.*

إلا أن ذلك كان انطباعاً ظاهرياً لأن آشوت كان يتطلع إلى الانعتاق من هيمنة الخلافة العربية تدريجياً مستغلاً جميع الظروف السانحة. بناء على كتابتين جداريتين مقتضبتين

نودي بآشوت ملكاً في ستينيات القرن 9 م. ويُدعى آشوت على كتابة مكتشفة تعود إلى عام 874م "ملك أرمينيا".

.كارو غافاتاريان، الأشكال الأولية الأصلية للرسائل الأرمنية، يريفان 1939، بالأرمنية.

وهناك كتابة كارين لعام 879م حيث تسمي زوجته كاثرينا نفسها ملكة أرمينيا.

ب.أراكيليان، كارني، الجزء1، يريفان 1851، 84-86، بالأرمنية.

يُفترض أن المناداة بآشوت ملكاً قد حصلت في حوالي سنة 869م وهذا الافتراض حقيقة كاملة بسبب تغيير الخلافة لسياستها تجاه أرمينيا إلى حد ما منذ عام 870م.

صعد المعتمد 870-892م على عرش الخلافة وكان حاكماً عديم الأهلية والكفاءة وكانت السلطة بيد شقيقه الموفّق المحنك. أفلحت القوات العربية بقيادة الموفّق صد يعقوب بن ليث، مؤسس سلالة الصَفّاريين في إيران، الذي كان يهدد بغداد. كذلك أخضع الموفّق بشراسة كبيرة ثورة الزنج في الجنوب العراقي ونقل قصر الخلافة إلى بغداد ثانية للتخلص من شرور الحرس التركي.

لم يقبل العباسيون حصول أرمينيا على استقلالها لقربها من العراق كثيراً فعُيّن عيسى بن الشيخ الشيباني حاكماً لأرمينيا ودياربكر سنة 870م فقد كان حاكم هذه المدينة. جاهد عيسى طوال حكمه في ترسيخ مواقع المستوطنين العرب بكل الوسائل المتاحة. وعندما بدأ الانشقاق بين الأمراء السيونيين الأرمن والعرب من قبيلة بني عثمان هرع عيسى إلى نجدة العرب على رأس 15,000 فارساً لكن السلام ساد بين الطرفين بفضل وساطة بعض أمراء فاسبوراكان وفرض على الأمراء دفع الضرائب لذلك لم يجتاح يوسف مقاطعة فاسبوراكان الأرمنية.

. طوماس أرتزروني ، 214-216.

ثار محمد اليماني في بردعة عام 876م وكان عيسى قد عينه شخصياً. أسرع عيسى إلى دعم آشوت باكراتوني وطوّقت القوات المشتركة المدينة لإخضاع العصيان إلا أنها لم تُفلح فابتعد عيسى نحو سوريا. بعث محمد اليماني رُسلاً إلى جميع الأمراء الإقطاعيين في أرمينيا ليطلبوا من الخليفة تعيينه حاكماً على أرمينيا إلا أن الخليفة عيّن محمد بن خالد الشيباني بناء على اقتراح آشوت باكراتوني.

. المصدر نفسه، 218.

إتجه أمراء أرمينيا لاستقبال الحاكم الجديد وعقدوا اتفاقاً مع أبي الورد القيسي والأمراء الآخرين موجهاً ضد آشوت. فكتب اليماني قائلاً: "عندما سأدخل إلى مدينة دبيل وأستلم الجزية الملكية لا تثيروا الشك لدى الأمراء الأرمن كي يأتوا إلي. أما أنتم فتظاهروا أنكم ستهاجمونني فاجمعوا قواتكم وسنسيطر عليهم سوية ونزيلهم من حكم أرمينيا".

. المصدر ذاته، 219.

كشف آشوت المؤامرة بكل تفصيلاتها بسرعة فعين جواسيساً على جميع طرق أرمينيا وممراتها وجسورها وقبض على رُسل الحاكم العربي ثم طلب من جميع الأمراء الأرمن الإقطاعيين المرافقين للحاكم الجديد الابتعاد عنه تدريجياً وبذلك لم يبقَ برفقة محمد سوى القيسيون. أظهر آشوت باكراتوني للحاكم العربي الجديد الاحترام، بناء على جميع التقاليد المتّبعة، وقدم له هدايا نفيسة إلا أن عبّاساً، قائد القوات الأرمنية، طوّق خيمة الحاكم عند استعراض قواته بجنود يحملون الرماح والتروس ودخل خيمته وبرز الرسالة المذكورة أعلاه. بناء على المؤرخ الأرمني "أمسك القائد يده وأخرجه من الخيمة وطمأنه بألا يرتعد ثم رفعوه على ظهر بغل جاهز وقادوه إلى خارج المعسكر وأرسلوه من حيث أتى".

رافق شابوه بن آشوت الحاكم العربي بصحبة بعض القوات حتى حدود أرمينيا الجنوبية-الغربية.

. المصدر نفسه، 222.

قيام المملكة الأرمنية وتشظّي أرمينيا

بعد طرد الحاكم العربي مباشرة بادر آشوت باكراتوني في اتخاذ مبادرات حاسمة لتقوية دولته. جهز حملة تأديبية ضد القيسيين وأحاطت قواته مدينة مانازكيرت. إلا أنه حصل على نداء استغاثة من الأمير ديرينيك فأعرب القيسيون عن خضوعهم له فاكتفى آشوت بذلك. ثم اتجه شمالاً لإنهاء تمزق صفوف الأمراء الأرمن في مقاطعة فاسبوراكان.

. المصدر ذاته، 224.

إجتمع إقطاعيو أرمينيا الكبار وقدموا اقتراحاً رسمياً إلى الخليفة المُعْتَمد، بوساطة من عيسى بن الشيخ ، للاعتراف بآشوت باكراتوني ملكاً على أرمينيا. بناء على شهادة المؤرخ الأرمني المعاصر "وحد الخليفة هذا الاقتراح عادلاً وأرسل لآشوت تاجاً ملكياً مع الحاكم عيسى ذاته بالإضافة إلى ثياب ملكية ثمينة وهدايا أخرى مثل الخيول، التي تعدو بسرعة في الفضاء، الأسلحة والحُلي كهدايا سخية".

. الكاثوليكوس هوفهانّس، 175-176.

كانت ثمانينيات القرن 9 م سنوات مناسبة تماماً للإعلان رسمياً عن قيام المملكة الأرمنية.
V.Hagobian, La date de l'avenement d'Ashot Premier roi Bagradite, REA, II, 1965, 283.

كانت الخلافة العباسية ضعيفة في هذه المرحلة. مع ذلك لم تتمكن بيزنطة من اتخاذ خطوة حاسمة لتوسيع سيطرتها على الشرق. بناء على الكاثوليكوس المؤرخ هوفهانّس علم الإمبراطور باسيل الأول (الأرمني الأصل-المترجم) حول تتويج آشوت ملكاً فبعث رُسلاً إلى أرمينيا وطلب عقد معاهدة سلام وصداقة معه وسمّى آشوتاً "الابن المحبوب". طبعاً كان خلف كل ذلك طمع باسيل الأول في أرض أرمينيا وطموحه لتحويل الملك الأرمني إلى حليفه الصغير.

. الكاثوليكوس هوفهانّس، 177.

بناء على مصدر آخر أرسل الإمبراطور رسوله نيكيتا الذي قدم له تاجاً. وكان باسيل الأول من سلالة الأرشاكونيين بينما الملك المتوّج من عائلة الباكراتونيين في أرمينيا.

. المؤرخ الأرمني فاردان، 116.

نشطت دار ضرب النقود في العاصمة دفين في عهد الملك آشوت الأول أيضاً. ويبدو أن ملوك أرمينيا الباكراتونيين إكتفوا بالنقود العربية والبيزنطية المستخدمة في أرمينيا مدة طويلة. ليست لدينا معلومات وافية حول نقود الباكراتونيين خلا عن قطعتين ضُربتا في مملكة تاشير–دزوراكيت الصغيرة شمالي أرمينيا في القرن 11م.

. ك.موفسيسيان، تاريخ مملكة لوري، فيينا 1923، 88-93، بالأرمنية.

يحتل مؤسس المملكة الباكراتونية آشوت الأول على مكانة استثنائية في تاريخ أرمينيا فنُعت بشكل عادل بـ "الملك آشوت الأول الكبير".

R.Grousset, Histoire d'Armenie, 394.

أقام آشوت دولة قوية وأصبح ملكها وخضع له جميع الأمراء الإقطاعيين في البلاد. كذلك أصبح أمير أمراء أرمينيا والقائد العام للجيش وخاصة قوات الفرسان المشكلة من 40,000 فارس. تميّزت صلة المملكة الأرمنية مع الخلافة العربية أن الملوك الباكراتونيين الأوائل دفعوا رسمياً مبلغاً غير كبير من الجزية سنوياً. حمل آشوت لقب "ملك الأرمن". وبناء على المؤرخ العربي ابن ظافر حمل آشوت الأول لقب "ملك أرمينيا وجرزان" أيضاً أي "شاهنشاه الأرمن والجيورجيين".

Cvod Armianskikh Nadpisey, I, 35.

هناك معلومات حول حدود المملكة الأرمنية في المصادر الأرمنية، العربية والبيزنطية. بناء على المؤرخ الكاثوليكوس هوفهانّس دراسخاناكيردتسي إمتدت حدودها حتى مدينة

ثيودوسيوبوليس ومناطق البحر الأسود العليا غرباً، بلاد الإغوريين (الإفريسيين)، جبال القفقاس، بوابات اللان شمالاً والحدود الشمالية–الشرقية حتى نهر كور ومدينة شامخور.
ذكر الجغرافي الإسطخري حدود مملكة أرمينيا على الشكل التالي: "مملكة الأرمن هذه تحدّ مع الروم. تمتد تخومها حتى بردعة والجزيرة وآذربيجان ومدينة قاليقلا وتلتصق تحصيناتها الحدودية مع الروم".

Bibl.Geogr. Arab. I, 188.

كذلك تحدث ابن حوقل عن حدود مملكة أرمينيا بالكلمات التالية: "حدودها معروفة: بردعة شرقاً، حتى الجزيرة غرباً، وحتى آذربيجان جنوباً وحتى أرض الروم من أطراف قاليقلا".

ابن حوقل، الجزء 2، 343.

حدد المؤرخ الإمبراطور البيزنطي قسطنطين بورفيروجينيتوس الحدود العامة للمملكة الأرمنية أنها تحوي مقاطعات فاسبوراكان، كوغوفيت، تارون، موكس، أندزيفاتسيك، سيونيك، فايوتس–دزور، خاتشين و Outik.

Constantine Porphyrogenitus, De Cerimoniis, II, 687.

توقفت "ولاية أرمينيا العربية" عن الوجود في ستينيات القرن 9 م فعلياً وقُسمت أراضيها بين دولتين: أضحت أرمينيا، كارتلي وأرّان، أي البلدان المسيحية، ضمن دائرة سلطة الملوك الباكراتونيين. أما المجموعة الثانية وتحديداً شارفان ودربند فقد كانتا إمارتين إسلاميتين.
كانت لكارتلي علاقات راسخة قريبة مع المملكة الأرمنية. فبعد وفاة الكوروبالات آشوت سنة 826م خلفه أولاده في السلطة. لقّب أمراء كارتلي أنفسهم بـ "كوروبالات كارتلي". إعترف ملك أرمينيا سمبات الأول لاحقاً في نهاية القرن 9 م بأدرنيس ملكاً على كارتلي.

الكاثوليكوس هوفهانّس، 132.

ظهرت دولة صغيرة في ألبانيا في النصف الثاني من القرن 9 م وعاصمتها شاكي (شاكيه).

إستقر فرع من الأمراء الشيبانيين–المَزْيَديين في شرقي أرمينيا في شيرفان كإقطاع لهم. أصبح هيثم، شقيق محمد، حاكم شيرفان والمؤسس الحقيقي لهذه السلالة. وبعد أن دبّت الفوضى بسبب اغتيال الخليفة المتوكل إستقل هيثم في شؤون شيرفان ولُقِّب "شيرفانشاه".

A.Minorski, Istoria Shirvana, 47, بالروسية

تحولت دربنت بدورها إلى إمارة مستقلة في الستينيات وكان هاشم بن سُراقة السُلّمي قد عُين حاكماً لمناطق دربنت والثغور. إجتمع سكانها مع قوات الثغور وجعلوا هاشماً أميراً عليهم وخلفه من بعده أمراء عائلة الهاشميين.

. الكاثوليكوس هوفهانَس، 185–186.

(3) علاقات الملك سمبات الأول السياسية مع العباسيين

بعد وفاة آشوت الأول خلفه ابنه البكر سمبات الأول على عرش أرمينيا 890–913م الذي ركّز جميع جهوده لتنظيم علاقات مملكة أرمينيا مع القوتين العظميين الخلافة وبيزنطة. حاول سمبات الأول إعتاق أرمينيا من وضعية التبعية للخلافة العربية بكل ما أوتي من وسائط فعزز من بأسها ووقف على الحياد بين هاتين القوتين الكبيرتين المتنافستين.

إستمر انحطاط الخلافة العباسية تدريجياً بدءاً من نهايات القرن 9 م وبدايات القرن 10م. إنحصرت السلطة في عهد المعتضد 892–902م، المكتفي 902–908م والمقتدر 908–932م على وجه الخصوص بين يدي الوزراء الأقوياء نذكر منهم ابن الفُراطة، علي بن عيسى وابن مُكْلة.

. المصدر نفسه، 162–166.

إشتد ضعف الخلافة بعد حيازة بيزنطة على بعض النجاحات في كيليكيا في عهد الإمبراطور ليو السادس 886–912م. ورغم حصول القائد نيكيفور على بعض الانتصارات المؤقتة حصلت القوات البيزنطية على انتصارات بإمرة القائد الأرمني "مليه الكبير" واحتلت أراضٍ واسعة جداً.

Istoria Vizantii, Tome 2, 190, بالروسية
D.Sourdet, Le Vizirat Abbaside, II, Damas 1969, 495-562.

إستغلت المملكة الأرمنية الظروف المناسبة لوهن العباسيين فظهرت في هذه المرحلة بالذات إمارة الساجيين التي سبب حكامها أضراراً كبيرة لأرمينيا. أرسل الخليفة المعتضد سنة 892م تاجاً، ثياباً مزدانة بالذهب وخيولاً عربية مصطفاة إلى سمبات الأول. نُصّب سمبات الأول ملكاً على أرمينيا في موطنه في Erozgovorse في كاتدرائية الكاثوليكوس كيفورك الأول بحضور أمراء أرمينيا الإقطاعيين الكبار ضمن احتفالات باهرة. حضر حاكم آذربيجان أفشين مراسيم التتويج وجلب معه التاج الذي قدمه الخليفة بالإضافة إلى أمير كارتلي أدرنرسيه.

. الكاثوليكوس هوفهانّس، 185–186.

أقام الملك سمبات الأول علاقات مع الإمبراطور ليو السادس وبعث له رسالة فرد عليها الإمبراطور برسالة حبية وأكد على صداقة بيزنطة له.

. المصدر ذاته، 199–200.

كانت غاية الخليفة من إهداء التاج جذب أرمينيا إلى الخلافة وعرقلة صعود نفوذ بيزنطة على المملكة الأرمنية. لكنه لم يُفلح في منع قيام هذه الصلات. لذلك عين محمد أفشين الساجي ليس على آذربيجان فحسب، بل لمقاطعة أرمينيا العربية أيضاً التي لم تكن لها وجود في هذا الوقت. فظهرت خلافات شديدة جدية بين الملك سمبات وأفشين. وبعد قيام

الاتفاق الأرمني–البيزنطي أمر الخليفة أفشيناً لبدء العمليات الحربية ضد ملك أرمينيا فاتجه سمبات الأول إلى حدود أرمينيا على رأس 30,000 محارباً نحو منطقة روتاكاتس (Her وزاريفاند). بعث في الوقت ذاته رُسلاً مؤكداً أن الاتحاد بين أرمينيا وبيزنطة مفيد للخلافة أيضاً وبوسع التجار المسلمين الذهاب إلى بيزنطة بحرية عبر أرمينيا الحيادية. إنتهت المناقشات بنجاح فقفلت قوات العدو عائدة من حيث جاءت.

. الكاثوليكوس هوفهانّس، 200–201.

عند عودته عبر سهل نهر آراكس (الرسّ–المترجم) علم الملك سمبات الأول أن حاكمي مدينة دفين، الشقيقين محمد وأمية، أعلنا العصيان فقمع الثورة واعتقلهما وربطهما بسلاسل حديدية. بعد ذلك أخضع سمبات الأول بقية المقاطعات التي لم تخضع للمملكة الأرمنية بعد وفاة آشوت الأول.

. المصدر ذاته، 203.

سبب صعود بأس أرمينيا عدم رضا العباسيين فاستغل أفشين الزلزال الهائل الذي ضرب العاصمة الأرمنية دفين وسبب أضراراً كبيرة لأرمينيا. بناء على ابن الأثير توفي 150,000 من سكانها أثناء الهزة الأرضية فاجتاح أفشين أرمينيا وحاصر المدينة لكنه تعرض إلى هزيمة مذلة عند أسوار قلعة Vejan قرب قرية دوغس.

. ابن الأثير، الجزء 6، 76.

بعد هذه الانكسارات والفشل الذريع فتّش أفشين والعباسيون عن حِيَل أخرى لإضعاف المملكة الأرمنية. أفلح أفشين في جذب الأمراء السيونيين، حكام مقاطعة فاسبوراكان الأقوياء، إلى صفه. في الوقت ذاته ثارت مقاطعات أخرى ضد الخلافة وتحديداً دياربكر ضد أرمينيا، وكان الشيبانيون حكامها، فأصبح أحمد حاكم دياربكر بعد والده عيسى بن الشيخ الذي قبض على أمير أرزان أبو المغرة بن موسى (ابن زُرارة) الذي كان ابن أميرة

أرمنية كذلك زوجته كانت أرمنية من عائلة الأمراء السيونيين. إرتد أبو المغرة إلى المسيحية. بعد احتلال كامل السلطة ألغى أحمد إمارة سلالة زُرارة وباشر حرباً سافرة ضد أرمينيا وقام بحملة على منطقة تارون وقتل أميرها الجديد كوركين شقيق دافيت باكراتوني.

-، 236-237.

هاجم سمبات أحمداً بجيش كبير عدد أفراده 100,000 محارباً إلا أنه اندحر بسبب خلافات جرت بينه وبين أمراء فاسبوراكان.

. آرام تير غيفونديان، الإمارات العربية في أرمينيا الباكراتونية، 116-120.

(ترجمه إلى العربية الدكتور ألكسندر كشيشيان–المترجم).

إستغل أفشين فشل سمبات الأول في تارون فاجتاح أرمينيا ثانيةً، خرّب بعض مناطقها، أبقى ابنه ديوداد في دفين وقفل عائداً إلى آذربيجان سنة 900م. إستعاد سمبات الأول مدينة دفين العاصمة وأكره ديوداد على دفع الجزية. وعندما توفي أفشين في عام 901م هرب ديوداد إلى آذربيجان.

. الكاثوليكوس هوفهانّس، 239.

بعد فشلهم في هذه المرة أيضاً فتش العباسيون وأتباعهم الساجيون والشيبانيون عن مخططات جديدة فحرّضوا العرب المحليين في أرمينيا وتحديداً عرب منازكيرت. ثار أبناء عبد الحميد بن أبو الورد القيسي أي أبو سوادة، وأبو الأسود وأبو سليم ضد ملك أرمينيا ورفضوا دفع الجزية والخدمة في جيشه . فهرع المسلمون إلى دعم القيسيين الذين كانوا قد أُرسلوا لمحاربة بيزنطة.

. طوماس أرتزروني ، 246.

مع ذلك اندحر الثوار والداعمون لهم واقتربت القوات الأرمنية من مدينة مانازكيرت فرجا القيسيون عقد اتفاقية سلام والموافقة على دفع الجزية. ومن الظواهر الشيقة أن جماعات بني عثمان العربية، حكام بيركري، ظلوا أوفياء لملك أرمينيا.

. المصدر ذاته، 247.

طُردت قوات الشيبانيين ثانية في هذه الفترة في منطقة تارون واستلم حكمها فرع تارون لعائلة الباكراتونيين وأصبح كريكور (كريكيوريكيوس) أميرها.

Constantine Porphyrogenitus, De Administrando Imperio, 43, 189.

وهكذا أفلح سمبات الأول نسف جميع مخططات الخلافة وحلفائها. أرسل ملك أرمينيا سفراءً إلى بغداد وحصل على موافقة الخليفة المقتفي حول إرسال جزية أرمينيا إلى بغداد مباشرةً لا عبر حاكم آذربيجان. وكانت أرمينيا تدفع مبلغاً زهيداً للخلافة في هذا الوقت مقداره 60,000 درهماً سنوياً (فرض العباسيون حتى ذلك الوقت على أرمينيا جزية كبيرة جداً تصل إلى 14,000,000 درهماً فضياً عدا الهدايا والرشاوى وسرقات الجباة العرب- المترجم).

. الكاثوليكوس هوفهانّس، 270.

ولجذب أرمينيا إلى صفه خفّض الخليفة حتى هذا المبلغ الضئيل. بالإضافة إلى ذلك أهدى سمبات الأول تاجاً ملكياً جديداً وثياباً مذهّبة نفيسة وخيولاً عربية مطهمة.

. المصدر نفسه، 244.

كان التحالف ناحية حيوية جداً بالنسبة للخلافة وخاصة بعد توتر علاقاتها مع الساجيين كثيراً. خلا ذلك لعبت أرمينيا دور رأس الجسر بالنسبة للعرب في حربهم ضد بيزنطة.

وكانت بعض القوات العربية تتمركز في مدينة ثيودوسيوبوليس في هذا الوقت فقرر الروم الهجوم عليها.

. طوماس أرتزروني ، 235.

وعندما علم الحاكم الجديد لآذربيجان يوسف 901–919م، شقيق أفشين، حول المفاوضات بين أرمينيا والعباسيين اجتاح أرمينيا إلا أن القوات الساجية عادت بأدراجها إلى الخلف وعقدت صلحاً معها.

. المصدر ذاته، 408.

ثار يوسف ضد الخليفة مباشرة فأرسل المتوكل رُسلاً إلى أرمينيا يقترح على الملك الأرمني الهجوم على الساجيين. ظل رسول الخليفة في أرمينيا لاستمالتها. وافق سمبات الأول في نهاية المطاف على إرسال قوة مشكلة من 1,000 جندي.

توفي الخليفة المكتفي في هذا الوقت فعين الخليفة الجديد المقتدر يوسفاً حاكماً على آذربيجان واجتاحت قواته ثانيةً أراضي أرمينيا وشنت سلسلة طويلة من الصدامات الحربية بين الساجيين وأرمينيا.

. المصدر ذاته، 408.

بعد اندحار شقيقه في حربه ضد المملكة الأرمنية قرر يوسف تعطيل وحدة أرمينيا مستغلاً الخلافات بين الأمراء الأقوياء في فاسبوراكان والملك سمبات الأول (على مبدأ فرق تسد– المترجم). قدّمت الخلافة تاجاً ملكياً لأمير فاسبوراكان كاكيك وقسّمت أرمينيا فعلياً، لا حقوقياً، إلى قسمين. أضعفت ثورة كاكيك ضد سمبات الأول أرمينيا وكانت العاقبة انكسار سمبات الأول وقتله سنة 913م.

. نيكولاي آدونتس، آشوت بركات (الحديدي)، 265–267.

(4) تصفية المواقع الأخيرة للخلافة
في أرمينيا والاستقلال التام للمملكة الأرمنية

بعد مقتل ملك أرمينيا سمبات الأول عانت البلاد من أحوال صعبة بسبب الكفاح العنيد ضد قوات الساجيين. نظّم آشوت بن سمبات الأول شؤون الدفاع وقاد مع شقيقه عباس الجيش الأرمني فألهم كفاح آشوت الناجح أمراء أرمينيا الذين نادوا به ملكاً بعد تحرير أرمينيا. وكان آشوت الثاني 914–928م آخر ملك أرمني من سلالة الباكراتونيين حافظ على علاقاته مع العباسيين رغم عدم دفع البلاد الجزية أو أية ضريبة للخلافة. إلا أن نجاحات آشوت لم تكن راسخة في مرحلة التشظّي الإقطاعي. عاد يوسف ثانيةً للهجوم على فاسبوراكان لكنه اصطدم مع مقاومة عنيفة في سيونيك أيضاً.

فباشرت بيزنطة بعقد محادثات مع القصر الأرمني أثناء هذه الظروف القاسية فبعث بطريرك القسطنطينية نيكولا الأول ميستيك رُسلاً لعند الكاثوليكوس هوفهانّس دراسخاناكيردتسي مؤكداً على أن بوسع الإمبراطورية الدعم بالسلاح. بعد استلامه لمثل هذه الرسالة إتجه الكاثوليكوس غرباً لكنه توقف عند تارون وأرسل كتاباً إلى القصر الإمبراطوري. وصل فيودور غاسيليك إلى أرمينيا لدعوة الملك آشوت والكاثوليكوس هوفهانّس إلى القسطنطينية لإجراء محادثات. فاتجه الملك إلى العاصمة البيزنطية واستُقبل بتشريفات كبيرة على الطرق وفي العاصمة.

. الكاثوليكوس هوفهانّس،355–357، 361–365.

جدد آشوت الثاني الوحدة مع بيزنطة وقفل عائداً إلى أرمينيا برفقة قوات بيزنطية التي كان وجودها معنوياً فقط. فوضعت عودة آشوت الموفقة كذلك مقاومة كاكيك في فاسبوراكان يوسفاً في حال صعبة لذلك حاول استغلال إنقسامات أمراء أرمينيا الإقطاعيين مرة أخرى. فدعا يوسف إليه قائد أرمينيا آشوت، ابن عم الملك وابن شابوه، واعترف به ملكاً على أرمينيا بأمر الخليفة.

. المصدر ذاته، 366.

إبتعدت قوات الساجيين عن أرمينيا بعد سنة واحدة 919م لأن يوسفاً بالذات وقع في الأسر ورُمي في سجن بغداد أثناء محاربته لقوات الخلافة.

. ابن الأثير، الجزء 7، 76.

أفسحت انتصارات آشوت الثاني على الأعداء الداخليين والخارجيين إمكانية لدعم حكم مملكة أرمينيا. إلا أن الخليفة قام بمحاولته الأخيرة لمد هيمنته على المملكة الأرمنية فأرسل تاجاً جديداً لأمير فاسبوراكان كاكيك مع قائد جيشه الفارقي معترفاً به ملكاً على أرمينيا.

. الكاثوليكوس هوفهانّس، 382.

دُحر الفارقي أمام الحاكم الجديد لآذربيجان سبوك الذي كان الخليفة قد اعترف بحكمه. إلا أن وضعية سبوك لم تكن راسخة بعدُ فدنا من الملك آشوت واعترف به رسمياً باسم الخليفة "شاهنشاهاً" لأرمينيا الكبرى. أدت سياسة آشوت الثاني المستقلة وجهوده للتقارب مع بلدان الخلافة إلى تراجع بيزنطة عن عهودها وبادرت إلى هجمات سافرة على أرمينيا ووصلت قواتها حتى على مشارف العاصمة الأرمنية دفين (دبيل) لكن الملك دافع عنها مع سوبوك أمام هجمات القوات البيزنطية بقيادة جون كوركواس (قائد بيزنطي شهير جداً من أصل أرمني–المترجم) وأكرهها على الانسحاب.

. أصوغيك، 170.

كذلك سبب تحالف ملك أرمينيا مع أمير آذربيجان وسياستهما المستقلة انزعاج قصر الخلافة. فأطلق الخليفة المقتدر سراح يوسف من سجنه، بناء على نصيحة وزيره المؤنس، وعينه حاكماً على آذربيجان ثانيةً سنة 923م بعد أن توفي سبوك أثناء ذلك. فبدأ يوسف بالهجوم مباشرة على أرمينيا بإرسال شخص يدعى نصر السبوكي الذي احتل مدينتي

ناخيتشيفان ودفين وقفل عائداً بعد أن أبقى هناك بشيراً. حاول هذا بالتحرك شمالاً لكنه تعرض إلى اندحار مذل قاس أمام الملك آشوت الثاني على ضفة بحيرة سيفان.
. الكاثوليكوس هوفهانّس، 442–446.

وهكذا طُردت القوات العربية خارج أرمينيا نهائياً. فاستغل البيزنطيون هذه الأوضاع واجتاحت قواتهم أرضها ثانيةً سنة 928م ووصلت حتى دفين لكنها تعرضت إلى هزيمة مرة أخرى وتقهقرت غرباً.
. ابن الأثير، الجزء 6، 189–190.

وصلت أرمينيا إلى الاستقلال التام وعاشت مرحلة سلام في عهد الملك الأرمني عباس 928–953م. مع ذلك أضحت بعض مناطق أرمينيا في عهدي آشوت الثاني وعباس ساحة حرب بين بيزنطة والخلافة. ومثالنا على ذلك أن البيزنطيين هاجموا مدينة خلاط (أخلاط) سنة 931م وسواها من المدن بينما قرر حاكم آذربيجان الجديد مُفلح الساجي اجتياح مقاطعة فاسبوراكان فسبب أضراراً جسيمة لها.
. المكان نفسه.

إجتاح "عربي" أرمينيا لكنه تعرض إلى الانكسار من قبل الملك عباس وكاكيك عند ضفة نهر آراكس.
. طوماس أرتزروني، 299–302.

كذلك قرر لاشكاري بن الماردي، منافس حاكم آذربيجان الجديد دَيْسَم، الهجوم على مقاطعة فاسبوراكان في عام 937–938م إلا أن أدوم أفنى جميع قواته وقتل لاشكري.
Miskawayh, Tajaroub al-Oumam, London 1920, 89-90.

بعد وفاة سمبات الأول حاولت بيزنطة مد نفوذها على القسم الجنوبي–الغربي من مملكة أرمينيا. بناء على المؤرخ الإمبراطور قسطنطين بورفيروجينيتوس فإن الجزية، التي كان القيسيون يقدمونها لأرمينيا، باشروا بدفعها لملك الروم بعد وفاة سمبات الأول.
Constantine Porphyrogenitus, De Administrando Imperio, 44, 189.

عندما نشأت إمارة الحمدانيين، المرتبطة رسمياً بالخلافة في جنوبي أرمينيا في منتصف القرن 10م، تأزمت الأوضاع بين بيزنطة والخلافة إلى الحد الأقصى. بادر سيف الدولة الحمداني بسلسلة حملات ضد بيزنطة عبر مناطق أرمينيا الغربية انطلاقاً من منطقة دياربكر واشتهر بفضلها كمدافع عن الإسلام. إجتاح سيف الدولة أرمينيا عبر نصيبين عام 939م ووصل حتى مدينة ثيودوسيوبوليس. وكان البيزنطيون قد شيدوا قربها مدينة هافسجيج (حافجيج عند العرب–المترجم). وعندما علم البيزنطيون باقترابه دمّروا المدينة وتقهقروا. قام سيف الدولة بحملة ربيعية كبيرة سنة 940م ضد بيزنطة لكن الأحوال تغييرت في عهد الإمبراطور نيكيفوروس فوكاس بعد دخول الروم إلى كيليكيا.
M.Canard, Les Hamdanides et l'Armenie, 89-90.

ثار أحد الخاضعين لسيف الدولة يُدعى نجا سنة 964م. وبعد هجوم غير موفّق على ميّافارقين قرر اجتياح أرمينيا واحتل جميع مدن القيسي الأخير أبو الورد وقتله. فأسرع سيف الدولة شخصياً إلى أرمينيا واحتل مدن القيسيين وعاد في بداية عام 966م وتوفي بعد سنة فزالت دولة الحمدانيين غير الراسخة أصلاً مباشرةً. فحاولت بيزنطة احتلال مدينة ثيودوسيوبوليس، الحصن الأخير للخلافة في الهضبة الأرمنية، في عهد حملات الحمدانيين على أرمينيا. دعمت بيزنطة مواقعها في الشرق حتى نهر الفرات في القرن 10م وخاصة بعد استيلائها على مدينة ميليتينيه (مالاطيا). فحاولت الخلافة بدورها الحفاظ على كل ذلك.

E.Honigmann, Die Ostgrenze, 43-80.

وكانت قوات الخلافة موجودة داخل ثيودوسيوبوليس وجوارها. وصل الحاجب محمد بن نصر من الموصل سنة 922–923م لقيادة جيوش المسلمين في ثيودوسيوبوليس والقيام بحملة ضد الروم.

. ابن الأثير، الجزء 6، 172.

وصف قسطنطين بورفيروجينيتوس صورة الأحوال العامة في ثيودوسيوبوليس والمناطق المجاورة. وكان لدى العرب منظومة كاملة من التحصينات مركزها مدينة ثيودوسيوبوليس وتحوي أيضاً مناطق كارين، باسين، مارداغي وقسماً من هافنونيك.

. آرام تير غيفونديان، الإمارات العربية في أرمينيا الباكراتونية، 158–163.

تقف قلعة ماستادون على مساحة غير بعيدة عن مدينة ثيودوسيوبوليس.

Constantine Porphyrogenitus, De Administrando Imperio, 45.

إلى الشمال من هذه المنطقة هناك باكراتونيو تايك الذين كانوا على صلارت جيدة مع عرب ثيودوسيوبوليس رغم محاولات الروم إقناع الأرمن بالهجوم عليهم. إقترح الإمبراطور ليو الحكيم، رومانوس ليكابينوس وقسطنطين بورفيروجينيتوس باستمرار إعادة قلعة Ketseon غير البعيدة عن مدينة ثيودوسيوبوليس إلى البيزنطيين إلا أن حكام تايك رفضوا اقتراحهم. لذلك قررت بيزنطة اتخاذ خطوة حاسمة في أربعينيات القرن 10م لتصفية التحصينات العربية وثغور ثيودوسيوبوليس الحدودية. دمّر البيزنطيون المنطقة حول Avnik فخضع أمير المدينة للإمبراطور. ثم طوّقت القوات البيزنطية مدينة ثيودوسيوبوليس طوال 7 أشهر وأفلحت في احتلال قلعة ماستادون في نهاية المطاف. تمكن الروم من احتلال المدينة بين 29 آب–27 أيلول سنة 949م.

A.Vasiliev, Byzance et les Arabes, II, 95.

وبسبب زوال دولة الحمدانيين وسقوط ثيودوسيوبوليس فقدت الخلافة الضعيفة أصلاً آخر مرتكزات لها في أرمينيا. في الوقت ذاته، ومع صعود قوة البويهيين، فقد الخليفة العباسي مواقعه بشكل كامل فدعمت أرمينيا استقلالها. بدأت المرحلة الثانية من صعود بأس المملكة الأرمنية في عهد الملك آشوت الثاني 953–977م الذي نظم مملكته على أساسات جديدة من المركزية فظلت على الحياة منذ عهد سمبات الأول.

أقنع فشل آشوت الثاني وعباس الباكراتونيين في عدم إمكانية رأب الصدع الإقطاعي. فقام آشوت الثالث بتوحيد جميع أراضي مملكة أرمينيا.

كانت هذه الفترة الثانية لدعم دولة الباكراتونيين وازدهار إقتصاد أرمينيا وتطور ثقافتها بشكل محموم وشُيدت أنصاب رائعة تجسّد الثقافة الأرمنية في النظام الإقطاعي المتطور. وبعد وصولهم إلى الاستقلال الكامل حافظ ملوك أرمينيا بالألقاب التي حصلوا عليها من الخلافة معززين مواقعهم الحقوقية ومواقع مملكة أرمينيا في الشرق.

كان الخلفاء يمنحون لقب "ملك" لغير المسلمين ولغير العرب على وجه الخصوص. وكان اعتراف الخليفة بآشوت باكراتوني ملكاً يعني طبعاً اعترافه باستقلال أرمينيا. وكان الباكراتونيون الأوائل آشوت الأول، سمبات الأول وآشوت الثاني قد حصلوا على التاج الملكي من الخليفة وأصبح آشوت الثاني أول ملك أرمني أنهى صلاته مع الخلافة.

كان للقب "شاهنشاه" على وجه الخصوص أهمية كبيرة للملوك الأرمن الذين كان لبعضهم الأفضلية على جميع الأمراء الإقطاعيين في أرمينيا. ونجد أن جميع الكتابات الجدارية تذكر هذا اللقب لجميع الملوك الباكراتونيين حتى نهاية سلالتهم. أما البيزنطيون فقد كانوا ينعتون الملوك الباكراتونيين بـ "أمير أمراء أرمينيا".

Constantine Porphyrogenitus, De Ceremoniis, II, 686.

(5) علاقات أرمينيا التجارية مع بلدان الخلافة

ظهرت ظروف مناسبة جداً لتطور أرمينيا الإقتصادي وإحياء المدن في النصف الثاني من القرن 9 م وخاصة في القرن 10م بفضل تغيّر الأحوال السياسية الخارجية. تطورت

المهن، التجارة والمدن في جميع يلدان الخلافة بتحديث تكنولوجية المهن، إنتاجية السلع النسيجية، السيراميكية وأضحت المدن الكبرى دمشق وأنطاكيا في سوريا، الفسطاط والإسكندرية في مصر، بغداد، البصرة والكوفة في العراق، شيراز، أصفهان والريّ في غربي إيران، نيسابور وميرف في خرسان، بخارى وسمرقند مراكز تجارية وعقدت معها أرمينيا علاقات تجارية. وكانت طرق القوافل الدولية الأهم تعبر من خلال بلدان الخلافة وتربط مناطق البحر الأبيض المتوسط بالهند والصين وتخترق مناطق أرمينيا وما بين النهرين الشمالية بشكل رئيسي. وكانت هناك مدن على طول هذه الطرق تخدم مراكزَ كبيرة لتجارة بضائع الترانزيت المحلية.

Istoria Stran Zaroubezhnoi Azii, 148, بالروسية

وكانت بغداد عقدة تقاطع مهمة على هذه الطرق فتركزت فيها أموال طائلة وغنى فاحش.
Ph.Hitti, History of the Arabs, 343-345.

وفي هذا الوقت بالذات يُلاحَظ نمو المدن، تطور المهن والتجارة في أرمينيا. وكانت دفين لا تزال المدينة الرئيسية إلا أن آني، العاصمة الجديدة لمملكة أرمينيا، باشرت في لعب الدور الرئيسي لاحقاً في نهايات القرن 10م وبداية القرن 11م. وخلا هذه المدن الكبرى قامت مدينتا قارص وأردزن، على طريق القوافل الشمالية، والمواقع التجارية الهامة على الطرق الجنوبية مثل فان، Ostan، بيركري، أرجيش، مانازكيرت، خلاط وموش بأدوار حيوية.

B.N.Arakelian, Goroda I Remesla, II, 30-46, بالروسية

كتب جغرافيو القرن 10م العرب كالإسطخري، ابن حوقل والمقدسي حول الطرق الممتدة بين هذه المدن. وكانت العاصمة الأرمنية دفين عقدة تقاطع هذه الطرق بين القرنين 9–10م ثم آني لاحقاً في القرن 11م. ويمكن القول إن طرق أرمينيا في عهد الباكراتونيين

كانت في حال أفضل مقارنة بطرق الخلاقة. وجد ناصيري خوسراف طريقاً قرب بحيرة فان حُدد مسارها بعصاً زان طويلة تخدم لتحديد اتجاهها أثناء العواصف الثلجية والضباب.
Nasir-i-Khousrav, Safar-Nameh, M-L. 1933, 39.

كانت التجارة الخارجية أهم عامل في حياة أرمينيا لذلك ساهمت بدورها في سرعة نمو مدنها.

B.N.Arakelian, Goroda I Remesla, II, 30-38, بالروسية

كذلك لعبت تجارة بيزنطة مع بلدان الخلافة دوراً مهماً وجرت على أراضي المملكة الأرمنية الحيادية.
. هاكوب ماناندیان، التجارة ومدن أرمينيا القديمة، 200، بالأرمنية.

نشطت تجارة بلدان الخلافة مع بلدان أوروبا الشرقية عبر أرمينيا وشيرفان أيضاً. وكان لمنتجات أرمينيا المحلية دور ملحوظ في التجارية الخارجية وتتألف من الأقمشة والأشياء المصنّعة منها بشكل رئيسي. خلا الأقمشة تذكر المصادر الزنانير، الأغطية، الوسادات، البرادي ومواد الأرائك. وكانت هذه الأشياء المنزلية توصف بـ "السلع الأرمنية" وتُصبغ بالقرمز الأحمر في غالبية الأحيان.
Bibl.Geogr.Arab.I, 344.

عند حديثه حول مدن أرمينيا أكد ابن حوقل على أن هذه البضائع كانت تُباع في الأسواق الدولية قائلاً: "هناك سلع من جميع الأصناف في هذه المدن والمناطق للتصدير إلى جميع البلدان من حيوانات كالخراف، المنسوجات المشهورة مثل الخيوط والسجاجيد الأرمنية مصنوعة في سالماست وتُباع الواحدة منها بـ 60 ديناراً ذهبياً ولا نجد بضائع مشابهة في الأراضي القريبة منها".
. ابن حوقل، الجزء 2، 344.

كانوا يصنعون في أرمينيا سجاداً مرقّشاً يُدعى "المخفور" وأقمشة صوفية رائعة تُدعى "الديباج" تصدر إلى بلدان الخلافة كذلك إلى بيزنطة.
A.V.Kremer, Kulturgeschichte des Orients, I, 342.

يشهد ابن فضلان أن خيمة ملك البلغار على نهر الفولغا مغطاة بالسجاد الأرمني.
Pouteshestviyeh Ibn Fadlan na Volgoi, M-L 1939, 73, بالروسية.

كانت طريق الترانزيت الدولية عبر أرمينيا تنطلق من مرفأ طرابزون على البحر الأسود. بناء على معلومات ابن حوقل إتجه تجار جميع بلدان الخلافة إلى هناك حيث السلع من أصل يوناني وأقمشة الديباج التي تُستورد من البلدان الشرقية. كذلك بناء على هذا المؤرخ العربي جمع موظفو جمارك طرابزون البيزنطيون مبالغ طائلة لم تكن معهودة قبلاً حتى القرن 10م. "إستوردوا عبر هذه المدينة أقمشة صوفية، حريرية وأقمشة كتّانية يونانية وملابس يونانية، قامت أسواق سنوية في طرابزون أمّ إليها تجار بيزنطيون وأرمن وسواهم. جلبوا إلى القسطنطينية عبر أرمينيا وطرابزون بهارات وعطور شرقية من إيران، الهند، شبه الجزيرة العربية وسوريا أقمشة، ثياباً، سجاداً كذلك عطوراً وأصباغاً عالية الجودة".
. ابن حوقل، الجزء 2، 344.

Istoria Vizantii, II, 148, بالروسية

كانت لأرمينيا علاقات تجارية قوية مع العراق عبر عاصمتها دفين، مانازكيرت، خلاط (أخلاط)، باغيش (بدليس) وآمد. وكانت للملاحة النهرية أهمية كبيرة في الأزمان الموغلة للقدم في تجارة أرمينيا الخارجية مع بلاد ما بين النهرين.
Histoire d'Herodote, trad., de P.H.Larcher, I, 194.

أعاد العباسيون إحياء الملاحة على نهري الفرات ودجلة. يمكن الملاحة على نهر الفرات على الطرف الجنوبي–الغربي من أرمينيا بدءاً من ساموسات (سميساط). نقلوا أحجاماً

كبيرة من البضائع فوق مياهه مثل خشب البناء من أرمينيا وزيت الزيتون من سوريا.

A.Mets, Mouslimanski Renessance, 377, بالروسية

كانت الملاحة على نهر دجلة في أرمينيا الباكراتونية الطريق المائية الوحيدة. نُقلت السلع عبر آمد، الواقعة على الطرف الجنوبي–الغربي من أرمينيا، على ضفة النهر. لم تقلّ البضائع في آمد أبداً لأنها كانت المرفأ النهري الرئيسي لبلاد الأرمن (أرمينيا البيزنطية) ومناطق دياربكر. إتجهوا من هنا إلى الموصل على مراكب محملة بالعسل، السمن، الأجبان، الجوز، اللوز، البندق، التين ومنتجات أخرى.

Bibl.Geogr.Arab.II, 153.

خلا المنتجات المشار إليها صدروا إلى الموصل وسواها من المدن العراقية سمك التِرّيخ من بحيرة فان بعد تمليحه. إستخرج الأرمن كذلك الملح من ضفاف البحيرة وصدروه إلى أفران العراق وغيرها من البلدان. ومن الشيق أن نذكر أيضاً أن أرمينيا كانت تصدر الخبز إلى بغداد.

. هلال الصبي، رسوم دار الخلافة، بغداد 1964، 90.

بناء على اليعقوبي إستوردت أرمينيا من العراق المواد الخام لحياكة السجاد والحرير الطبيعي من ناخرابان لتصنيع أقمشة.

Bibl.Geogr.Arab.VIII, 322.

يذكر المسعودي قبّة واسعة في بغداد مطلية "بالطين الأحمر الأرمني".

. المسعودي، الجزء 4، 303.

قامت مدينة آمد بدور تجاري كبير. لا تكمن أهميتها في كونها مرفأً نهرياً لأرمينيا، بل كانت المنتجات الأرمنية تصل عبرها إلى سوريا وخاصة إلى أنطاكيا التي كانت أهم مرفأ

سوري في القرن 10م.

A.Mets, Mouslimanski Renessance, 392, بالروسية

وكانت علاقات أرمينيا التجارية مع بلدان البحر الأبيض المتوسط تتحقق عبر هذه الطريق البرية التي تعبر سوريا وفلسطين وتصل حتى إلى مصر. ويُعلمنا اليعقوبي أنهم كانوا يصنعون سجاداً مصبوغاً بالقرمز الأحمر الأرمني في أسيوط يماثل السجاد الأرمني.
Bibl.Geogr.Arab. VII, 331.

ومن الشيق أن نذكر أن جميع بلدان الخلافة كانت تستورد القرمز الأحمر من أرمينيا لصبغ الأقمشة.
. هاكوب مانانديان، حول تجارة مدن أرمينيا القديمة، 229-2230.

كذلك صدّرت أرمينيا سمك التِرِّيخ المملح إلى سوريا واستوردت منها الزجاج.
. ابن حوقل، الجزء 2، 346.

تحققت تجارة أرمينيا مع إيران بشكل رئيسي عن طريق دفين-ناخيتشيفان عبر وادي نهر آراكس ثم شرقاً. إنطلقت طريق أخرى من فان ووصلت حتى آذربيجان. صدّروا إلى إيران السجاد وسواها من السلع الأرمنية. وعند حديثه حول إنتاج السجاد في أصفهان يقول ابن روسته "إنها جميلة عند استخدامها مع الفرش الأرمني الفاخر".
Bibl.Geogr.Arab. VII, 153.

إستورد تجار أردبيل وريّ سمك السوماهي من نهر أراكس في أرمينيا.
. ابن حوقل، الجزء 2، 338.

كذلك صدرت أرمينيا من منطقة أندزيفادزيك (زوازان) البغال الجيدة المشهورة بجَلَدها

وقوتها إلى إيران، العراق وسوريا.

. المصدر نفسه، 346.

صدروا كذلك سلعاً إلى الهند والصين عبر أرمينيا وإيران.

. المؤرخ الأرمني القروسطي Ourhayetsi (الرهوي–المترجم)، 49.

تؤكد نتائج التنقيبات الأثارية في خرائب العاصمة الأرمنية دفين على علاقات أرمينيا الراسخة مع بلدان الخلافة. ومثالنا على ذلك الكشف عن الخزف والزجاج المستورد من العراق، إيران وسوريا. حصلت أرمينيا على الورق من الخلافة فسبب انقلاباً في حياتها الثقافية. وكان الورق يُصنع في القرنين 8–9م في سمرقند (ما وراء النهر) فقط إلا أن معلمي المهنة ظهروا بسرعة في دمشق ثم فلسطين وبعد ذلك في مدينة طرابلس السورية. تعود أول كتابة أرمنية على الورق إلى عام 981م. وكان الورق قد انتشر كثيراً في الشرق في هذه السنوات فانكمشت كثيراً كميات الورق المصنوع من نبتة البردي.

A.Mets, Mouslimanski Renessance, 364, بالروسية

يُعتبر عهد الباكراتونيين فترة تسريع وتيرة التجارة في أرمينيا إلا أن التجار الأرمن لم يلعبوا ذلك الدور الهام الذي حققوه لاحقاً. والخلافة، التي كانت أحد المراكز الدولية للتجارة، لعب فيها العرب، الفرس، اليونانيون وحتى الهنود دوراً مرموقاً. ويؤكد A.Mets عن حق على أن الأرمن لم يشتركوا في مجال التجارة الدولية في هذه المرحلة سوى بعد القرن 11م.

الفصل التاسع

العلاقات الأرمنية–العربية الثقافية

ساهمت علاقات المملكة الأرمنية المختلفة أثناء الهيمنة العربية على أرمينيا في القرنين 9–10م وبعدها في تطور الحياة الثقافية بين الأرمن والعرب. لقد حمل العرب تأثيرات الشعوب الأكثر ثقافة مثل الفرس، السريان، الأقباط، الأرمن وسواهم حتى القرن 9 م إلا أنهم تطوروا وأصبحوا بالمستوى نفسه مع هذه الشعوب ثقافياً ومنذئذ نجد تأثير العرب الثقافي المتبادل على ثقافات شعوب الشرق.

كانت العلاقات الأرمنية–العربية الثقافية محدودة جداً في الفرن 8 م وبسيطة في القرن 9 م ونشطت إلى حد معين في عهد الباكراونيين في أرمينيا بوسعنا تسميتها بعثاً مؤقتاً لهذه العلاقات. إستمرت هذه العلاقات طوال القرنين 12–13م في المملكة الأرمنية الكيليكية على وجه الخصوص لكنها وهنت بعد انهيار المملكة سنة 1375م (تحت ضربات مماليك مصر –المترجم). ولم تكن العلاقات الأرمنية–العربية الأدبية قوية عامةً. ويمكن القول إن المؤلفين الأرمن في سنوات القرنين 8–10م والعصور التالية كانوا قليلي الإلمام بالأدب العربي والشيء يُقال عن العرب أيضاً. من جهة أخرى كانت العلاقات الأرمنية–اليونانية والأرمنية–السريانية الثقافية واسعة ومتشعبة. وبوسعنا الحديث بوضوح ودقة حول العلاقات الأدبية الوثيقة والترجمات إلى الأرمنية عن اليونانية والسريانية والعكس.

(1) العلاقات مع العرب المسلمين

الميزة الرئيسية لهذه العلاقات أنها كانت شفهية في بداية الأمر في مجال الأدب والتاريخ على وجه الخصوص نتيجة غياب العلاقات الأدبية المباشرة بين الأرمن والعرب المسلمين. لم يَزُر العرب أرمينيا في عهد هيمنة الخلافة فحسب، بل بعد قيام المملكة الأرمنية أيضاً. ألّف اليعقوبي، البلاذري، ابن الفقيه، المسعودي، ابن الكلبي وأبو دُلُف قصصاً شفهية وأساطير بعد أن زاروا شخصياً على ما يبدو قصور الأمراء الأرمن حتى

الأديرة وحصلوا على شهادات من رحالة آخرين أيضاً. ويُعلمنا المؤرخ السرياني أبو الفرج أن الفيلسوف العربي كوستا البعلبكّي وغيره استُضيفوا في جنوبي أرمينيا في فاسبوراكان في القرن 10م وأُفسح لهم المجال لتطوير العلوم وبسطها.

أبو الفرج، تاريخ، بيروت 1890، 258.

من الموضوعات الوصفية الهامة الطريفة جداً مذكرات أبي دُلُف الذي زار شخصياً شتى مقاطعات أرمينيا. تحدث حول أصحاب أحد المذاهب ووصف شعائر هذه الشيعة. كذلك تُعتبر معلوماته حول الموسيقى الأرمنية في عهد الباكراتونيين ذات أهمية استثنائية.

Vtaraya zapiska Abou-Doulafa, Isd.A.P.G. Boulganova I A.B.Khalidova, Maskva 1960, 60 بالروسية

كان العرب على إلمام بأفكار الفيلسوف الأرمني من القرن 6 م دافيت أنهاغت الذي كتب باللغتين الأرمنية واللاتينية. كذلك كان العرب يعرفون أرسطو أيضاً بناء على دراسات حول الفلسفة الأفلاطونية الجديدة كذلك عرف الفلاسفة المسلمون بورفيريا، أمّونيا وسيمبليتسيا وسواهم.

I, Madkhour, L'Organon d'Aristote et le Monde Arabe, Paris 1934, 23.
C.Grigorian, Srednevekovaya Philosophia Narodov Blizhnevo Vostoka, Maskva 1966, 84, بالروسية

لعب مؤلَّف دافيت أنهاغت دوراً مماثلاً في حياة الفرس في حقبة الساسانيين أيضاً.

عند الحديث حول العلاقات الثقافية الأرمنية–العربية المتبادلة علينا عدم نسيان تأثير هندسة العمارة الأرمنية على العمارة الإسلامية وعلى وجه الخصوص في تحصينات مصر في عصري الفاطميين والأيوبيين (كذلك طوال الحكم العثماني عن طريق سنان الأرمني وعائلة باليان الشهيرة الذي كانوا "معمارباشيي" البلاط طوال 250 سنة–المترجم).

لعب الأرمن أدوار استثنائية في حياة مصر الفاطمية 969-1171م وهناك سلسلة طويلة من الوزراء الأرمن مثل بدر الجمالي وفاهرام باهلافوني (بهرام الأرمني) وسواهما.

M.Canard, Un Vezir Cretien a l'Epoque Fatimide, Ann. de l'Inst. Des Et.Or., 1954.

. المقريزي، كتاب المواعظ، بولاق 1270 هـ=1853م، الجزء 1، 380.

إلى جانب القادة والموظفين الأرمن هناك معماريون من مملكة أرمينيا الكيليكية وأرمينيا اشتهروا في مصر بناء على شهادة المقريزي. بنى أرمن من الرها بوابات سور القاهرة: باب زويلة، باب النصر وباب الفتوح وواجهة جامع الأكمر في القاهرة سنة 1125م ونجد عليها جميعاً تأثيرات هندسة العمارة الأرمنية القروسطية.

Ph.Hitti, History of the Arabs, 630.

إهتم الأرمن بدورهم بالثقافة العربية وفي المقام الأول بالقرآن المقدس وكتب عنه المنوِّر، الفيلسوف والمفكر الأرمني من القرن 14 م كريكور تاديفاتسي.

. كريكور تاديفاتسي، كتاب "ضد المسلمين".

. ب.كولاساريان، الإسلام في الآداب الأرمنية، فيينا 1930، بالأرمنية.

كان الأرمن على بعض المعرفة بالآداب العربية والتاريخية. ومثالنا على ذلك أن المفكر والناشط الإجتماعي الأرمني في القرن 11م كريكور ماكيستروس باهلافوني ذكر الشاعر العربي الكبير المتنبي في كتاب له بعوان "شرح القواعد".

N.Adontz, Denys the Thrace, Lauvain 1970, 232-233.

ف.تشوكاسزيان، العلاقات الأرمنية-الإيرانية الأدبية، يريفان 1963، 29-33، بالأرمنية.

ويبدو أن كريكور ماكيستروس لم يكن الكاتب الأرمني الوحيد في القرون الوسطى الملمّ بالشعر العربي. ويعتقد بعض الباحثين أن القافية تغييرت في الشعر الأرمني تحت تأثير

الشعر العربي.

. الأكاديمي مانوك آبيغيان، تاريخ الأدب الأرمني، 615، بالأرمنية.

إستخدم الأرمن الأوزان والقوافي الحرة في الشعر الملحمي الأرمني ما قبل العصر المسيحي كذلك في شعر القرون الوسطى بين القرنين 5–7 م. ومثالنا على ذلك أعمال الكاثوليكوس كوميتاس من القرن 7 م. ظهرت أوزان القصائد وقوافيها في عهد الباكراتونيين. ومثالنا على ذلك ديوان

. كريكور ماكيستروس، "عمل الرب السامي"، من 1016 بيت.

خلا ذلك هناك ما يربو على 700 استعارة في اللغة الأرمنية والقروسطية من اللغة العربية تعود غالبيتها إلى مجال الطب، أسماء نباتات، أدوية وسواها. ومن الشيق أن نعلم تم تبني حميع هذه الاقتباسات بين القرنين 11–14م لا في أرمينيا بالذات، بل في مملكة كيليكيا الأرمنية لكنها لم تترسخ في اللغة الأرمنية لأن اللغة الأرمنية الحديثة لا تستخدم سوى بضع عشرات منها فقط.

. اللغوي الأكاديمي هراتشيا آجاريان، تاريخ اللغة الأرمنية، الجزء 2، 179–180.

كذلك هناك بعض التأثيرات للأزياء العربية على الأزياء الأرمنية أيضاً بين القرنين 9–11م.

. ف.أتسوني، تاريخ الأزياء الأرمنية القديمة، البندقية 1923، 174–211.

أ . القصص والأساطير الأرمنية
لدى المؤرخين والجعرافيين العرب

نجد على صفحات الجغرافيا والتاريخ العربيين سلسلة معلومات كاملة حول قصص وأساطير أرمنية من المحتمل جداً دخلت شفهياً. أما ما يتصل بالمصادر الكتابية فليس واضحاً إنْ كان المؤلفون العرب على علم بالتأريخ الأرمني الممتد بين القرنين 5–9 م خلا

القصص الشفهية. نلاحظ طبقتين في جميع هذه القصص التاريخية: أرمنية وعربية. أضاف المؤلفون العرب مواد جديدة على المواد الأرمنية المقتبسة وقدموها بصبغة جديدة خاصة.

هناك بعض المعلومات حول أصل الأرمن في الآداب العربية، سلالاتهم الإقطاعية والشعوب المجاورة لهم نجدها في كتاب "تاريخ الأرمن" لأبي التأريخ الأرمني موفسيس خوريناتسي وغيره من المؤرخين.

. موفسيس خوريناتسي، تاريخ الأرمن، 112-113.

. المؤرخ الأرمني فاردان، 91.

بناء على التقاليد الأرمنية والجيورجية كان طوركوم بن هومير بن يافث الجد الأول للأرمن، الجيورجيين، الألبانيين وقبائل مجاورة أخرى. رزق طوركوم 8 أبناءً هم هايك، كارتلوس، باردوس وسواهم وكان الأكبر جد الأرمن.

Histoire de la Georgie, I, 17.

من الشيق أن نعلم أننا سنجد الصيغة الأخرى لهذه القصة في الآداب العربية لدى الجغرافي ياقوت الحموي من القرن 13م والدمشقي من القرن 14م. فبناء على ياقوت الحموي كان أبناء غانت (أي طوركوم) وابن أفمار (أي هومير) وابن يافث أرمناً (جد الأرمن). أما كاسلوخ، الذي كان له ولدان فهما جد الجرزان (الجيورجيين) وأرّان. ومن الطريف أن أولاد أرمينيا كانوا دبيل، بايلاقان وأردبيل.

. ياقوت، الجزء 1، 198، 220، 798. الجزء 2، 59. الجزء 4، 686.

كتب الدمشقي بدوره حول هذا الموضوع وكانت أرمينيا، كاماشيخ وكاثلوخيم أبناء غانت. وكان لأرمينيا أبناء هم دبيل، بردعة، بايلاقان وأردبيل.

. الدمشقي، 187-190.

إحتلت هذه القصة العربية دائرة أوسع مقارنة بالقصة الأرمنية المعروفة. وقد جمع المؤرخون العرب ليس أرمينيا، كارتلي وأرّان فحسب، بل أيضاً بعض أقسام آذربيجان مثل أردبيل وغيرها. ويؤكد اليعقوبي على أن مصدر معلوماته حول هذه النشأة هوالمؤرخ ابن الكلبي من القرن 9 م كذلك استند إليه الدمشقي. ويبدو أن ابن الكلبي كانت لديه قصة أرمنية شفهية.

يحتفظ المسعودي بشهادة شيقة نادرة حول ملك أرمينيا آرا والملكة شاميرام (سميراميس، شامورامات–المترجم) عند سرده عن مدن ما بين النهرين القديمة قائلاً: "ثم نصّب سكان نينوى ملكة للبلاد تدعى شاميرام التي حكمت 40 سنة وحاربت ملوك الموصل. حكمت من ضفاف دجلة حتى أرمينيا ومن آذربيجان حتى حدود الجزيرة، جودي كذلك جبال تيتال حتى بلاد الزوازان وسواها من مقاطعات أرمينيا. وحكم بعد هذه المرأة أرسيس حوالي 40 سنة ويقال أنه كان ابنها. عارضه الملوك الأرمن فجرت حروب بين الطرفين وكان النصر إلى أحد الجانبين بالتناوب. ثم هاجم ملوك أرمينيا نينوى فجرت حروب بين أرمينيا والموصل ويُقال أنه كان آخر ملوك نينوى. كذلك قيل أن إثني عشر ملكاً خلفوه ودفع جميعهم الجزية لأرمينيا".

. المسعودي، الجزء 1، 214.

توجد تحليلات في الآداب التاريخية الأرمنية لدى أبي التاريخ الأرمني موفسيس خوريناتسي. يُروى التالي في "ملحمة آرا وشاميرام": سمعت ملكة نينوى حول جمال ملك أرمينيا آرا فبعثت رُسلاً إليه واقترحت عليه الذهاب إلى نينوى والاقتران منها والتربع على عرش آشور. وبعد رفض آرا لاقتراحها اجتاحت شاميرام أرمينيا على رأس جيش كبير فتعرضت قوات الأرمن إلى الانكسار وقُتل آرا أثناء المعركة". يتحدث موفسيس خوريناتسي بعد ذلك حول نشاط الملكة العمراني.

. موفسيس خوريناتسي، 48–57.

تتطابق شهادات المسعودي مع كلمات موفسيس خوريناتسي في عدة نقاط إلا أن النصف الثاني من الرواية غائب عند أبي التأريخ الأرمني. يقول المسعودي في هذا الشأن: "بعد وفاة شاميرام هاجم الملوك الأرمن وانتصروا على المملكة الآشورية وفرضوا الجزية على ملوكها". وهناك فقرة شيقة أخرى أيضاً لدى المؤرخ اليوناني القديم ديودوروس الصقلّي أن الملك الآشوري نين قام بحملة ضد أرمينيا وأخضع ملكها بارزوما. تعود شهادات المؤرخين الثلاثة إلى تاريخ أرمينيا للعصور الموغلة في القدم عندما كانت دولة أورارتو قائمة على أراضي الهضبة الأرمنية بين القرنين 9–6 قبل الميلاد.

تختلف شهادات المسعودي وصدامات الملوك الأرمن مع آشور عن المعلومات التي لدى موفسيس خوريناتسي وديودوروس الصقلّي وهما روايتان ملحميتان مستقلتان عن بعضهما. ومن المحتمل جداً ظهرت هذه الرواية في مناطق أرمينيا الجنوبية المرتبطة بوثاقة مع مناطق ما بين النهرين.

Diodorus Siculus, (Loeb Class Library), London 1960, II, 352.

. آرام تير غيفونديان، صدى أسطورة آرا وشاميرام، يريفان 1965.

في دراسة الواقدي المنتحل Pseudo-Wakidi التاريخية في القرن 12م عثرنا على أحد أشكال "ملحمة أحفاد صاصون" أو "ملحمة دافيت الصاصوني" التي ربطها المؤرخ العربي بأحداث قتال العرب لأرمينيا في القرن 7 م. بناء على الرواية هاجم العرب على أرمينيا وكان الإمبراطور جستنيان يحكمها وكانت له ابنة تدعى تاريئون. ورغم وعدها بالاقتران من موش بن ساناسار، حاكم صاصون (الصناصنة)، إلا أن باركون ابن حاكم أرزن أفلح في الاقتراب منها. تارئيون وياركون إلى العرب وصدّقها هؤلاء بينما كانت تكذب على والدها. حارب العرب أرمينيا وانتصروا عليها. لرواية هذا المؤرخ العربي مصدران: أولهما أرمني والثاني عربي. عند تحدثه عن علاقات تارئيون مع والدها والعرب يشير المؤرخ العربي أنها هربت لعند أبيها عند اقتراب القوات العربية من أرمينيا وارتدت إلى ديانة

أجدادها المسيحيين فاغتاظ منها العرب. يستطرد المؤرخ العربي قائلاً: "إنها لم ترتد إلى المسيحية بل كذبت على والدها فقط.

يبدو أن الرواية الملحمية حول ساناسار، وهي حلقة من حلقات ملحمة دافيت الصاصوني، كانت تُروى في أرمينيا الجنوبية كذلك في الجزيرة بأشكالها المختلفة. ورغم تقديم الواقدي المنتحل الشكل العربي فإنها مع ذلك تُعتبر النسخة الأولى للملحمة الأرمنية لأنه من المعلوم أن هذه الملحمة الأرمنية كانت باللغة الأرمنية ومن الصعوبة بمكان تحديد التاريخ الدقيق لتشكل هذه النسخة العربية. لكن، فإذا أخذنا بعين الاعتبار شخصية أردجوك المذكورة هنا، وهي شخصية من القرن 11–12م تحدث عنه المؤرخ الأرمني المعاصر من القرن 12م مادطيوس أورهايتسي (متى الرهوي–المترجم) فيمكننا التوكيد على أن هذه النسخة ظهرت أثناء القرن المذكور.

Geschichte der Eroberung von Mesopotamien und Armenien von Mohammed el Wakidi, (B.Niebuhr), Hamburg 1847, 54-65.

مادطيوس أورهايتسي، 225.

يحتل جبل آرارات (ماسيس) مكانة متميزة في الأسطورة العربية التي تعود إلى القرنين 9–10م بين المعلومات المختلفة حول هذا الجبل الأعلى في الهضبة الأرمنية. تحدث الجغرافي العربي ابن حوقل من القرن 10م حول نهر آراكس أيضاً قائلاً: "يُذكر نهر الرسّ في القرآن وحول موت سكانه على ضفتيه حتى فارسان جنوبي بايلاقان وتقع بعده خرائب مدن عديدة.

. ابن حوقل، الجزء 2، 345.

ينسب المقدسي بجلاء وفاة شعب الرسّ بجبل الحارث (آرارات الكبير) والحويرث (آرارات الصغير) قائلاً: "تقع تحت هذين الجبلين أطلال مدن عديدة على ضفتي نهر الرسّ". أكد كذلك على أنه لم يستطع أحد صعود قمة هذا الجبل".

Bibl.Geogr.Arab., III, 378-380.

بناء على شهادة ياقوت الحموي تقع كنوز الملوك الأرمن ومدافنهم على جبل آرارات الكبير فسحرها بالبناس الحكيم لمنع أي شخص الاقتراب من القمة. إستخلص آرارات الكبير اسمه (الحارث) من حارث بن عمر وآرارات الصغير (الحويرث) من حويرث بن عقبة رفيق سلاح القائد العربي سلمان بن ربيعة اللذين كانا الشخصين اللذين اقتربا من هذين الجبلين أولاً.

. ياقوت الحموي، الجزء 2، 183.

وتُربط روايته هذه مع نهر آراكس عند قوله: "هناك مدن عديدة حول نهر الرسّ. أرسل الله لسكانها نبياً لدعوتهم إلى دين الحق إلا أنهم لم يصغوا إلى دعوته فلعنهم الرب بأن رماهم بالحارث والحويرث الموجودين في الطائف في شبه الجزيرة العربية فطمر أهل الرس تحتهما". ويؤكد ياقوت على أن هناك أطلال 5,000 قرية في وادي بالاسجان.

. المصدر نفسه، 778.

. آرام تير غيفونديان، الأسطورة العربية حول جبل ماسيس. "مجلة هايكازيان"، العدد 2، بيروت 1971، 9-16.

تقع في أساس هذه الأساطير العربية "أسطورة ماسيس الحرّ". يستشهد موفسيس خوريناتسي التي، بناء عليها، حمل ملك أرمينيا تيكران في القرن 6 قبل الميلاد.

. موفسيس خوريناتسي، 83-84.

لم يهدم الجبل الغامض المدينة فحسب، بل أشخاصاً مدنّسين شجعانها أيضاً.

. المصدر نفسه، 192.

إقتبس العرب الأسطورة الأرمنية وربطوها برَسْ القرآن. يتحدث القرآن على الشكل التالي

عن المدن التي عاقبها الله ودمّرها: الكتاب ص 262
. القرآن السورة 24، 40، (38) ، 41 (39)

هناك معلومات لدى البلاذري حول تأسيس مدينة قاليقلا. يقول هذا المؤرخ العربي: "حكم ملك منهم يدعى أرمينياكوس وبعد وفاته خلفته زوجته التي تدعى كالي. شيدت مدينة سمتها "كالي كالا" التي تعني "إحسان كالي". ويقال إن إحدى بوابات أسوارها حَوَت صورتها. فعرّب العرب كلمة كاليكلا وسموا المدينة "قاليقلا".
. البلاذري، 197.

كذلك أخبرنا مؤرخون عرب آخرون حول هذه الأسطورة مثل
. ابن الأثير، الجزء 3، 40.

لهذه الأسطورة العربية أصلها الأرمني الذي وصلنا مشوهاً إلى حد ما في ترجمة أرمينيا المقتضب الذي جهزه أرمني خلقيدوني في عام 700م تقريباً. عند حديثه حول الملك الأخير لأرمينيا أرشاك أرشاكوني أكد المؤرخ على أن البلاد كانت مقسمة في هذا الوقت وكان ثيودوسيوبوليس عبارة عن قرية في هذا الوقت وتدعى "كالي أرخي" وتعني "بداية طيبة" لأن القديس بارثوليميوس عمّد نائب ملك فارس مع 3,000 من السكان المحليين في نهر الفرات على طريقه إلى بارفيو وشيد معبد والدة الرب المقدس وسمى هذه القرية "بداية طيبة" فبنى الإمبراطور ثيودوسيوس مدينة ثيودوسيوبوليس في هذا الموقع بالذات.
Narratio de Rebus Armeniae, 25, 65-70.
تشهد المصادر التاريخية أن هذه الكنيسة كانت تنشط في ثيودوسيوبوليس في القرون الوسطى المبكّرة. ورغم غياب الأدلة في الآداب الكنسية الأرمنية حول ذلك لكن ليس هناك أدنى شك حول نشاط القديس بارثوليميوس في كارين–ثيودوسيوبوليس. وهناك بعض المعلومات أنه شيد كنيسة والدة الرب في فاسبوراكان وعلّق صورتها عليها.

نشأت هذه الأسطورة قبل الفتح العربي لأرمينيا بدون أدنى ريب عندما قامت مدينة ثيودوسيوبوليس بدور استثنائي في حرب بيزنطة ضد إيران. اقتبس العرب هذه الأسطورة وحوّروها بخصال جديدة محتفظين بمعنى الكلمة اليونانية كالي (الطيب، الوسيم). ففقدت الأسطورة طبيعتها المسيحية لدى العرب وعوضاً عن بارثوليميوس المقدس، الذي بنى كنيسة والدة الرب وأسواراً تحمل صورتها، عوضوها بإمرأة أسطورية شيدت المدينة ووضعت صورتها على سور المدينة.

. آرام تير غيفونديان، كارين ثيودوسيوبوليس في الأسطورة والتاريخ، "مجلة لرابير"، 1971، عدد 3، 64، بالأرمنية.

يتحدث القرآن على الشكل التالي حول الشعوب التي زالت بسبب عقاب الله

. الكتاب ص 262

وصل العرب الرسّ في القرآن مع آراكس وآرارات أرمينيا وكبلاد العرب حيث عاقب الله شعب الرسّ

(ب) الترجمة من العربية إلى الأرمنية

كما ذكرنا في الأعلى إهتم الأرمن بالآداب العربية في القرنين 8–9م بالقرآن وشخصية نبي الدين الجديد محمد فقط. ورغم ترجمات القرآن إلى الأرمنية لا تتخطى القرن 16 لكن هناك أساس للاعتقاد أن الترجمة جرت قبل هذا الوقت لأن المؤرخ الأرمني في القرن 8 م غيفوند تحدث عن القرآن واستخدم التعبير العربي له Pourgan (الفرقان).

. غيفوند، الترجمة الروسية، 40.

ففي رسالة بعث بها الإمبراطور البيزنطي ليو الثالث الإزاوري (من أصل أرمني–المترجم) إلى الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز تحدث عن الـ Pourgan ثم ذكر مذاهب الإسلام الدينية. كذلك تحدث مؤرخون أرمن عديدون حول القرآن. وكان المؤرخ الأرمني فاردان

من القرن 8 م على علم بالسور القرآنية فذكر على سبيل المثال "سورة البقرة".
. فاردان، 92.

من المحتمل كانت هناك ترجمات بعض أقسام القرآن إلى الأرمنية في القرن 8 م. قدّم لنا المؤرخون الأرمن بعض المعلومات الطريفة حول الرسول محمد. وكان المؤرخ الأرمني سيبيوس من معاصريه في القرن 7 م الذي كان شاهد عيان للفتوحات العربية والتشريع في العالم الإسلامي. ظهرت معلومات كثيرة حول الرسول محمد لاحقاً في القرن 13م وبعده.
Vardan, Prilazhenieh, 193-205, بالروسية

من المحتمل جداً تُرجمت سيرة الرسول إلى الأرمنية عن طريق الروايات الشفهية المنتشرة بين المسيحيين الشرقيين.
إهتم الأرمن بميادين محدودة في الآداب العربية كالطب، العلوم، النثر، القصص وسواها.
. موفسيس كاغانكاتفاتسي، تاريخ الأرّانيين، 336–337، بالأرمنية.

بدأ الاهتمام بالطب العربي في عهد الملوك الباكراتونيين. إهتم الأطباء الأرمن بمؤلفات الأطباء العرب وترجموها إلى اللغة الأرمنية. وهناك ترجمات من العربية إلى الأرمنية في نهاية القرن 10م وبداية القرن 11م. عنوان الترجمة الأولى "كتاب طبي" تُرجم من العربية إلى الأرمنية بمناسبة انتصار ملك أرمينيا كاكيك الأول 990–1020م.
Levon Hovhannisyan, Istoria Meditsini v Armenii, II, 79, بالروسية

يعتقد الأكاديمي ليفون هوفهانّسيان أن الكتاب مقتبس من "قانون" ابن سينا.
. المصدر ذاته، الجزء 2، 48–49.

هناك نسخة مقتضبة لهذا الكتاب الطبي "تُرجم بأمر الملك هوفهانّس الثاني المبارك" بن

كاكيك الأول. ويُعتقد أن الكتاب ليس ترجمة بل اقتباس من عدة كتب عربية لوجود تعبيرات عربية عديدة في النص.

كان في أرمينيا طبيب شهير يُدعى أبو سعيد في النصف الأول من القرن 9 م. لا علم لنا إنْ كان أرمنياً انتحل اسماً عربياً أو سريانياً. تسمح لنا فقرات كتابه بالاستنتاج أنها تبحث في مسائل الطب العملي بروحية الطب العربي.

. المصدر نفسه، الجزء 2، 50.

هناك طبيب آخر مشهور بالاسم عينه عاش في مملكة أرمينيا الكيليكية في النصف الثاني من القرن 12م وكان كتابه "التشريح" مشهوراً جداً في أرمينيا القروسطية. بناء على الباحثة س.فاردانيان كان هناك "أبو سعيد" واحد في أرمينيا.

. س.فاردانيان، أبو سعيد حول تشريح الإنسان، يريفان 1974، 5-6، 8، بالأرمنية.

كان الأطباء على علم جيد بالطب العربي. وكان الطبيبان الأرمنيان الشهيران مخيتار هيراتسي من القرن 12م وأمير دولت أماسياتسي من القرن 15م يلمّان جيداً باللغة العربية وعلى علم جيد بأعمال الأطباء العرب.

عند حديثنا حول ترجمات الأعمال العلمية يمكننا التذكير بكتاب Geoponica (علم طبقات الأرض) المترجم عن اليونانية إلى العربية ومنها إلى الأرمنية.

. كيرك فاستاكوتس، البندقية 1877، صفحة VIII-X، بالأرمنية.

كانت قصة "مدينة النحاس" في رواية "ألف ليلة وليلة" منتشرة شعبياً في أرمينيا القروسطية على وجه الخصوص. هناك رأي سائد في المدة الأخيرة بأنها تُرجمت عن العربية إلى الأرمنية في القرن 13م من قبل آراكيل شيراكافانتسي ويُذكر اسمه كمترجم للكتاب.

H.Laurentie, La version armenienne de conte de la ville d'airain, REA, 1921, I, 297-302.

A.Anasyan, Armianskaya Bibliographia, I, Yerevan 1959, 1105, بالروسية

كُشف عن نسخة جديدة في المدة الأخيرة تشير إلى أنها جُهزت بأمر كوروبالات تايك دافيت.

. هـ.أكينيان، قصة حول مدينة النحاس، "مجلة هانديس أمسوريا"، فيينا 1955، بالأرمنية.

طبعاً لا يُستثنى أن النسخة الأصلية لـ "ألف ليلة وليلة" كانت معروفة في فيينا. ويمكن الافتراض أن النسخة الأولية كانت موجودة بين القرنين 8–9م المبنية على رواية "هازار أفسانا" الفارسية.

E.Littman, Alf Layla Wa Layla, Enc.de l'Islam, nouv. Ed., I, 369-375.

لم يتغير النص الأساسي لقصة مدينة النحاس في الترجمة الأرمنية رغم بعض الإضافات عليها في أرمينيا تعود إلى فكرة بطلان هذا العالَم.

كذلك هناك قصص عربية في الآداب الأرمنية من القرون الوسطى تحتاج منا إلى أبحاث جدية.

(2) العلاقات مع العرب المسيحيين

للعلاقات الأرمنية–السورية المسيحية جذور عميقة جداً في القدم لأن مناطق أرمينيا الكبرى الجنوبية كانت على علاقة وثيقة دائمة مع الرها، حرّان، نصيبين، أنطاكيا ومدن سورية أخرى. تُرجمت عن السريانية أعمال أدبية غنية كالكتاب المقدس في بادئ الأمر ثم عن اليونانية. وبعد التعريب ترجم بعض السريان عن الأرمنية إلى العربية وبالعكس. ففي دراسة العالم الروسي المستشرق الأثاري نيكولاي مارّ لـ "كتاب الثعلب" للأديب الأرمني القروسطي فاردان أيكيكتسي (دُفن شمالي حلب قرب مدينة عفرين–المترجم) المترجم من العربية إلى الأرمنية لاحظ أن "وجود ترجمات إلى اللغة العربية عن الأرمنية

يُفسَّر أن اللغة العربية أصبحت لغة السريان الأدبية وكان السريان اليعاقبة بالتالي كذلك الأرمن على اتصال وثيق مع بعضهم.

Nicolay Marr, K Vaprosou o Perevodakh s Armianskovo na Arabski, Zar.Vost.Otd.t.13, 35, بالروسية

يستشهد مارّ لاحقاً ببعض الترجمات عن الأرمنية تحققت في شتى الأزمنة.

Nicolay Marr, Sbornik Pritch Vardana, I, 573, بالروسية

أول ترجمة من الأرمنية إلى العربية معروفة لدينا كرونولوجياً تعود إلى "تاريخ" المؤرخ الأرمني أكاتانكيغوس حول ارتداد الأرمن إلى المسيحية ونشاط كريكور المنوّر الذي لم يُترجم عن الأرمنية مباشرة بل عن اللغة اليونانية.

Chronologie Orientalischer Völker von Albirun, Leipzig 1870, 301.

لـ"تاريخ" أكاتانكيغوس نسختان الأولى واسعة والأخرى مقتضبة نسبياً. ومن الشيق أن نعلم أن النسختين ترجمتا إلى العربية عن اللغة اليونانية.

G.Garitte, Documents, 5-19.

ومثالنا على ذلك الكشف عن نص عربي جديد بالكتابة الكرشونية أما المقتضبة فباللغة السريانية. كشف ج.كاريت في المتحف القبطي في القاهرة نسخة مقتضبة بالعربية حول كريكور المنوِّر.

G.Garitte, Une Vie arabe de St.Gregoire d'Armenie, Le Museon 1952.

تُرجم كتاب الثعلب عن الأرمنية مباشرة إلى العربية، اليونانية والجيورجية. درس نيكولاي مار الكتاب المترجم إلى اللغة العربية مؤكداً على أن الترجمة حرفية وهناك بعض الأخطاء في الأفكار.

Nicolay Marr, Sbornik Pritch Vardana, 1-3, 47-49 بالروسية

إلى جانب الترجمات عن العربية إلى الأرمنية هناك ترجمات عن الأرمنية إلى العربية (نصوص مسيحية عربية). كما ذكرنا سابقاً ففي النصف الأول من القرن 9 م في عهد أمير أرمينيا آشوت مساكير باكراتوني قام الشماس نانا من نصيبين، بناء على طلب باكارات باكراتوني، وكتب تفسير إنجيل يوحنا باللغة العربية. كتب هذا التفسر نقلاً عن اللغة السريانية عام 640م تقريباً. لاحقاً، وعندما ساقوا باكارات إلى الأسر، أمر القائد سمبات باكراتوني أحد الرهبان-العلماء ترجمة هذا التفسير إلى اللغة الأرمنية. إلا أن الترجمة توقفت وقتياً عندما ساقوا سمبات باكراتوني بدوره إلى الأسر. إكتملت الترجمة لاحقاً بناء على أمر ابنة أشوت مريم باكراتوني.

L.Martés, Un Commentaire sur l'Evangile de St.Jean, REA, I, 1921.

لم تصلنا حتى الآن سوى الترجمة الأرمنية للتفسير. أما النسخة العربية فهي غير معروفة. طبعاً لا ينتهي تاريخ العلاقات الأدبية الأرمنية-العربية عند هذا الحد ضمن حدود القرون من 8-13م بل بوسع الدراسات الجدية تقديم تصور كامل حول هذه العلاقات الثقافية الصعبة الممتدة لقرون عديدة.

جدول الحكام الأرمن

البطاركة–الأمراء الأرمن في القرن 7 م

ثيودور رشتوني	639–654م
هامازاسب ماميكونيان	654–661م
كريكور ماميكونيان	661–685م
آشوت باكراتوني	685–689م
نرسيس كامساراكان	689–693م
سبات باكراتوني	693–701م (للمرة الأولى)

البطاركة–الأمراء في الحقبة العربية

سمبات باكراتوني	701/703–726م
آشوت باكراتوني	732 –749م
موشيغ ماميكونيان	749–753م
ساهاك باكراتوني	753–770م
(سمبات باكراتوني)	770–775م
آشوت باكراتوني	775–781م
تاجات أندزيفاتسي	781–785م
آشوت مياكير باكراتوني	790–826م
باكارات باكراتوني	826–851م
(سمبات باكراتوني)	851–855م
آشوت باكراتوني	855–862م

آشوت باكراتوني أمير أمراء أرمينيا منذ عام 862م وملك أرمينيا منذ عام 884م.

الجدول الكامل للحكام العرب في أرمينيا

بقي الحكم العربي في أرمينيا التاريخية مدة 200 سنة تقريباً وتعاقب على حكمها عشرات الحكام العرب. نقدم جدولاً كاملاً عنهم:

(1) محمد بن مروان

حكم أرمينيا بين عامي 693–709م. ذكر ابن الأثير أنه عيّن عام 73هـ=692–693م واشترك في حملة فتح أرمينيا والبلاد المجاورة.

(2) عبد الله

ذكره بَطريق الأرمن هوفهانّس والمؤرخ الأرمني أصوغيك.

(3) أبو الشيخ بن عبد الله

حكم أرمينيا بين عامي 701–703م. ذكر ابن الأثير أنه عين حاكماً على أرمينيا سنة 82هـ لكن الثوار الأرمن قتلوه عام 703م.

(4) عثمان بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط

يذكر البلاذري أن الخليفة عبد الملك ولاّه حكم أرمينيا عام 704م.

(5) قاسم

لا يُعرف إنْ كان موظفاً كبيراً أو أحد القواد. يذكر المؤرخ الأرمني غيفوند المعاصر أنه قتل بعض الأمراء الأرمن حرقاً في كنيستي خرام ونخجوان (800 أميراً، المترجم).

(6) عبد العزيز بن هديم البهيلي

705–709م. يذكر المؤرخ تغري بردي عن تعيينه حاكماً سنة 85هـ وإنه أعاد بناء عاصمة أرمينيا دبيل التي تهدّمت أثناء الفتح العربي. وفي عهده أيضاً عاد الأمير سمبات باكراتوني مع أمراء آخرين من منفاه كما جاء لدى المؤرخين الأرمنيين غيفوند وأصوغيك.

(7) مسلمة بن عبد الملك

709–722م. عيّن حاكماً عام 91هـ واشتهر بحروبه ضد البيزنطيين بناء على ابن الأثير.

(8) عدي بن عيد بن عُميرة الكندي

715–717م. عينه الخليفة سليمان كما ذكر البلاذري.

(9) الوليد

جاء ذكره لدى البطريق الأرمني هوفهانّس فقط.

(10) عمر بن عبد العزيز

717–720م. عين في عام 99هـ بناء على البلاذري وتغري بردي.

(11) عمر بن هُبيرة

720–721م. كان قائد القوات العربية التي حاربت الروم سنة 102هـ حسب الطبري واليعقوبي.

(12) معلّق بن صفّار البهراني

721م. ذكر البلاذري أنه حكم أرمينيا لفترة قصيرة لاتتعدى الأشهر.

(13) جرّاح بن عبد الله الحكمي

722–725م. خاض معارك طاحنة ضد الخزر بعد تعيينه حاكماً على أرمينيا وآذربيجان عام 104هـ حسب الطبري وابن الأثير.

(14) حارث بن عمرو الطائي

724–725م. آخر حاكم عينه الخليفة يزيد كما ذكر البلاذري. يؤكد أحد المؤرخين الأرمن أنه عين في شتاء عام 174هـ.

(15) مسلمة بن عبد الملك

725–729م. عينه الخليفة هشام سنة 107هـ حسب البلاذري.

(16) جرّاح بن عبد الله الحكمي

729–730م. عين في عام 111هـ كما ذكر الطبري وقتل سنة 112هـ.

(17) حجاج بن عبد الله الحكمي

730م. عين حاكماً على أرمينيا عوضاً عن شقيقه المقتول كما ذكر الطبري.

(18) سعيد عمرو الحرشي

730–731م. عين عام 112هـ حسب الطبري.

(19) مسلمة بن عبد الملك

731–732م. جاء لدى المؤرخ الأرمني غيفوند أن هذا الحاكم العربي عين آشوت باكراتوني أميراً على الأرمن. دحر جيوش الخزر بمساعدة الجيش الأرمني لكنه عُزل عن منصبه عام 126هـ.

(20) مروان بن محمد

732–744م. هو ابن محمد بن مروان. عُين سنة 114هـ كما جاء لدى الطبري.

(21) عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي

744م. ذكر اليعقوبي أنه عين في 126هـ وقتل في العام ذاته.

(22) إسحاق بن مسلم العقيلي

747–750م. عين عام 132هـ. جاء ذكره على نقود ضربت بأرمينيا. انفجرت ثورة أرمنية كبيرة في عهده.

(23) مسافر بن كثير

747–750م. يذكر اليعقوبي أنه حارب العقيلي أثناء الثورة الأرمنية وقتل في عام 133هـ.

(24) محمد بن سول

عينه أول الخلفاء العباسيين أبو العباس سنة 133هـ=750–751م كما أكد اليعقوبي.

(25) أبو جعفر

عينه شقيقه أبو العباس حاكماً على الولايات الشمالية عام 132هـ=749–750م كما جاء لدى الطبري. يذكر اليعقوبي بدوره أنه عين حاكماً عام 134هـ واستمر في هذا المنصب حتى استلامه منصب الخلافة.

(26) عبد الله بن محمد

عينه أبو جعفر المنصور سنة 132هـ=749–750م كما ذكر الطبري.

(27) صالح بن صبيح الكندي

عين عام 133هـ=750–751م وأبعد عن منصبه في السنة التالية.

(28) يزيد بن أُسيد السلّمي

134هـ=751–752م. أكد البلاذري أن والدته كانت أرمنية. ذكر المؤرخ الأرمني غيفوند أن يزيداً عين ساهاك باكراتوني أميراً على الأرمن.

(29) حسن بن قحطبة الطائي

137هـ=754–755م.

(30) المهدي

جاء ذكره على نقود ضربت بأرمينيا. نقرأ اسمه على قطع ضربت في آران سنة 148هـ=665–666م، الباب عام 154هـ=770–771م وأرمينيا سنة 151هـ=668م و155هـ=771–772م.

(31) يزيد بن أسيّد السلّمي

759–769م. جاء اسمه على نقود ضربت بأرمينيا في 142هـ=759–760م و143هـ= 760–761م. فرض هذا الحاكم ضرائب ثقيلة جداً على أرمينيا. بناء على أقوال المؤرخ الأرمني المعاصر قدم الأمير ساهاك باكراتوني شكوىً ضده للخليفة.

(32) بكّار بن مسلم العقيلي

769–771م. عينه الخليفة المنصور بعد إزاحة يزيد بن أُسيّد السلّمي. جاء ذكره على نقود ضربت بأرمينيا سنة 152هـ=769م و153هـ=770م كذلك في آران 152 و153هـ والباب في 153هـ. نجد على هذه النقود اسم ولي العهد المهدي.

(33) حسين بن قحطبة

771–775م. ذُكر على نقود ضربت بأرمينيا في 154هـ=770–771م و771–772م وفي آران في 154هـ و155هـ. ذكر اسم المهدي على جميعها إلى جانب النقود التي ضربت في بردعة عام 158هـ=774–775م. قامت في عهده ثورة أرمنية كبيرة بقيادة الأمير موشيغ ماميكونيان حسب المؤرخ الأرمني غيفوند.

(34) وديع العباسي

775م. آخر حاكم على أرمينيا عينه الخليفة المنصور. حكم فترة قصيرة وهو عمّ المؤرخ اليعقوبي.

(35) يزيد بن أُسيّد السلّمي

775–780م. ذكر اسمه على نقود ضُربت في العاصمة الأرمنية دبيل في عام 159هـ=775–776م وبردعة في 159 و163هـ والباب في 159هـ.

(36) هرون

780–786م. جاء ذكره على نقود ضربت في هرونابات سنة 168 هـ=784–785م والهرونية في 170 هـ=786–787م. عيّن عام 163هـ حسب تأكيد الطبري.

(37) يحيى بن خالد البرمكي

780–783م.

(38) نُصير

783م. جاء ذكره على نقود ضربت بأرمينيا في عام 167هـ=783–784م.

(39) عثمان بن عمارة بن خريم

783–785م. جاء ذكره على نقود ضربت بأرمينيا سنة 167هـ=783–784م و168 هـ=784–785م وأران عام 168هـ.

(40) روح بن هديم المهلّبي

785–786م. جاء ذكره على نقود ضربت بآران سنة 169هـ=785–786م. بعد تعيينه بفترة قصيرة توفي الخليفة المهدي في 22 محرّم عام 169هـ=4 آب عام 785م كما ذكر المؤرخ الأرمني غيفوند والعربي البلاذري.

(41) خزيمة بن خازم الدميمي

786–787م. ذُكر على نقود مع هرون الرشيد في الهرونية عام 169هـ=786–787م وهرونابات في 169هـ. ذكر اليعقوبي أن هرون الرشيد عينه حاكماً إلا أن ولايته لم تدم سوى سنة وشهرين.

(42) يوسف بن راشد السلّمي

787م. ذُكر على نقود الهرونية سنة 170هـ=786–787م. أعاد توطين قبائل عربية في المناطق الجنوبية . الغربية من أرمينيا كما أكد اليعقوبي.

(43) يزيد بن مزيد الشيباني

787–788م. جاء ذكره على نقود الهرونية عام 169هـ=785–786م و170هـ=786–787م.

(44) عبيد الله بن المهدي

788–791م. جاء ذكره على نقود آران عام 172هـ=788–789م وأرمينيا 174هـ=790–791م. عين عام 172هـ حسب الطبري.

(45) سليمان

788–790م. عينه عبيد الله وجعل بردعة مركز ولايته.

(46) نصر بن جحف

791م. جاء ذكره مع عبيد الله على قطعة نقدية ضربت بأرمينيا سنة 174هـ=790–791م.

(47) عبد الكبير بن عبد الحميد العدوي

791م. عينه الخليفة هرون الرشيد وحكم مدة 4 أشهر فقط حسب اليعقوبي.

(48) فضل بن يحيى بن خالد البرمكي

792–795م. نرى اسمه على نقود ضربت بأرمينيا سنة 175هـ=791–792م و176هـ=792–793م و177هـ=793–794م وآران في 175هـ. عين حاكماً على أرمينيا وآذربيجان وطبرستان والجَبال عام 176هـ بناء على تأكيد الطبري.

(49) عمر بن أيوب الكناني

792–793م. ذكر اليعقوبي أن فضلاً بن يحيى عينه.

(50) أبو الصباح وسعيد بن محمد الحرّاني اللهيبي

792م. عينا معاً: الأول للشؤون الضريبية والثاني للعسكرية حسب اليعقوبي.

(51) خالد بن يزيد بن أسيّد السلّمي

791م. جاء ذكره على قطعة نقدية ضربت في آران سنة 177هـ=793م. عينه فضل بن يحيى حسب تأكيد اليعقوبي.

(52) العباس بن جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجالي

794م. عينه الخليفة هرون الرشيد.

(53) موسى بن عيسى الهاشمي

794–795م. جاء ذكره على نقود آران 178هـ 794–795م. حكم مدة سنة تقريباً حسب اليعقوبي.

(54) يحيى الحرشي

795–796م. ذكر على نقود بأرمينيا سنة 179هـ= 795–796م والباب 178هـ=794–795م.

(55) محمد الأمين

796–809م. جاء ذكره على نقود ضربت بأرمينيا سنة 179 هـ=795–796م و183هـ=799–800م و185 هـ=801م و186 هـ=802م و188 هـ=803–804م و192 هـ=807–808م وفي معدن باجونايس في190هـ=805–806م و193هـ=808–809م.

(56) أحمد بن يزيد بن أسيّد السلّمي

796–797م. عينه هرون الرشيد لكنه خلعه عن منصبه لتمرد القوات العربية ضده حسب اليعقوبي.

(57) سعيد بن سالم بن قتيبة البهيلي

798–799م. جاء ذكره على نقود في أرمينيا سنة 181هـ=797–798م ودبيل في 182هـ.

(58) نصر بن حبيب المهلّبي

عينه الخليفة هرون الرشيد عام 799م لكنه أبعده عن منصبه بسرعة بناء على تأكيد اليعقوبي.

(59) علي بن عيسى بن ماهان

عينه هرون الرشيد عام 799م. جاء ذكره على نقود ضربت بأرمينيا سنة 183هـ=799–800م حسب اليعقوبي.

(60) يزيد بن مَزْيَد الشسيباني

799–801م. ذكر على نقود ضربت بدبيل سنة 187هـ وآران في 186هـ=802م و187هـ وأرمينيا في 186 هـ=802م و187هـ= 802–803م و185هـ=801م.

(61) أسد بن يزيد بن مَزْيَد

185هـ=801–802م. جاء ذكره على نقود ضربت بآران عام 184هـ=800م و185هـ و186 هـ ودبيل 185هـ=801م وأرمينيا عام 185هـ.

(62) محمد بن يزيد الشيباني

802–803م. ذكر على نقود ضربت بدبيل سنة 187هـ وآران 186–187هـ وأرمينيا 186 هـ=802م–187هـ=802–803م.

(63) خزيمة بن خازم الديمي 803–806م. جاء ذكره على نقود ضربت سنة 187هـ=802–803م و191هـ=806–807م.

(64) سليمان بن يزيد بن العاصم العمري

806–807م. ذكر على قطع نقدية ضربت في آران سنة 192 هـ=807–808م. ينعته اليعقوبي بـ "العجوز الأخوت".

(65) أيوب بن سليمان

807م. جاء ذكره على نقود ضربت بأرمينيا سنة 192هـ=807–808م وآران 193هـ=808–809م.

(66) العباس بن زفر الهلالي

807. ذكر على نقود ضربت بآران سنة 193هـ.

(67) يحيى بن زفر

808م. ذكر على قطعة نقدية ضربت بأرمينيا سنة 193هـ.

(68) عبد الله بن محمد 809م. ذكر اسمه على قطعة نقدية ضربت بمدينة دبيل عام 194 هـ=809–810م.

(69) محمد بن زهير بن مصيّب الضبّي

809م. آخر حاكم عينه الخليفة هرون الرشيد كما أشار اليعقوبي.

(70) أسد بن يزيد بن مزيد

809–811م. عينه الخليفة الأمين. ذكر على نقود ضربت بأرمينيا في194هـ=809–810م و195 هـ=810–811م وآران عام 195هـ

(71) أحمد بن يزيد بن أسيّد السلّمي

811م. ذكر على قطعة نقدية ضربت بأرمينيا سنة 195هـ=811–812م.

(72) إسحاق بن سليمان الهاشمي

811–813م. ذكر على قطعة نقدية ضربت بآران عام 196هـ=811–812م.

(73) فضل

811–813 م. حكم أرمينيا حتى نهاية خلافة الأمين.

(74) عبد الملك بن الجحاف

كان حاكماً مستبداً لذلك كانت ولايته قصيرة جداً كما أشار اليعقوبي. جاء اسمه على قطعة نقدية ضربت في معدن باجونايس في 196هـ=811–812م.

(75) طاهر بن محمد السناني

813م. عينه المأمون حاكماً على أرمينيا وآذربيجان كما أكد اليعقوبي. نجد اسمه على نقود ضربت بآران عام 196هـ=811–812م وعام 197هـ.

(76) سليمان بن أحمد بن سليمان الهاشمي

813م. حكم لأشهر فقط. جاء ذكره على نقود ضربت في آران سنة 197هـ=812–813م حيث نقرأ تعبير "ذو الرياستين" أي يجمع في شخصه منصبي جابي الضرائب والقائد العسكري. ذكره اليعقوبي.

(77) العباس بن زفر الهلالي

813م ذكر على قطعة نقدية ضربت بآران عام 197هـ=812–813م.

(78) أبو العبد الله

814م. جاء ذكره على قطعة نقدية ضربت في آران عام 198هـ=813–814م.

(79) هديم بن هرثمة بن أعين 815–818م. ذكر على نقود ضربت بأرمينيا عام 202هـ=817–818م و203هـ=818–819م.

(80) يحيى بن معاذ بن مسلم

818–819م.

(81) أحمد بن يحيى

819–820م. جاء ذكره على قطعة نقدية ضربت في أرمينيا سنة 204هـ=819–820م.

(82) عيسى بن محمد بن أبي خالد المأموني

820–823م. عينه المأمون حاكماً على أرمينيا وآذربيجان. حارب بابك لكنه انكسر أمامه كما يؤكد اليعقوبي. جاء ذكره على قطعة نقدية ضربت بمدينة آران في عام 207هـ=822–823م.

(83) محمد بن عبد الله الكلبي

823م. ذكر على نقود ضربت بمعدن باجونايس عام 208هـ=823–824م وآران سنة 208هـ.

(84) زريق بن علي صدقة الأزدي

824–825م. لم يبقَ في منصبه طويلاً لعدم تغلبه على بابك حسب اليعقوبي. جاء ذكره على قطعة نقدية ضربت في مدينة آران عام 209هـ=824–825م.

(85) أحمد بن عبد الله الأعلى

825–826م. جاء اسمه على نقود ضربت بآران عام 209هـ=824–825م و210هـ=825–826م إلى جانب اسم عبيد الله بن يحيى.

(86) عبد الله بن أحمد بن يزيد السلّمي

826م. ذكر على قطعة نقدية ضربت في آران عام 210هـ 825–826م.

(87) عبد العلاء بن إبراهيم

826–827م. ذكر على نقود ضربت بآران عام 211هـ=826–827م مع عبيد الله بن يحيى.

(88) محمد بن حميد الطوسي

827–828م حارب بابك لكنه قتل في المعركة.

(89) عبد الله بن طاهر

214هـ=829–830م. ذكر اليعقوبي أنه كان حاكم أرمينيا وآذربيجان والجَبال.

(90) عبد العلاء بن أحمد السلّمي

214هـ= 829–830م.

(91) خالد بن يزيد بن مَزْيَد الشيباني

829–832م. ذكر على نقود ضربت في معدن باجونايس في 212هـ=827–828م و213 هـ=828–829م و214هـ و216هـ ومدينة آران في 214هـ=829–830م حتى عام 217 هـ=832م . يؤكد اليعقوبي على أنه قمع الحركات الثورية في أرمينيا وجيورجيا.

(92) العباس بن المأمون

832–834م. ذكر على نقود ضربت بأرمينيا في 217هـ=832م و218هـ. ذكر الطبري أنه حارب البيزنطيين سنة 218هـ.

(93) عبد الله بن مصاد الأسدي

832م. حكم لشهور قليلة لأنه توفي.

(94) علي بن عبد الله

832م. عينه الخليفة المأمون بعد وفاة والده عبد الله. ذكر اليعقوبي أنه جرت ثورة كبيرة بعد وصوله إلى أرمينيا.

(95) عبد الرحمن بن خانكان

833م. جاء ذكره على قطعة نقدية ضربت بأرمينيا في 218هـ=833م.

(96) الحسن بن علي البدّيسي المأموني

833–835م. ذكر اليعقوبي أن المأمون عينه، بينما يؤكد البلاذري أن المعتصم عينه. ذُكر الحسن مع بِشر بن عروة على نقود ضربت في آران عام 220هـ=835م.

(97) الأفشين حيدر بن كاؤوس

835– 840م. عين حاكماً على أرمينيا وآذربيجان في 220هـ=835م حسب الطبري.

(98) محمد بن سليمان الأزدي السمرقندي

835–837م. قامت في فترة حكمه ثورة بقيادة الأمير الأرمني سهل سمباتيان.

(99) محمد بن خالد بوخاروخودة

838–839م. عين لتهدئة أحوال أرمينيا.

(100) علي بن الحسين بن سيبا القيس

840م. يذكره اليعقوبي أنه كان حاكماً ضعيفاً إلى درجة نعته بـ "اليتيم".

(101) خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني

841م. ذكر اليعقوبي أن الخليفة المعتصم عينه لمحاربة الثوار في أرمينيا.

(102) علي بن الحسين

841م. أزيح عن منصبه لعدم كفاءته.

(103) حمدون بن علي بن الفضل

842م. آخر حاكم عينه المعتصم حسب اليعقوبي.

(104) خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني

842–845م. ذكر اليعقوبي أنه أنهى الثورة في أرمينيا.

(105) محمد بن خالد

845–849م. بعد وفاة خالد بن يزيد كثرت الثورات في أرمينيا فعين الخليفة الواثق ابنه محمداً على أرمينيا.

(106) أبو عبد الله المعتزّ بالله

849–862م. عين حاكماً على أرمينيا وبعض المقاطعات الفارسية سنة 235هـ حسب الطبري.

(107) أبو سعيد محمد بن يوسف المروزي

850–851م. عينه المتوكل إلا أن الأمراء الأرمن لم يسمحوا له بدخول البلاد لأنهم كانوا على علم بنواياه في زيادة ضرائب أرمينيا. أكد الطبري هذه المعلومات.

(108) يوسف المروزي

851–852م. عين حاكماً عام 226هـ فقتله الثوار الأرمن في مدينة موش في شباط عام 852م.

(109) بوغا الكبير

237هـ=852–855م. عاد إلى سامراء 241هـ بعد فشله في القضاء على الثورة حسب البلاذري.

(110) إبراهيم

856م.

(111) محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد

857م. عينه الخليفة المتوكل حسب اليعقوبي.

(112) علي بن يحيى الأرمني

862–863م. عين هذا القائد الأرمني الأصل حاكماً على أرمينيا وآذربيجان سنة 248هـ في شهر رمضان كما يؤكد الطبري. رُقِّي في عهده الأمير الأرمني آشوت باكراتوني إلى منصب "أمير الأمراء". قتل سنة 249هـ أثناء حروبه ضد الروم كما أكد الطبري واليعقوبي.

(113) العباس بن المستعين

863–865م. ذكر على نقود ضربت بأرمينيا سنة 249–250هـ=864–865م.

(114) العلاء بن أحمد الأزدي

865–866م. جاء ذكره على نقود ضربت في أرمينيا سنة 251–252هـ=866م.

(115) عبد الله بن المعتزّ

866–867م. ذكر على قطع نقدية ضربت بأرمينيا في 253 هـ=867م و256هـ.

(116) عيسى بن الشيخ الشيباني ـ 870–871م.

(117) جعفر المفوّد

عين عام 261هـ وحكم بين عامي 875–883م. جاء ذكره على نقود ضربت بأرمينيا عام 262 هـ=875–876م و266هـ=882–883م.

(118) محمد بن خالد

878م. عين بناء على اقتراح الأمراء الأرمن لكنه تآمر ضدهم فطرده أمير الأمراء آشوت باكراتوني مؤكداً على استقلالية أرمينيا.

(119) إسحاق بن كونداجيك

879م. عين حاكماً على أرمينيا والموصل.

(120) إبراهيم

881م . ذكر على قطعة نقدية من عام 268هـ=881–882م.

(121) عيسى بن الشيخ

طلب الأمراء الأرمن من هذا الحاكم التوسط لدى الخليفة المعتمد لمنح أمير الأمراء آشوت باكراتوني تاج أرمينيا. وافق الخليفة فأرسل له تاجاً مرصّعاً بأحجار كريمة وهدايا نفيسة فأصبح آشوت مؤسس العائلة الملكية الباكراتونية وعاصمتها باكاران. إشترك الملك مع الجيش العربي في حروبهم ضد الخزر خاصة.

طبيب العيون ألكسندر كشيشيان

. ولد في 19 نيسان عام 1943 من أب أرمني وأم عربية من لواء إسكندرون السليب.

. تعلم في مدرسة "دار التربية" الأرمنية، معهد حلب العلمي 1957–1962 Aleppo College الأمريكية وثانوية "الرائد العربي" قرب القلعة 1962–1964.

. تخرج من كلية الطب في جامعة يريفان الحكومية 1964–1971.

. تدرّب على الجراحة العينية في مستشفى جيان الشهير الذي كان الوحيد في الشرق الأوسط.

. عضو مؤسس لجمعية العيون في سوريا، 1976.

. عضو الجمعية العينية الفرنسية، 1977.

. عضو اتحاد الكتاب العرب في سوريا، 2002.

عضو جمعية العاديات منذ عام 1974.

. عضو مجلس إدارة جمعية العاديات منذ عام 2007.

. رئيس تحرير "كتاب العاديات السنوي للآثار" الذي يصدر عن جامعة حلب باللغات العربية، الفرنسية، الإنكليزية والألمانية.

. يلم ببعض اللغات بدرجات متفاوتة: الأرمنية، العربية، الإنكليزية، التركية، الروسية، الألمانية الفرنسية واللاتينية.

. جهّز دراستين علميتين عينيتين:

(أ) أسباب العمى في سوريا خلال 100 عاماً 1875–1975 حول 767 كفيف. نُشرت الدراسة في مجلة "منظمة الصحة العالمية" Trachome International 1975 ثم تُرجمت إلى بعض اللغات واشترك البحث في مؤتمرات عينية محلية ودولية في حلب، دمشق، بيروت والقاهرة.

(ب) معالجة النزوف الداخلية الرضّية للعين بالأمواج ما فوق الصوتية". نُشر هذا الفتح الجديد في طب العيون في مجلة الجمعية العينية الفرنسية عام 1983 واهتمت به بعض

الكليات البحثية في جامعات بوسطن، إنديانابوليس، بون، براغ وطهران. تُرجم البحث إلى بعض اللغات.

ترجم ألكسندر كشيشيان إلى العربية عن الأرمنية، التركية، الإنكليزية، الروسية والفرنسية وغيرها بعض الكتب التاريخية، السياسية، التراثية، الآثارية مثل:

(1) "قتل أمة"، تأليف هنري مورغنطاو، سفير الولايات المتحدة الأمريكية في الدولة العثمانية بين عامي 1913–1916، ترجمة عن الإنكليزية، توزيع دار طلاس، حلب، 1990.

(2) "المشانق العربية والمذابح الأرمنية في المحاكم التركية العسكرية الاستثنائية 1919–1921، دراسة أواديس بابازيان، أرمينيا، ترجمة عن الأرمنية، توزيع دار طلاس، حلب–1992.

(3) "كفاح الأرمن من أجل عروبة لواء الاسكندرون"، تأليف آليشان بايراميان، أرمينيا، ترجمة عن الأرمنية، توزيع دار طلاس، حلب، 1992.

(4) "دور الأطباء الأتراك في المجازر الأرمنية في الحرب العالمية الأولى"، تأليف الأكاديمي فاهاكن دادريان، الولايات المتحدة الأمريكية، ترجمة عن الإنكليزية، توزيع دار الحوار، اللاذقية، 1995.

(5) "الهوية القومية التركية والقضية الأرمنية"، تأليف الكاتب التركي تانير أكجام، إسطنبول، ترجمة عن التركية، توزيع دار طلاس، حلب، 1995.

(6) "صفحات وثائقية من جريدة "التقدم" الحلبية عن الأحوال الأرمنية والعربية في الدولة العثمانية والبلاد الشامية"، دراسة المجموعة الكاملة للجريدة (7,071 عدداً) الصادرة بين عامي 1908–1947، توزيع دار طلاس، حلب، 1995.

(7) "ضرب النقود العربية في أرمينيا وتداولها داخل الإمبراطورية العربية وخارجها"، تأليف اخصاصيين أرمن مرموقين، ترجمة عن الأرمنية، توزيع دار طلاس، حلب،1997.

(8) "المستندات الألمانية والنمساوية الرسمية حول المجازر الأرمنية"، تأليف البروفيسور فاهاكن دادريان، الولايات المتحدة الأمريكية، توزيع دار طلاس، حلب،1997.

(9) "المصادر التركية والغربية حول الدولة العثمانية والمجازر الأرمنية"، تأليف فاهاكن دادريان، الولايات المتحدة الأمريكية، ترجمة عن الإنكليزية، توزيع دار الحوار، اللاذقية، 2001.

(10) "طورانيا العظمى الموحدة"، تأليف زاريفانت، الولايات المتحدة الأمريكية، ترجمة عن الأرمنية، توزيع دار الحوار، اللاذقية،2001.

(11) "الدليل الموسع للأوابد السورية"، باللغة الأرمنية، تأليف د.ألكسندر كشيشيان، منشورات مؤسسة كالوست كولبنكيان الدولية–لشبونة، توزيع مطرانية الأرمن الأرثوذكس، حلب،2001.

(12) "علاقات هندسة العمارة المسيحية المبكرة بين أرمينيا وسوريا"، دراسة المهندس المعماري شاهي تير كيفوركيان، حلب، ترجمة عن الأرمنية، منشورات مؤسسة كالوست كولبنكيان الدولية–لشبونة، توزيع المترجم، عام 2002.

(13) "الإمارات العربية في أرمينيا البقراتونية"، تأليف المستشرق البروفيسور آرام تير غيفونديان أرمينيا، منشورات مؤسسة كالوست كولبنكيان الدولية–لشبونة، توزيع المترجم، حلب، 2003.

(14) "علاقات الكنيسة بالدولة الأرمنية في حقبة الهيمنة العربية (من الاجتياح العربي الأول وحتى الفترة العباسية المبكرة)، تأليف القس الدكتور مانوئيل جينباشيان، سترازبورغ، الترجمة عن الإنكليزية، منشورات مؤسسة كالوست كولبنكيان الدولية، توزيع المترجم، حلب، 2005.

(15) "تاريخ حلب". تأليف مطران الأرمن الأرثوذكس في حلب 1925–1940، الترجمة إلى العربية بمناسبة "حلب عاصمة الثقافة الإسلامية 2006"، توزيع دار النهج، حلب، 2006.

(16) "دراسات استشراقية حول العلاقات الأرمنية–العربية الثقافية، السياسية، العسكرية بين القرنين 4–14م"، تأيف البروفيسور الدكتور المستشرق آرام تير غيفونديان، أرمينيا،

ترجمة عن الأرمنية والروسية والفرنسية. توزيع دار النهج، حلب عام 2007 (اشترك هذا الكتاب في "جائزة خادم الحرمين الشريفين الدولية الملك عبد الله للترجمة).

(17) "إسهامات المواطنين الأرمن في الحياة العامة للبلاد السورية منذ أقدم العصور وحتى يومنا"، تأليف د.ألكسندر كشيشيان (دراسة في "مجلة التراث العربي" بمناسبة "حلب عاصمة الثقافة الإسلامية–2006"). توزيع مطرانية الأرمن الأرثوذكس، حلب، 2007.

(18) "تاريخ سوريا"، تأليف أردافازد سورمايان، مطران الأرمن في حلب 1925–1940، ترجمة عن الأرمنية، توزيع "دار النهج" في حلب 2007.

(19) "كنيسة الأرمن"، تأليف ماغاكيا أورمانيان، بطريرك الأرمن في القسطنطينية، ترجمة عن الأرمنية، طبعتان، توزيع مطرانية الأرمن في حلب 2007 ومطرانية الأرمن في دمشق 2009.

(20) "الكرد في الخلافة العباسية في القرنين 10–11 م، تأليف المستشرق والسفير الحالي لأرمينيا في سوريا الدكتور البروفيسور أرشاك بولاديان، دمشق 2009، توزيع المؤلف والمترجم.

(21) هرانت دينك، أمتان قريبتان...شعبان بعيدان، ترجمة عن التركية، مؤسسة هرانت دينك الدولية، تركيا، 2010، طباعة جامعة هايكازيان، بيروت، 2012.

(22) تاريخ البلدان العربية، 4 أجزاء، البروفيسور المستشرق نيكولاي هوفهانيسيان، أرمينيا، 2011، ترجمة عن الأرمنية، توزيع المؤلف والمترجم.

(23) مملكة كيليكيا الأرمنية وعلاقاتها مع الدول العربية المجاورة القرن 11–12، المستشرق الدكتور واهان آرام تير–غيفونديان سفير أرمينيا المفوض وفوق العادة السابق في لبنان، 2012، ترجمة عن الأرمنية، توزيع مؤسسة المهندس فاروجان سلاطيان، دمشق، والمترجم.

(24) "تاريخ المجازر الأرمنية"، تأليف الدكتور البروفيسور واهاكن دادريان–أمريكا، ترجمة عن الإنكليزية، 2012، توزيع مؤسسة المهندس فاروجان سلاطيان، دمشق، والمترجم.

(25) سوريا على درب الكفاح من أجل الاستقلال 1917–1946، البروفيسور المستشرق نيكولاي هوفهانيسيان، أرمينيا، ترجمة عن الأرمنية، توزيع "دار الهلال" دمشق، 2011.

(26) تداول النقود في أرمينيا مدة 2500 عاماً، البروفيسور خجادور موشيغيان، أرمينيا، ترجمة عن الأرمنية، 2012، توزيع مؤسسة المهندس فاروجان سلاطيان، دمشق، والمترجم.

(27) معجم الأساطير والآلهة، م.ن. بودفينيك، م.كوكان، ترجمة عن الأرمنية، توزيع "دار النون" حلب، 2011.

(28) "تارخ" غيفوند، ترجمة عن الأرمنية، حول أول حيوار إسلامي–مسيحي في التاريخ بين الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز والإمبراطور البيزنطي من أصل أرمني ليو الثالث الإزاوري منذ 1,300 عاماً، ترجمة عن الأرمنية، 2011، توزيع "دار النهج"، حلب.

(29) "أُخيّ......جرعة ماء"، كيفورك آبليان، عنجر لبنان، ترجمة عن الأرمنية، 2010، بيروت.

كتب جاهزة قيد الطبع بالعربية أيضاً

(30) "مدن أرمينيا القديمة وعلاقاتها التجارية مع العالم القديم والخلافة العربية". الأكاديمي البروفيسور هاكوب مانانديان–أرمينيا.

(31) ألغاز أهرامات هنود أمريكا الجنوبية وأسرارها، ميروسلاف ستينكل، تشيكوسلوفاكيا.

(32) أنتروبولوجيا الأعراق البشرية، م. نستورخ.

(33) "الإمارات العربية في أرمينيا البقرادونية"، تأليف المستشرق البروفيسور آرام تير غيفونديان أرمينيا، طبعة ثانية منقحة.

(34) "قتل أمة"، تأليف هنري مورغنطاو، سفير الولايات المتحدة الأمريكية في الدولة العثمانية بين عامي 1913–1916، طبعة ثانية منقحة.

(35) "المشانق العربية والمذابح الأرمنية في المحاكم التركية العسكرية الاستثنائية 1919–1921، دراسة أواديس بابازيان، أرمينيا، طبعة ثانية منقحة.

(36) "كفاح الأرمن من أجل عروبة لواء الاسكندرون"، آليشان بايراميان، أرمينيا، طبعة ثانية منقحة.

(37) "دور الأطباء الأتراك في المجازر الأرمنية في الحرب العالمية الأولى"، تأليف الأكاديمي فاهاكن دادريان، الولايات المتحدة الأمريكية، طبعة ثانية منقحة.

(38) "الهوية القومية التركية والقضية الأرمنية"، الكاتب التركي تانير أكجام، طبعة ثانية منقحة.

(39) الأهوال الأرمنية، قتل أمة، المؤرخ البريطاني أرنولد طوينبي.

(40) مسؤولية الألمان في الإبادة العرقية الأرمنية، البروفيسور فاهاكن دادريان، أمريكا.

(41) مذبحة الشعب الأرمني، يوهانّس ليبسيوف، رئيس التبشيريات الألمانية في تركيا.

(42) تجارة أرمينيا مع مدن العالم القديم والخلافة العربية، الأكاديمي هاكوب مانانديان.

(43) الأنصاب الأثرية لأخويات الصليبيين العسكرية في سوريا وفلسطين ومملكة كيليكيا الأرمنية ولبنان والأردن وقبرص وتركيا 1120–1291م، أدريان بواس.

(44) ألمانيا، تركيا وأرمينيا، مجموعة مستندات حول المجازر الأرمنية، لندن، 1917.

(45) أنطولوجيا مشاهير الأرمن عبر 2800 عاماً، 3 مجلدات.

(46) الأباطرة الأرمن على عرش بيزنطة، شارانيس.

(47) اللواء الركن آرام كارامانوكيان، مؤسس سلاح المدفعية السورية وقائده.

(48) آرام تيرغيفونديان، أرمينيا والخلافة العربية، ترجمة عن الروسية.

له حوالي 300 مقالاً ودراسة في الدوريات الأرمنية والعربية منها آرارات، زارتونك، كانتساسار، أريف، باكين، الثقافة العربية، البناء، صباح الخير وسواها.

وجِّهت له الهيئة الرئاسية السورية لـ "الموسوعة السورية الكبيرة" دعوة لتقديم مقالين أثريين.

كذلك نُشرت مقالات حول كتبه في دوريات عديدة مثل الجماهير، الشهباء الثقافية، الأسبوع الأدبي، الديمقراطي الكردية، كانتساسار، التحالف الكردية، زارتونك، أرارات، سبيورك، أزتاك، لرادو، بادانيكان أرتساكانك، هنتشاك هاياسداني، أزكاييين مشاكويت،

الثورة، البعث، مجلة مطرانية الأرمن الكاثوليك، أريف، الكفاح العربي، إلى الأمام الفلسطينية، صباح الخير، المشرق، الشرق الأوسط، الحياة، دبي، قرطاس الكويتية، البيان، وغيرها.

كذلك نُشرت عشرات الكتب الأرمنية والعربية اعتمدت بعض هذه الترجمات العربية كمصادر موثقة.

كوفيء د.ألكسندر كشيشيان بـ:

(1) "شهادة شكر وتقدير" موقعة من وزير الثقافة السوري ومحافظ حلب لإسهامه المتواضع في احتفالات "حلب عاصمة الثقافة الإسلامية" عام 2006.

(2) ميدالية أبي التأريخ الأرمني موفسيس خوريناتسي"، بناء على مرسوم رئيس الجمهورية الأرمنية فخامة سيرج سركيسيان في 27 كانون الثاني عام 2012 بمناسبة انتخاب اليونيسكو يريفان "العاصمة الدولية للكتاب" ومرور "500 عاماً" على طباعة أول كتاب أرمني" في مدينة أمستردام عام 1612.

(3) "شهادة شرف" من قسم الإستشراق في أكاديمية علوم أرمينيا 2011.

(4) "لوحة" الجمعيات الثقافية الأرمنية في حلب بمناسبة "عيد الترجمة الأرمنية" عام 2000.

(5) "لوحة" نادي اليرموك بمناسبة "عيد الترجمة الأرمنية" عام 2000.

(6) "لوحة" جمعية المعري–تيكيان بمناسبة عيد الترجمة الأرمنية عام 2000.

(7) "درع" من جمعية خريجي أرمينيا مع الدكتور زافين يكافيان، مدير القسم الأرمني لموسسة "كالوست كولبنكيان في ليشبونة و فارتان فوسكانيان وزير خارجية أرمينيا السابق.

(8) "الجائزة السنوية لجريدة زارتونك الأرمنية" عام 2006.

الفهرس

2. СПИСОК СОКРАЩЕНИЙ

Абегян М., История древнеармянской литературы—**Մ. Աբեղյան**, ***Հայ գրականության պատմություն, Երկեր, Գ, Երևան 1968։***

Адонц Н., Армения—Армения в эпоху Юстиниана, СПб, 1908.

Адонц Н., Исторические исследования—**Ն. Ադոնց**, ***Պատմական ուսումնասիրություններ, Փարիզ, 1948։***

Акинян Н., Филол. иссл. **Ն. Ակինյան**, ***Մատենագրական հետազոտություններ, հտ. Ա—Ե, Վիեննա, 1922—1953։***

Акопян С., История армянского крестьянства—**Ս. Հակոբյան**, ***Հայ գյուղացիության պատմություն, 1—2, Երևան, 1957—1964։***

Алишан Г., Айрарат—**Ղ. Ալիշան**, ***Այրարատ Վենետիկ, 1890։***

Алишан Г., Сисакан—**Ղ. Ալիշան**, ***Սիսական, Վենետիկ, 1893։***

Аракелян Б., Хронологические замечания—**Բ. Առաքելյան**, ***Ժամանակագրական դիտողություններ, ԳԱ Տեղեկագիր (հաս. գիտ.) 6, 1941։***

Города и ремесла—***Քաղաքները և արհեստները Հայաստանում***, IX—XIII ***դարերում***, I—II, ***Երևան, 1958—1964.***

Артамонов М., История хазар—*История хазар*, Л., 1962.

Асолик—***Ստեփաննոսի Տարօնեցւոյ Ասողկան Պատմութիւն տիեզերական, Ս. Պետերբուրգ, 1885.***

Ачарян Р., Словарь собственных имен—**Հ. Աճառյան**, ***Հայոց անձնանունների բառարան, Ա—Ե, Երևան, 1944։***

Ашхарацуйц—**Ս. Երեմյան**, ***Հայաստանը ըստ Աշխարհացույցի Երևան, 1963։***

Бартикян Р., Источники—Источники для изучения истории павликианского движения, Ереван, 1961.

Беляев Е., Арабы, ислам—Арабы, ислам и арабский халифат в раннее средневековье, М., 1965.

Вардан—***Մեծին Վարդանայ Բարձրբերդեցւոյ Պատմութիւն տիեզերական ի լոյս ընծ. Մ. Էմին, Մոսկվա, 1861։***

Вильчевский О., Курды—Курды, введение в этническую историю курдского народа, М.—Л., 1961.

Вопросы и решения—Вопросы и решения Вардапета Анании Ширакца, издал и перевел И. А. Орбели, Петроград, 1918.

Григор Магистрос—***Գրիգոր Մագիստրոսի Թուղթք, ի լոյս ընծ. Կ. Կոստանեանց, Ալեքսանդրապոլ, 1910։***

Грузинские источники—***Վրաց աղբյուրները Հայաստանի և հայերի մասին, թարգմ. Լ. Մելիքսեթ Բեկ, Ա, Երևան, 1934.***

Джанполадян Р., Средневековое стекло—Средневековое стекло Армении

IX—XIII вв., Археологические памятники Армении, 7, Ереван, 1974.

Еремян С., Моисей Каланкатуйский—Моисей Каланкатуйский о посольстве албанского князя Вараз-Трдата к хазарскому хакану Алп-Илитверу, Зап. Инст. Вост., VII, М.—Л., 1939.

Жузе П., Мутагаллибы—Мутагаллибы в Закавказье в IX—XI вв., материалы по Ист. Гр. и Кав., вып. III, Тифлис. 1937.

Зорьян А., Противоположность между городом и деревней—Հ. Զորյան. *Արաբական շրջանում ֆեոդալական Հայաստանի քաղաքի և գյուղի միջև առեղծված հակասությունը, Տեղեկագիր գիտ. և արվ. ինստ., 2—3, Երևան, 1928։*

Зорян А., Налоговая политика арабов—Հ. Զորյան, *Արաբների հարկային քաղաքականությունը ֆեոդալական Հայաստանում, Երևանի համալսարանի տեղեկագիր, 2—3, Երևան, 1927։*

Инчичян Г., Историческая география Армении—Ղ. Ինճիճյան, *Հնախօսութիւն աշխարհագրական Հայաստանեայց աշխարհի, Ա-Գ, Վենետիկ, 1835։*

Иоанн Одзнеци—Յովհաննու իմաստասիրի Աւձնեցւոյ մատենագրութիւնք, Վենետիկ, 1953։

Иоанн кат.,—Պատմութիւն Յովհաննու կաթողիկոսի, Երուսաղէմ, 1867։

Иоаннисян А., Движение тондракидов—Движение тондракидов в Армении в IX—XI вв., Вопросы истории, X, 1956.

Иоаннисян А., Очерки—Ա. Հովհաննիսյան, *Դրվագներ հայ ազատագրական մտքի պատմության, Ա, Երևան, 1957։*

Исканян В., Армяно-византийские отношения—Վ. Իսկանյան, *Հայ բյուզանդական հարաբերությունները,* VII *դ. արաբական առաջին արշավանքների ժամանակ, Պատմա-բանասիրական հանդես, 4, 1971։*

История Ирана—История с древнейших времен до конца XVIII в. (Н. Пигулевская, А. Якубовский, И. Петрушевский, Л. Строева, А. Беленицкий), Л., 1958.

История Византии—История Византии (коллектив авторов), 1—3, М., 1967.

История стран зарубежной Азии—История стран зарубежной Азии в средние века, М., 1970.

История Тарона—Յովհան Մամիկոնեան, *Պատմութիւն Տարօնոյ, աշխ. Ա. Աբրահամյան, Երևան 1941։*

ИФЖ—Историко-филологический журнал АН Арм. ССР, Ереван.

Каланкатвации—Մովսեսի Կաղանկատուացւոյ Պատմութիւն Աղուանից աշխարհի, ի լոյս ընծ. Մ. Էմին, Մոսկվա, 1860։

Каланкатваци (рус. пер.)—История агван Моисея Каганкатваци, писателя X в., перевод К. Патканова, СПб, 1861.

Калантарян А., Материальная культура Двина—Материальная культура Двина IV—VIII вв., Археологические памятники Армении, 5, Ереван, 1970.

Канонагирк,—Կանոնագիրք Հայոց, աշխ. Վ. Հակոբյան, Ա, Բ, Երևան 1964, 1971։

Кафадарян К., Город Двин—Կ. Ղաֆադարյան, *Դվինի քաղաքը և նրա պեղումները Երևան, 1952։*

Кафадарян К., Два архитектурных памятника—**Կ. Ղաֆադարյան**, *Դվինում պեղված, ճարտարապետական երկու հուշարձան, Պատմա-բանասիրական հանդես, 1973, № 4, էջ 113—126։*

Киракос Гандзакеци—Կիրակոս Գանձակեցի, *Պատմութիւն Հայոց, աշխ. Կ. Մելիք-Օհանջանյան, Երևան, 1961։*

Книга посланий—*Գիրք Թղթոց, Տփղիս, 1901։*

Левонд—*Պատմութիւն Ղեւոնդեայ Մեծի վարդապետի Հայոց, աշխ. Ս. Մալխասյանց, Ս. Պետերբուրգ, 1887։*

Левонд (рус. пер.)—История халифов Вардапета Гевонда, писателя VIII в., перевел с армянского К. Патканов, СПб., 1862.

Лео, История Армении—Լեո, *Հայոց պատմություն, Երկեր, Բ, Երևան, 1967։*

Липшиц Е. Э., Очерки истории—Очерки истории византийского общества и культуры, М—Л., 1961.

Лрабер—Вестник общественных наук АН Арм. ССР, Ереван.

Манандян Я., Критический обзор—**Հ. Մանանդյան**, *քննական տեսություն հայ ժողովրդի պատմության, Ա, Բ, Բ(Բ մաս), Գ, Երևան, 1944—1966։*

Манандян Я., Феодализм в древней Армении **Հ. Մանանդյան**, *Ֆեոդալիզմը հին Հայաստանում, Երևան, 1934։*

Манандян Я., О торговле и городах—О торговле и городах Армении в связи с мировой торговлей древних времен, Ереван, 1954.

Манандян Я., Средневековый итинерарий—Средневековый итинерарий с армянской рукописи X столетия, Сб. акад. Н. Я. Марру, М.—Л., 1930.

Марр Н. Я., Сборник притч Вардана—Сборник притч Вардана, т. I—III, СПб, 1894.

Марр Н. Я., Аркаун—Аркаун монгольское название христиан в связи с вопросом об армянах-халкедонитах, Виз. Врем. XIII, 1906.

Меликсет-бек Л., Об истории крестьянского восстания—**Լ. Մելիքսեթ Բեկ**, *Չորրորդ Հայքի գյուղացիական ապստամբության հարցի շուրջը, Տեղեկագիր, (հաս. գիտ.), 1948, 2։*

Мец А., Мусульманский ренессанс—Мусульманский ренессанс, М., 1966.

Минорский В., История Ширвана—История Ширвана и Дербенда, М. 1963.

Мовсес Хоренаци—*Մովսէսի Խորենացւոյ Պատմութիւն Հայոց, աշխ. Մ. Աբեղյան, և Ս. Հարությունյան, Էջմիածին—Տփղիս, 1913։*

Мушегян Х., Денежное обращение—Денежное обращение Двина по нумизматическим данным, Ереван, 1962.

Мушегян Х., Выпуск аббасидских монет—**Խ. Մուշեղյան**, *Աբբասյան դրամների թողարկումը Արմինիա նահանգում,* VIII—IX *դարերում Պատմա-բանասիրական հանդես, 1973, 4։*

Мхитар Айриванеци,—*Մխիթարայ Այրիվանեցւոյ Պատմութիւն Հայոց, ի լոյս ընծ. Մ. Էմին, Մոսկվա, 1860։*

Мюллер А., История ислама—История ислама I—II, СПб, 1885—1896:

Налбандян А., Арабские остиканы—**Ա. Նալբանդյան**, *Արաբ ոստիկանները Հայաստանում, ԳԱ Տեղեկագիր (հաս. գիտ.) 1958, 8։*

Налбандян А., Налоговая политика—**Հ. Նալբանդյան**, *Արաբների հարկային քաղաքականությունը Հայաստանում, ԳԱ Տեղեկագիր (հաս. գիտ.), 1956, 12։*

Орбели И., Избранное—Избранные труды, Ереван, 1963.

Орманян М., Азгапатум—Մ. Օրմանյան, *Ազգապատում Ա, Բեյրութ, 1959։*

Очерки истории СССР, III—IX вв.—Очерки истории СССР III—IX вв., М., 1958.

Петрушевский И. П., К истории маздакитов—К истории маздакитов в эпоху господства ислама, Народы Азии и Африки, № 5, 1970.

Пигулевская Н. В., Византия и Иран—Византия и Иран на рубеже VI—VII вв. М.—Л., 1946.

Пигулевская Н. В., Сирийские источники—Сирийские источники по истории народов СССР, пер. Н. В. Пигулевской, М.—Л., 1941.

Прокопий Кесарийский, Прокопия Кесарийского история войн Римлян с Персами, I—II, СПб, 1880.

Сайийд А., Армения—(ас-Сайийд)— اديب السيد ـ أرمينية فى التاريخ العربى، حلب، ١٩٧٣

Самвелян Х., История древнего армянского права—Խ. Սամվելյան, *Հին հայ իրավունքի պատմություն, Երևան, 1941։*

Самуэл Анеци—*Սամուել քահանայի Անեցւոյ հաւաքմունք ի գրոց պատմագրաց, հրտ. Ա. Տեր-Միքելյան, Վաղարշապատ, 1893։*

Сасна црер—*Սասնա ծռեր, խմբ. Մ. Աբեղյան, աշխ. Կ. Մելիք-Օհանջանյան, հտ. 1, 2ա, 2բ, Երևան, 1936—1944.*

Сб. в честь И. Орбели—Исследования по истории культуры народов Востока. Сб., в честь акад. И. А. Орбели, М.—Л., 1960.

Свод армянских надписей—*Դիվան հայ վիմագրության, Ա, հրտ. Հ. Օրբելի Բ—Դ, հրտ. Ս. Բարխուդարյան, Երևան, 1960—1973*

Себеос—*Սեբեոսի եպիսկոպոսի Պատմութիւն ի ձեռն Ստ. Մալխասեանց, Երևան, 1939։*

Себеос (рус. пер.)—История епископа Себеоса, перевел С. Малхасян, Ереван, 1939.

Соперк—*Սոփերք հայկականք, Ա-ԻԴ, Վենետիկ, 1853—1934։*

Сочинения Анании Ширакаци—*Անանիա Շիրակացու մատենագրությունը, հրտ. Ա. Աբրահամյան, Երևան, 1944։*

Степанос Орбелян—*Պատմութիւն Նահանգին Սիսական, արարեալ Ստեփաննոսի Օրբելեան արքեպիսկոպոսի Սիւնեաց (Ղուկ մատ. Դ), 1910։*

Тер-Гевондян А., Арабские эмираты—*Ա. Տեր-Ղևոնդյան, Արաբական ամիրայությունները Բագրատունյաց Հայաստանում, Երևան, 1965։*

Тизенгаузен В., Монеты восточного халифата—Монеты восточного халифата, СПб, 1873.

Товма Арцруни, *Թովմայի վարդապետի Արծրունւոյ Պատմութիւն տանն Արծրունեաց, ի լոյս էած Ք. Պատկանեան, Ս. Պետերբուրգ, 1887։*

Токарский Н., Архитектура Армении—Архитектура Армении IV—XIV вв., Ереван, 1961.

Тревер К., Очерки—Очерки по истории и культуре кавказской Албании, М.—Л.. 1959.

Урhаеци—Մատթեոս Ուռհայեցի, *Ժամանակագրութիւն, Վաղարշապատ, 1898։*

Ухтанес—Ուխտանես եպիսկոպոս, *Պատմութիւն Հայոց, Վաղարշապատ, 1871։*

Хосровик—Խոսրովիկ Թարգմանիչ և երկասիրութիւնք նորին, աշխ. Գ. Հովսեփեանց, Վաղարշապատ, 1899։

Чамчян М., История Армении--Մ. Չամչեան, Պատմութիւն Հայոց, Բ, Վենետիկ, 1784.

Шапух Багратуни—История анонимного повествователя псевдо-Шапух Багратуни пер. М. О. Дарбинян-Меликян, Ереван 1971.

Шахназарян А., Ա. Շահնազարյան, Բագրատունյաց նախարարական տոհմի ծագումը, Հայ. Պետ. Պատմ. Թանգ. աշխատություններ, Ա, Երևան, 1948։

Шлепчян С., Административная политика халифата—Административная политика арабского халифата в Армении в VII—IX вв. (автореф. диссертации), Ереван, 1955.

Шолакат—Շողակաթ, Հայագիտական ժողովածու, Վաղարշապատ, 1913։

Abu Yusuf—*Abu Yusuf*, Kitab al-kharadj, Bulaq, 1302 (1884).

Adontz, EAB—*N. Adontz*, Etudes Arméno-Byzantines, Lisbonne, 1965.

Beladsori—Liber expugnationis regionum auctore al-Beladsori, ed. M. J. de Goeje, Lugduni Batavorum, 1866.

Bibl. Geogr. Arab.—Bibliotheca Geographorum Arabicorum, ed. M. J. de Goeje, I—VIII, Lugduni Batavorum, 1870—1892.

Berchem M. V.—La proprieté territ oriale et l'impot foncier sous les premiers califes, Genéve, 1886.

Canard, Recueil des textes—Recueil des textes relatifs a Sayf al-Daulah, ed: par M. Canard, Paris, 1934.

Canard M. Les Hamdanides et l'Arménie—Les Hamdanides et l'Arménie Annales de l'Inst. d'Et. Or., Alger, VII, 1948.

Const. Porph., De Administrando Imperio—Constantine Porphyrogenitus, De Administrando Imperio, I ed. by Gy. Moravcsik, trans. by R. J. H. Jenkins, Budapest, 1949, II, Commentary, London, 1962.

Const. Porph., De Ceremoniis—Constantini Porphyrogeniti imperatoris De Ceremoniis aule Byzantinae, I—II, Bonnae, 1829—1830

Denys de Tell Mahre—Chronique de Denys de Tell Mahre, publié et traduit par. J. B. Chabot, Paris, 1895.

Dimishqi—Cosmographie de Chems ed-Din ed-Dimishqi, publié par A. F. Mehren, S. Petersbourg, 1866.

Dulaurier E., Recherches—Recherches sur la chronologie arménienne technique et historique, Paris, 1859.

Gahšiyari—Kitab al-wuzara w al-kuttab des Abu Abdallah al-Gahsiyari, Bibliothek arabischer Historiker und Geographen, I, Leipzig, 1926.

Garsoyan N., The Paulician Heresy—The Paulician Heresy. A Study of the Origin and Development of Paulicianism, Paris, 1967.

Ghazarian M., Armenien—Armenien unter der Arabischen Herrschaft Marburg, 1903.

Goubert P., Byzance avant l'Islam--Byzance avant l'Islam, Paris, 1951.

Graf G., Geschichte der Christlichen Arabischen Literatur—Geschichte der Christlichen Arabischen Literatur, Vatican, I—V, 1946—1953.

Grousset R., Histoire de l'Arménie—Histoire de l'Arménie, des origines à 1071, Paris, 1947.

Histoire de la Géorgie—Histoire de la Géorgie, traduit par M. Brosset, I, St. Petersbourg, 1949.

Hitti Ph., History of the Arabs—History of the Arabs, London, 1958.

Honigmann E. Die Ostgrenze—Die Ostgrenze des Byzantinischen Reiches, Corp. Brux. Hist. Byz., III, Bruxelles, 1935.

Hübschmann H. Ortsnamen—Die Altarmenischen Ortsnamen (Indogerm. Forsch. XVI) Strassbourg, 1904.

Ibn al-Athir—Ibn al-Athir, al-Kamil fi-t-tarikh, al-Qahira, I—IX, 1353, (1934—1935).

Ibn Hauqal—Opus geographicum auctore Ibn Hauqal, ed. J. H. Kramers, I—II, Lugduni Batavorum, 1938—1939.

Jacut—Jacut's Geographisches Wörterbuch, hrsg. von F. Wüstenfeld, I—VI, Leipzig, 1924.

Kremer A. von, Culturgeschichte—Culturgeschichte des Orients unter den Chalifen, I—II, Wien, 1875—1877.

Laurent J., L'Arménie entre Byzance et l'Islam,—L'Arménie entre Byzance et l'Islam, depuis la conquete arabe jusqu'en 886, Paris, 1919.

Markwart J., Südarmenien—Südarmenien und die Tigrissqwellen, Wien, 1930.

Martin St. M., Mémoires—Mémoires historiques et géographiques sur l'Arménie, I—II, Paris, 1818—1819.

Masudi—Masudi, Murudj az-zahab, Le Caire, 1948.

Michel le Syrien—Chronique de Michel le Syrien, éditeé et traduite par J. B. Chabot, I—IV, Paris, 1899—1910 (1963).

Minorsky V., Studies-Studies in Caucasian History, Cambridge Oriental Series, 6, London, 1953.

Narratio de Rebus Armeniae-La Narratio de Rebus Armeniae, ed. G. Garitte, Louvain, 1952'

REA—Revue des Etudes Arméniennes, Paris.

Shorter Enc. of Islam —Shorter Encyclopaedia of Islam, Leiden, 1953.

Tabari—Tarikh at-Tabari par Abu Jafar Mohammad Ibn Jarir at-Tabari, èdition critique par M. Abu-l-Fath Ibrahim, I—X, Le Caire, 1960—1969.

Ter-Minasiantz, E. Die Armenische Kirche-Die Armenische Kirche in ihren Beziehungen zu den Syrischen Kirchen bis zum Ende des 13 J., Leipzig, 1904.

Theophanis Chronographia—Theophanis Chronographia, I—II, Bonnae, 1839—1841.

Theophanes Continuatus-Theophanes Continuatus, Bonnae, 1838.

Thoptschian H., Die Inneren Zustände-Die Inneren Zustände von Armenien unter Aschot I, Berlin, 1904.

Toumanoff C., Studies—Studies in Christian Caucasian History, George town, 1966.

Tritton A., The Caliphs—The Caliphs and their non Muslim Subjects, London, 1930.

Van den Berg L. W. C., Principes du droit musulman—Principes du droit musulman selon les rites d'Abou Hanifah et de Chafii, Alger, 1896.
Vasiliev A., Byzance et les Arabes—Byzance et les Arabes, t. I, Bruxelles, 1935 (1959), t. II, p. I, (1968) t. II, p. II, 1950.
Vasmer R. Chronologie,—Chronologie der Arabischen Statthalter von Armenien unter den Abbasiden (750—887), Wien, 1931.
Yaqubi—Ibn Wadih al-Yaqubi, Tarikh, I—II, Beyrouth, 1960.
Zambaur E., Manuel de Généalogie—Manuel de gènéalogie et de chronologie pour l'histoire de l'Islam, Hannover, 1927 (1955).

نادي الشبيبة السورية الثقافي

2017

